

أرسيث لوبيث

الغريمان



مغامرات " أرسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في إقحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة، وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم، والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تُصوّر الجريمة وتحللها وتكشف عن مرتكبيها.

هذا البطل (أرسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته إلى الثراء وكسب المال أو للتأثر والانتقام من خصومه، وإنما يُكرّس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة.

إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس.

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصّم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء والصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان.

وقد تحدّى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يُجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة.

ثمن النسخة

| | | | | | |
|--------|----------|--------|----------|----------|---------|
| Canada | 6 \$ | قطر | ٨ ريال | لبنان | ٢٠٠٠ ل. |
| U.K. | 2 £ | مسلط | ٧٥٠ بيسة | سوريا | ٦٠ ل. |
| U.S.A. | 4 \$ | مصر | ٣ جنيه | الأردن | ٧٥٠ فلس |
| Greece | 1500 Drs | المغرب | ١٥ درهم | السعودية | ٨ ريال |
| Cyprus | 2 £ | ليبيا | ١ دينار | الكويت | ٦٠٠ فلس |
| France | 20 Fr | تونس | ٢ دينار | الإمارات | ٨ دراهم |
| | | اليمن | ٢٠٠ ريال | البحرين | ٧٥٠ فلس |

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعربة

الغريمان

(٥٠)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دارميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب ٢٧٤ جونية - لبنان

تلفون : 00 961 9 262 939

فاكس : 00 961 9 260 401

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي جزء أو قسم من هذا الكتاب

وبأية وسيلة إلا بعد الحصول على موافقة خطية من الناشر .

القسم الأول

الفصل الأول

رجعت مدام "ديتول" إلى دارها مبكرة عما كانت تنوي ، فعبرت
المدخل ومرت بغرفة البواب فتسلمت رسائلها .. ثم صعدت السلم على
مهل صوب الطابق الثاني حيث تقيم .

وعلى الدرجة الكبرى تريتت هنيهة .
تريتت أمام المرأة الكبيرة المثبتة في الجدار .. وراحت تجيل فيها
عينها متطلعة في افتتاح وإعجاب إلى صورتها : دأبها كلما ارتقت
السلم وأخذ بصرها المرأة !

كانت بوجهها مسحة من الشحوب لم تخفها مبالغتها في التجميل..
وكانت في ثانقها مغرقة مسرفة إلى حد لا يوصف إلا بالتبهرج..
ومع هذا فقد كانت تمثل ناحية من نواحي ذلك الجمال الذي استهوى
في يوم من الأيام مسيو "ديتول" (أحد رجال الأعمال الأثرياء) فأقدم
على الزواج بها مفتونا مأخوذا ، مغمض العينين . وحين استفاق
أدركه الندم وتولته الحسرة إذ ساءه منها إسرافها وتبذلها
وخلاعتها .

وفي المرأة . المرأة المؤاتية الجمالة .. لم تر شحوب لونها ولا
الخطوط الزرقاء البادية تحت عينها . لا .. ولا الوجنات التي تستمد
نضرتها وتالقها من الطلاء والمساحيق .

بل إنها على النقيض لم تر إلا ما تشيعه عينها من السحر
وبواعث الإغراء .. لم تر إلا دلالها واناقتها وفنتتها .
وابتسمت راضية ..

وطالعتها من ابتسامتها لون جديد من ألوان الفتنة طابت به نفسا
وداخلها منه سرور فياض .

والحق أنها كانت في هذه اللحظة مثالا للأنوثة الناضجة المتدفقة ،
الأنوثة المتلهفة إلى ما كان في شباب مضى وعفا عليه الزمن .

لقد تناولت غداءها في ذلك النهار في أحد المطاعم وفي رفقتها أربعة من الأصدقاء تطلق عليهم ابنتها "نيلي روز" لقب "الفرسان" وتذيع الألسن المتقولة اللاذعة أنه كان لثلاثة منهم علاقة وثيقة بها حتى على عهد زوجها .. وكانت في أثناء الطعام مبتهجة منشحة الخاطر ، لاتفتأ تبتسم وتضحك ، وتبدي من دلالتها ومفاتنها ما أدار رؤوس فرسانها والهيب دماغهم .

أه .. ! إن الحياة - على الرغم من همومها ومتاعبها - مازالت جميلة خلابة تحمل في طياتها أسباب الهناء . !

على أنها حين بلغت الطابق الثاني لم تملك إلا أن قطبت جبينها وعبست .. تناهت إلى سمعها من داخل المسكن انغام الموسيقى : صوت البيانو مصحوبا بنغم الكمان .

وغمغمت تقول متذمرة :

- يا لله .. ! إنه "دومينيك" وفكتورين" ! لقد عادا إلى العزف !

والموسيقى عند الخادمين داء لاشفاء منه .. ! فما تغادر ربة الدار المنزل حتى تهرع وصيفتها إلى البيانو . على حين يعمد زوجها (رئيس الخدم) إلى كمانه فيعزفان عليهما أعذب الألحان وأشجأها وقد انبعثت من عيونهما نشوة غامرة .

وفي استياء يكاد يبلغ مرتبة الغضب دقت مدام "ديتول" جرس الباب وأجابها من الداخل لحن (الأرملة الطروب) .. !

وتحولت إلى باب جانبي صغير يفضي مباشرة إلى الغرف التي تشغلها ابنتها "نيلي روز" فقرعت الجرس وانتظرت برهة ، ولكن لم يلب نداءها أحد ، إذن فابنتها لاتزال غائبة عن الدار .

وذكرت عند هذا أن مفتاح الباب الكبير في حقيبتها ، فتناولته وفتحت الباب وعبرت الردهة .

وحانت منها لفحة إلى الطاولة القائمة في أقصى الردهة فرأت خطابا موضوعا عليها ، واستدلت من غلافه أنه من المصرف الذي تعامله .

وفضت مدام "ديتول" الخطاب وهي متوجعة قلقة وقراته :
سيدتي ..

انتشرف بأن أعزز بهذا الخطاب المسجل الذي وصلك في هذا الصباح
والحديث التليفوني الذي دار بيننا . إن خسائرك التي منيت بها في
هذا الشهر قد أكرهتنا على بيع السندات التي أودعتها لدينا بصفة
ضمان فاقدمنا على تصفية مركزك بسعر البورصة اليوم ، وقد ترتب
على هذه التصفية هبوط جسيم في قيمة هذا الضمان .

ولذا نرجوك أن تتفضلني بسداد المبالغ المطلوبة منك في موعد
اقصاه نهاية هذا الشهر تفاديا من اتخاذ الإجراءات القانونية .. إلخ .
وكان لهذا الخطاب في نفسها اثر عميق فظلت واجمة برهة وقد
استغرقتها الخواطر . ونسيت انها كانت تنوي أن تؤنب وصيقتها
ورئيس خدمها . وحين رأت "فيكتورين" لم تزد على أن سالتها وهي
شاردة :

- أرجعت الآنسة ؟ .

- اظنها لم ترجع يا سيدتي .

والقت مدام "ديتول" نظرة عاجلة على ماكان بين يديها من خطابات .
إنها إخطارات وإنذارات من بعض التجار .. وحسابات من بعض
الخياطات .. وتنهدت وارتعدت يدها .

ثم دخلت قاعة الاستقبال وقالت تخاطب "فيكتورين" :

- أعدي مائدة "البريدج" . وإذا جاء الضيوف فانبئهم أنني سأوافيهم
على الفور .

ثم غادرت الغرفة وهي لاتزال مقطبة الجبين شاردة النظرات ..
واجتازت دهليزا طويلا فتحت بابا في صدره فإذا هي في الجناح
المخصص لابنتها ..

وإذا كانت الغرف التي تشغلها الأم مثالا للحياة البوهيمية المغرقة
في الترف وضالة الحظ من التنسيق . فقد كان جناح ابنتها على
النقيض مثالا للرقة والجمال وسلامة الذوق .

وما تخطت مدام "ديتول" العتبة حتى فتح الباب الصغير المتصل
بالسلم ودخلت ابنتها "نيلي روز"

و"نيلي روز" هيفاء ممشوقة القوام ... رشيقة الخطو توحى ثيابها
باناقة تنطوي على ذوق سليم .. وهي إلى هذا تمتاز بجمال صاعق

أخاذ لاتخطئه العين وتلمس فيه من فورك روح الانوثة المتوثبة
المتحفزة .. ولكن في الوقت الذي تستهويك فيه أنوثتها فتتمنى
لوطوقتها بذراعيك .. في هذا الوقت يصرفك عنها ويحكمك على
احترامها شعورك بطهارتها ونبلها. فإن لها وجهاً بريئاً يحاكي وجوه
الأطفال وعينين صافيتين في زرقتهما رقة تدعو إلى الاحترام وصراحة
تثير الإعجاب .

وهي من ناحية فتاة عصرية تدرك حق الإدراك الجو الذي تعيش
فيه ، وهي من ناحية أخرى فتاة عاملة مجدة تنزع إلى الاحتشام .
وتلاثمت الأم وفتاتها في حرارة لم يخمد قوتها تباين مشاربهما
ولا حياتهما المنفصلة .

وقالت الفتاة :

- لقد جئت يا أماه لأقابلك وأنا على عجل من امري .. تصوري ان
الاجتماع سيعقد في الساعة الثالثة .. ولاتدعيني انكرك بانهم يعتمدون
على معونتك .

فقالت الأم :

- امن الضروري حقيقة يا عزيزتي "نيلي روز" ان احضر هذا
الاجتماع ؟ ..

فعقدت الفتاة ذراعيها على صدرها وتظاهرت بالاستياء وقالت
معاتبة :

- ماما .. ماما .. ! ايكون لك شرف عضوية اللجنة ومع ذلك تريدان
ان تتخلفي عن الاجتماع الذي سألقي فيه خطابا بصفتي سكرتيرة دار
المعامل ؟ .. إني والله عاتبة عليك . !
فضحكت الأم وقالت :

- يالك من طفلة غريبة الاطوار يا "نيلي روز" .. ؟ الحق اني لا ادري
ما الذي يحملك على ان تكرسي وقتك لهذه الابحاث العلمية السخيفة
المرهقة التي لا ارتاب في انها ستحطم رأسك في يوم من الأيام ..
الكيمياء .. الطب .. الصيدلة .. ! ما شانك انت وهذه العلوم .. !
ايكون لك هذا الجمال ؟ .. وتكونين في سن العشرين ثم .. ! اوه .. !
هذا لايطاق .. !

فضحكت "نيلي روز" وقالت :

- إنه نوع من أنواع الغرام يا أماء .

وهزت الام كتفيها وقالت :

- وياله من غرام .. ! أرجو على الأقل أن تجدي بين القنينات والمواد

الكيميائية زملاء ..

فقاطعتها "نيلي" بقولها :

- زملاء مرحين جذابين يذهبون عني الوحشة .. !

- بل زملاء تلتمسين من بينهم زوجا .

فانفجرت "نيلي روز" ضاحكة ثم قالت :

- زوجا .. ولكني لا انوي ان اتزوج يا أماء .

- لست اقول إن الزواج ضروري . وإنما قصدت ان اقول إنني أرجو

ان تجدي بينهم زميلا يغازلك و ..

- يغازلني .. ! مسكينة أنت يا أماء .. ! لشد ما تخلف بك الزمن !

في هذا العصر أصبح الشاب لا يغازل الفتاة .. ! إن المغازلة اثر من

أثار الماضي .. ! وإذا كان هناك من يغازلني فهو صديقك "فالنية" أحد

فرسانك الأربعة .. ! إنه هو الوحيد الذي لا يفتا يغازلني .. ! أما

زملائي في المعمل فرجال : جد وعمل طاهر وضمير .. !

فضحكت الام ساخرة وقالت :

- إنني لا أؤمن كثيراً بطهارة الضمائر في بيئة ليس فيها إلا فتيات

وفتيان .. ! ماذا .. ؟ اتريدان أن تقولي إن شباب هذه الأيام قد أصبحوا

في طهارة النساك .. ! إنني أخشى يا ابنتي أن تسوء الأمور يوماً ما .. !

فنظرت الفتاة إلى أمها في استغراب وقالت :

- تسوء الأمور إذا ماشجعتهم .. ! ولكنني أعرف كيف ألزم الشبان

حدهم .. ! فاطمئني من ناحيتي يا أماء .. !

فهزت مدام "ديتول" رأسها وقالت :

- إنك لاتزالين غريرة ساذجة يا بنيتي .. ! إنك لاتفهمين أسرار

الحياة .. ! نعم إنك تعيشين خارج حدود الحقيقة . تعيشين في جو من

الأوهام والخيالات .. ولطالما كانت الحقيقة يا ابنتي اليمة ومريرة .. !

وبوغتت "نيلي روز" بما سمعت .. ! إنها لم تر أمها في يوم من الأيام

إلا مثال المرحلة الطروب . فلم هذا التشاؤم ؟

وتفرست الفتاة في أمها وقالت :

- ما الذي بك يا أماه العزيزة . ؟ لم هذا التشاؤم ؟ صارحيني بما
في نفسك . ؟

فقالته الأم في حرارة :

- لا شيء يا ابنتي .. لا شيء على الإطلاق !

- ولكن ...

- كل ما هنالك اني اتمنى في بعض الاحيان لو أنك نظرت إلى
الحياة نظرة جدية .

- امعنى هذه النظرة الجدية ان انصرف عن دراستي وان اترامى بين
قدمي زوج اعيش في كنفه مدى الحياة . ؟

- ربما .. !

- في كنف صاحبك "جوستاف فالنيه" بلاريب . ؟

- لست اعنيه هو على وجه التخصيص . ومع ذلك فتالنيه ثري
ويصلح ان يكون زوجا .

- لادي فكرة يا أماه . ! لم لا تتزوجين أنت هذا الرجل الثري . ؟

هيه .. ؟ ما رايك في هذا الاقتراح .. ؟ اتحبين ان اطلب إليه ان
يخطبك . ؟ والآن فلندع يا أماه مسألة الزواج ولنحدث فيما هو أهم
وأجدي .. لابد من حضورك الاجتماع وإني اعتمد عليك . فدعي بالله
فرسانك الأربعة وتعالى اسمعي خطاب ابنتك "نيلي روز" الفتاة التي
لا تنتظر إلى الحياة نظرة جدية . !

وبعد دقيقتين كانت "نيلي روز" منطلقة بسيارتها إلى دار المعامل وقد
تولت قيادتها بنفسها .

* * *

وكان ذلك بعد ظهر يوم من أيام السبت .

وكان هناك خمسة من الشبان وفتاة جالسين في المعمل الكبير وقد
ارتدوا معاطفهم البيضاء حين دخلت عليهم "نيلي روز" عارية الرأس
مرتدية معطفا على شاكلة معاطفهم فانضمت إليهم واتخذت مجلسها

بينهم .

وصافحت الأيدي التي امتدت إليها وقالت :

- طاب نهارك يا "فيرني" .. وانت يا "لاكوست" .. إنني أشكركما على حضوركما اليوم ومزاولة العمل . وكيف حالك يا "زينيا" ؟
وكانت الفتاة التي وجهت إليها "تيلي روز" الحديث بولندية الجنسية هبطت فرنسا سعيا وراء العمل .

وقالت الفتاة :

- إنني بخير .. شكراً .

وقال "فيرني" :

- لقد أردنا بحضورنا اليوم أن نحیی فيك سكرتيرة الدار إذ لاشك أنه سيكون لخطابك صدی بعيد .. إننا لن نحضر الاجتماع ولكن يجب أن تعلمي أننا نؤيدك من كل قلبنا .

فقال "زينيا" :

- أما أنا فساأضر الاجتماع .. أليس كذلك يا "تيلي روز" ؟

فضحك "فيرني" وقال :

- إن "زينيا" صحفية بارعة لاتدع فرصة لاداء عملها الصحفي إلا اغتنمتها .

فصاح آخر :

- إن نزعة الصحافة في اعتقادي تتغلب في صدرها على نزعة العلم .!

فضحكت "زينيا" وقالت :

- إلى أي شيء ترمون بهذه الثروة ؟ أكنتم تريدون مني أن أشتغل سائقة سيارة مثلاً لاكتسب رزقي . ؟ لقد عهدت إليّ هذه المجلة البولندية بمراسلتها على أن تنقذني أجراً طيباً فلم لا أفعل .. ؟
فقال "تيلي روز" :

- دعوها في سلام أيها الرفاق .. ! إن مراسلة الصحف من أعذب المهن وأحبها إليّ .. ! وأنا من ناحيتي لايمكن أن أتردد في قبول هذا العمل بل إنني لا أتردد في القيام بأي عمل مهما كان نوعه .. ! كل مهنة في الحياة تطيب لي .. ! والحياة نفسها تطيب لي .. ! وفي الحق إنني

اسأل نفسي عما يبعث السامة في نفوس بعض الناس .. !

فصاح "فيرني" :

- أه .. ! هذه هي الفتاة العصرية تتحدث .. ! إنك مثال للفتاة

العصرية القوية الإرادة يا "نيلي روز" .. !

واقتربت "زينيا" من "نيلي روز" وقالت :

- ليت شعري هل ذكرت ما طلبته منك .. ؟ إنني أراهن على أنك

نسيت .. !

- اتظنين ذلك .. ؟

لقد أتيتك بثلاث .. !

وبسطت يدها إلى "زينيا" بمظروف كبير فتناولته هذه وأخرجت منه

ثلاث صور كبيرة تمثل كل منها "نيلي روز" في وضع جميل ساحر .

وهتف "زينيا" في إعجاب :

- أوه .. ! شكراً لك .. ! وما أجملها .. ! لقد فتننتني .. !

فقالت "نيلي روز" :

- والآن هيا بنا إلى العمل .

ولم تكف "نيلي روز" عن العمل إلا حين شارفت الساعة على

الخامسة .. إذ ذاك خلعت مئزرها الأبيض وارتدت معطفها وقبعتها

وذرت مسحوق البوردة على وجنتيها كأنها ممثلة توشك أن تظهر على

خشبة المسرح . ! ثم مضت إلى قاعة الاجتماع لتلقي خطابها .

وكان في القاعة نفر من الرجال والنساء من ذوي المكانة الاجتماعية

البارزة عرفت "نيلي روز" من بينهم أمها وقد تصدرت المكان .

ووقفت "نيلي" عند المنصة وشرعت تلقي الخطاب .. وكان صوتها في

أول الأمر يرتعد ثم مال بث أن سكن . وكان صوتا جليا واضح النبرات .

وكانت في خطابها قوية التعبير . وقد عرفت كيف تحسن تصوير

الموقف في طلاقة وإيجاز ..

لقد انحدرت المعامل إلى مستقبل مظلم ، وأصبح البحث العلمي

يؤذن بالزوال . وذلك لسوء الحالة المالية .. كانت المعامل تعتمد في

القيام بأبحاثها على ما يتبرع به أهل الخير .. ولكن هذه التبرعات

انكمشت وتضاءلت حتى أصبح الصندوق خاويا .. فما العمل ؟ لابد

من الاهتداء إلى وسيلة ناجعة وعاجلة لجمع المال .. والأعمال العظيمة الرائعة التي تقوم بها معامل الأبحاث العلمية لا يمكن أن تتم بنجاح إلا إذا اجتمعت لدى المعامل ملايين من الفرثكات ... ! فهل يقضى على هذا العمل الإنساني النبيل بالجليل بالموت لنضوب المال ... ؟

وكان صوت "نيلي روز" متهدجا وهي تلقي بهذه الكلمات المؤثرة .. وكانت الحماسة بادية في عينيها وإيماءاتها .. ولم يملك الرجال الذين يتصدرون قاعة الاجتماع من ترديد عبارات الإعجاب والتقدير .. واختتمت "نيلي روز" خطابها بقولها :

- والآن : ما العمل ؟ ما العمل ؟

ودعت الحاضرين إلى الإدلاء بما يعن لهم من اقتراحات لتلافي هذه الحال .

وقال أحد الحاضرين :

- الراي عندي أن نكف عن متابعة البحث ونوصد المعامل . فقالت "نيلي روز" مستنكرة :

- ومن ذا الذي يطاوعه ضميره على القضاء على هذه الأبحاث العلمية الجليلة الأثر ... ؟ لابد من الاهتداء إلى وسيلة لإثارة حركة تبرعات قوية .

- فلنناشد الصحافة المعونة .. فلنقم بحملة صحفية واسعة النطاق .

- سيكون أثرها محدودا ونحن في حاجة إلى ملايين تتلوها ملايين .
- ما العمل إذن ..

وفجأة انبرت مدام "ديتول" تقول :

- هناك طريقة واحدة تكفل النجاح .. وابنتي هي صاحبة هذا الاقتراح .. إنها تشير بعمل يا نصيب .. يا نصيب كبير ذو جوائز وجوائز عبارة عن التبرعات التي يسخو بها الناس .. وإنه لراي سديد . اليس كذلك يا "نيلي روز" ؟

فمضت "نيلي روز" تشرح فكرتها قائلة :

- وهذا المشروع في رايي غير معرض للخسارة .. ولكن اتقاء الخسارة لا يكون إلا باتخاذ التبرعات أساسا للجوائز .. نعم .. فليتبرع

كل إنسان بما يشاء . لانريد مالا فحسب وإنما نريد أشياء مادية .
أشياء عينية . فليقدم كل مما لديه . سنحاول أن نثير فضول الناس
واهتمامهم . ليقدم هذا أسبوعا من عمله . وليقدم ذاك ليلة تمثيلية في
أحد المسارح وليقدم ثالث بضع مئات من كتابه الحديث الذي طبعه .
وهكذا ..

نريد أن نفسح المجال للتبرعات . ! صور فنية .. آلات موسيقية ..
قصائد .. كتابة .. أحذية .. سيارات . مكاتب .. واثاث أثرية ..
عقود .. أساور .. سنطلب من كل إنسان أن يتبرع .. وعلى كل إنسان أن
يتبرع بأي شيء . !

فقال إحدى الحاضرات وقد أضحكتها حماسة الفتاة :

- وأنت يا "نيلي روز" بأي شيء تنوين أن تتبرعي ؟

فتحولت الفتاة إلى سائلتها وقالت :

- أنا .. ؟ سأتبرع بما يطلب مني .. ! إنني على استعداد لكل ما

يطلب مني . !

فضحك الحاضرون إذ سمعوها تردد هذا القول في حماسة . وقالت
السيدة التي وجهت إليها السؤال مستطردة :

- على استعداد لكل ما يطلب منك يا "نيلي روز" ؟

- نعم على استعداد لكل ما يطلب مني . ! فأمام هذه الغاية
الإنسانية النبيلة لا يحجم المرء ولا يتردد .

فقال المرأة :

- إذن ستكونين أنت الجائزة الكبرى . !

وضج الحاضرون بالضحك وقالت مدام "ديتول" :

- أوه . ! أرجوك ألا تخرجي كلام ابنتي إلى غير مارمت إليه . !

وإنه ليحسن بك يا "نيلي روز" أن تكوني أشد حرصا على مرامي
كلامك . ! إنك تلقين الكلام جزافا دون أن تدبري معناه .

- وكيف ذلك يا أماء . ؟

فقال السيدة :

- لقد أصابت أمك في تحذيرك فقد تعهدت بأكثر مما ينبغي ؟

- تعهدت بأكثر مما ينبغي ؟ كيف ؟

وادارت "نيلي روز" بصرها في الحاضرين والحاضرات فلم تر إلا ابتسامات وغمزات .. وإذ ذاك انكشفت لها الحقيقة فجأة وادركت المعنى البعيد الذي صرفوا إليه كلامها حين قالت إنها على استعداد لكل ما يطلب منها ! فتضرج وجهها احمراراً وغضت من بصرها .. !
على استعداد لكل ما يطلب منها . ! هذا معناه انها على استعداد لأن تتبرع بنفسها . ! على استعداد لأن تقدم نفسها . !
وعلى اثر ذلك سارت المناقشة في مجراها الطبيعي وبدعوا يتداولون في اليانصيب وشروطه .

واخذت "زينيا" بذراع "نيلي روز" وانتحت بها ركنا من القاعة وقالت لها :

- دعيني أهنئك يا نيلي روز . ! لقد اصبت من النجاح اضعاف ما كنت اتوقع . ! ولقد سرني عرضك الجريء . ! بانك على استعداد لكل ما يطلب منك ! هذه في الحق تضحية نبيلة تقدم عليها فتاة نبيلة من اجل غرض نبيل . إني أهنئك من كل قلبي !

فقالت "نيلي روز" وهي تهز كتفيها معترضة :

- أجننت يا زينيا . ! إني لم أكن جادة في قلبي . ! وما كان هذا مارميت إليه . !

- لم تكوني جادة في قولك . ! إن هذا هو الجد بعينه يا صديقتي ! سابغت إلى مجلتي "فرنسا في بولندا" بمقال عنك أشير فيه إلى اقتراحك الجريء وسأصدره بصورك الثلاث . !

فتخضب وجه "نيلي روز" احمرارا للمرة الثانية وقالت ضاحكة :

- إياك أن تفعلي هذا . ! يالها من فكرة . ! أنا . ؟ أصبح الجائزة الاولى في اليانصيب . ؟ يالها من فكرة !

- ولم لا . ؟ إنها فكرة جريئة . ! فكرة نبيلة وعصرية ايضا .. ومع ذلك فلن أذكر اسمك ! حسبي أن أنشر الصورة .

- أنت تريدان ايضا أن تنشري اسمي . ! حقا .. لم يكن ناقصا إلا هذا . ! بالله عليك دعيني في سلام .

ولكن "زينيا" استطربت قائلة :

- يالها من فكرة . "نيلي روز" الجائزة الاولى .. القطعة الاولى

المعروضة في المزاد .. وسأذكر في مقالي أن الثمن الأساسي خمسة ملايين فرنك .
فصاحت "تيلي روز" :
- اجننت ؟ إياك أن تشيرني إلى هذا الموضوع بحرف واحد .

الفصل الثاني

زابلت مدام "ديتول" قاعة الاجتماع وحدها دون أن تنتظر ابنتها!
وحين غابر "نيلي روز" المكان كانت لاتزال ماخوذة بما جرى في
الاجتماع ، فيداها ترتعدان وعيناها تتالقان وصدرها يعلو وينخفض ،
ولكنها إذ بلغت دارها كانت قد تغلبت على انفعالها و سيطرت على
اعصابها ، فدخلت قاعة الاستقبال .. تسير في سكون وثبات، وهناك
رات أمها وفي رفقتها أصحابها الأربعة الذين لايفترقون لحظة واحدة
حتى لقد اطلقت عليهم "نيلي روز" لقب "الفرسان الأربعة" قياسا على
فرسان رواية "اسكندر ديماس" الشهيرة .!

وكانت مدام "ديتول" تروي لهم نبأ ما حدث في الاجتماع ، وكيف أن
لسان "نيلي روز" جرى بكلمات لم تتدبر مراميها الخفية .

وضحك من بين السامعين ثلاثة واتخذوا من الحادثة مادة للدعابة
والمزاح . اما رابعهم - "جوستاف فالنيه" - فلم يشاطرهم ضحكهم بل
لبث صامتا جامدا لاينبش بحرف واحد ، وقد علا سحنته القطوب ..
وقالنيه "رجل قد استكمل الشباب ، نحيف البنية ، طويل القامة،
شديد التائق ، يحف شاربه على الطريقة العصرية ، ويجمل شعره
بالادهان .. فالفرق بينه وبين الفرسان الثلاثة شديد بعيد ..

اصغى "فالنيه" إلى حديث ومزاح أصدقائها ، متبرما ، ضيق الصدر
ولاعجب ، فهو يحب "نيلي روز" .. ويهيم بها غراما ... وغرامه من طراز
تغلب عليه الأثرة وحب الذات .

وإنه ليرجو أن يقتزن بها ولقد تقدم إليها يخطبها . ولكنها ردت
خائبا وأبت عليه رجاءه ... فلماذا ؟ لقد راح يلقي على نفسه هذا
السؤال ويحاول أن يتبين الأسباب التي حدت بها إلى رفض الاقتران
به فأعياء التفكير . ! إنه غني واسع الثراء .. وسيم الوجه .. أنيق
الثياب .. فأي عيب تأخذه عليه . ؟! إنها لاتفتأ تسخر منه وترميه
بدعابات لاذعة تنال منه وتحز في صدره .. وهو المحب المتيم الصبور .!
على أن تطورا جديدا طرا على المسألة . لقد جدت ظروف منذ أيام

جعلته يرجو وانعشت أمله .. فهل سيجد في هذه الظروف ما يحمل الفتاة على قبول الزواج منه ؟

وقالت مدام "ديتول" حين رأت ابنتها :

- اهذي أنت يا "نيلي" روز" لقد رويت لهؤلاء السادة كيف انزلت وعثر بك اللسان أثناء الاجتماع .

فقهقته "نيلي" ضاحكة :

- اوه .. ! امازلت يا اماء تفكرين في هذا ؟ إنها مسألة لا أهمية لها على الإطلاق !

- لا أهمية لها لأن الحاضرين أدركوا أنك تلقين الكلام جزافا بلا تدبر فينبغي يا عزيزتي أن تتدبري القول قبل أن يتفوه به فوك ..

تصوري .. أنت على استعداد لكل شيء .. ! ماذا تظنين ؟

فضحكت "نيلي" روز" وهزت كتفها وقالت :

- لست أدري .. !

- لنفرض يا صغيرتي أنهم طلبوا إليك ...

فقال "نيلي" روز" مقاطعة :

- لست أنكر يا اماء اني تكلمت بلاترو .. وإني بال تأكيد الحال لم أكن أرمي إلى المعاني البعيدة التي أخرج إليها حديثي . ولكن ليس معنى هذا اني أتنصل من تبعة كلماتي تنصلا تاما . كلا .. إنني على استعداد لأن أبذل من نفسي الشيء المعقول .. لنفرض مثلا أنه طلب إلي أثناء السوق الخيرية أن أقدم قبلة .. فهل يضيرني ذلك ؟ كلا .. إن الفتيات في الأسواق الخيرية يبعن القبلات فهل ..

فقاطعتها الام بدورها قائلة :

- ولكنك لم تعلمي أنك ستبذلين من نفسك مجرد قبلة .. وإنما قلت إنك ستبذلين نفسك كلها ؟

- سأبذل نفسي ؟ ماذا تعنين ؟

- نعم .. نفسك .. مادمت على استعداد لكل ما يطلب منك . !

فهزت "نيلي" روز" كتفها وقالت :

- أرجو يا اماء ألا تعلقي أهمية على ما صدر مني .. إنك تسرفين في التخيخ والاستنتاج .. إنها كلمات القيت عفوا ولا اثر لها .

فقال الأم في إصرار :

- وما يدريك أن الصحف ستتناول هذا الحادث بالتعليق المسهب
فتفسره كما فسرناه فإذا بك تصبحين مضغة في الأفواه .. !
- لا تقولي هذا يا أمه إن الناس لن يحملوا كلامي إلا على محمل
الهزل .

- إيه .. أرجو ذلك .. والآن هيا بنا أيها الأصدقاء نلعب "البريدج".
واصغى "فالنیه" إلى الحديث وهو لا يزال على عادته مقطب الجبين.
وازداد عبوسا حين سمع "نيلي روز" تبدي استعدادها لأن تبذل قبلة
لمن يتبرع لدار المعامل بمبلغ جسيم وتقول إن هذه القبلة لن تضيرها
شيئا . وإن دعت مدام "ديقول" أصحابها إلى "البريدج" نهض واقفا وهو
يقول :

- العبوا انتم واسمحوا لي بأن اتحنى فأني أشعر بصداق .
وانتظم الآخرون حول المائدة على حين تحول "فالنیه" إلى "نيلي روز"
التي كانت منهمكة في تصفح إحدى المجلات وقال لها :
- اتحبين أن تأتي معي إلى الغرفة المجاورة فإن لدي ما أحب أن
أكشفك به .

فرمته بنظرة فاحصة من عينيها الصريحتين ثم مضت معه إلى
غرفة الجلوس المجاورة وقالت تساله :
- ليت شعري أي أمر خطير تريد أن تكاشفني به على انفراد ؟
فقال وفي لهجته نبرة تنطوي على الألم :

- أرجوك يا "نيلي روز" أن تكفي عن السخرية مني .. ! إن استخفافك
بي يكاد يفقدني الصواب .. واليوم أحب أن أتحدث إليك في أمر على
جانب عظيم من الخطورة والأهمية .. لم أقدمت على هذه الحماقة
التي لا معنى لها في دار المعامل . ؟ لست أجهل طهارة نفسك وصفاء
قلبك ولكن الناس جميعا ليسوا على شاكلتك .. نعم .. إنه لا يضيرك
ولك هذه الطهارة أن تبيعي قبلة . ولكن لأية غاية .. ! إن الأمر في نظرك
لا يعدو أن يكون مزاحا .. ولكن في نظري أنا .. في نظري أنا الذي ..
فقاطعته الفتاة بضحكة مدوية وقالت :

- صه .. ! لقد حدثتني من قبل عن غرامك أيها الفارس "دارتنيان" !

فقد كانت تلقبه باسم "دارتنيان" أحد الفرسان الثلاثة .
وتناول "فالنیه" اليد التي رفعتها الفتاة إلى شفثیه لتسكته فقبلها
في احترام وقال في صوت متهدج :
- أنت دائماً تسخرين مني .. امعنى هذا يا "نيلي روز" أنك
لا تحبينني ؟

فسحبت يدها من يده وقالت :
- بل إنني أحبك كثيراً يا عزيزي "فالنیه" فانت صديق مخلص كريم .
فضحك في مرارة وقال :
- نعم .. صديق مخلص .. ولكنه صديق مغرم بك .. ! إن الصداقة
لا ترضيني ولا تكفيني يا "نيلي روز" .. ! إنني أنشد منك ما هو أكبر من
الصداقة .. ! إنني أحبك حباً جنونياً .. ! حباً يكاد يتلف مني العقل .. !
"نيلي روز" .. ! أتوسل إليك أن تتخذيني زوجاً لك .. ! فضحكت مرة
أخرى وقالت :

- ولكني لا أريد أن أتزوج يا "فالنیه" .. إنني راضية بحالي فما الذي
يحفزني إلى الزواج ؟ لماذا تريد أن تصفد يدي وقدمي بأغلال الزواج
وحريتي الحالية تطيب لي .
فهرز رأسه وقال :

- لست أنت التي تصفين الزواج بأنه أغلال يا "نيلي روز" .. ! قد
يصح هذا القول إذا صدر من سواك ، أما منك أنت فلا .. غيرك يتخذ
من حريته سبيلاً إلى التبذل والخلاعة . أما أنت فتدركين حق الإدراك
أن حياة النقاء والطهارة أولى بالفتاة فزواجك لن يفقدك مزية قديمة
إنني أعلم أنك إن تزوجت لم تحنثي بعهد الزوجية .
فابتسمت وقالت :

- ولكن ليس في نيتي أن أتزوج إلا رجلاً أحبه و ..
فقاطعها بقوله :

- وأنت لا تحبينني .. ولا تريدان أن تحبينني !
- لست أكتم عنك يا صديقي أنني لا أفكر فيك من هذه الناحية !
- وأنا الذي أهيم بك غراماً .. أنا الذي أقسمت أن أسعدك مدى
الحياة .. ! أوه .. ! إنني أعلم يا "نيلي روز" بإيثارك الاستقلال وولعك

بالحرية . فلتعلمني إذن اني لست بالطاغي المستبد ولهذا عولت على أن ادعك تستمرين في مزاولة أعمالك بعد زواجنا .. لك أن تستمري إذا شئت في وظيفتك في دار المعامل . وسيكون في مقدوري أنذاك أن امدك بالمساعدات المالية فإنك لا تجهلين اني واسع الثراء .

ولما رأى دلائل الإمتعاض في وجهها قال مسترسلا :

- إنما اعرف يا "نيلي روز" تبرمك بأقوالي ولكن أرجوك أن تنصتي إلي وتعيريني سمعك . إن للمسألة ناحية أخرى ينبغي ألا اخفيها عنك لقد نشأت على الترف والفت حياة الرفاهية . وكذلك شأن أمك . ومما يؤسف له ..

وسكت فقالت تستحثه :

- ومما يؤسف له ؟

- أه .. ينبغي أن اكاشفك بالحقيقة يا "نيلي روز" .. إنك تعلمين أن مدام "ديتول" عهدت إلي بأن اتولى استغلال ثروتها - أو جزء منها فقط بكل أسف . ولست تجهلين أن أمك مطبوعة على حب الإسراف والبذخ . ولقد اشتد الجفاء بينها وبين أبيك بسبب ذلك إلى درجة حملته على أن يسافر في أوائل الحرب إلى رومانيا فامضى هناك زمنا طويلا وهو يرجو أن يكون في ذلك ما ينقص مصروفاته إلى قدر معقول . وحين ادركته المنية كانت ثروته قد نقصت كثيرا . ولم تشأ أمك أن تأخذ بنصحي فظلت على دأبها ولوعة بالبذخ والإسراف وزاد الطين بلة إقدامها على المضاربة في البورصة أخذة بمشورة قوم لا يفقهون في الأعمال المالية . فكان طبيعيا أن تتكبد خسائر جمة .. والآن قد أدركها الخراب .. الخراب التام .. ولم يعد لديها باقيا ما يكفي للانفاق ستة أشهر !

وفي هذه المرة لم تضحك "نيلي روز" ! ! أصغت إليه وقد شحب لونها وغاض البشر من محياها واختلجت شفتاها .. إنها تحب أمها وتعلم أن المسكينة لا يمكن أن تطيق حياة الفقر والفاقة .

وغمغت تقول :

- يا إلهي .. ! مسكينة أنت يا أمي العزيزة .. ! ليت شعري ماذا تنوين أن تصنعي ؟ إن الفقر والغنى يستويان عندي . ! إن في وسعي

ان اعمل واكتسب رزقي واروض نفسي على اي لون من ألوان الحياة
اما هي .. ! هذا مخيف يا قالنيه .. ! ستكون امني انعس النساء .. فما
العمل إذن ؟

وكان قالنيه شديد التاثر . ولكن حبه كان من ذلك النوع الاناني
فاقترب منها وقال :

- اقترني بي يا نيلي روز .. ! اقسم لك اني سامكن امك من ان
تعيش على النحو الذي تشاء .. لن اغير شيئا مما الفت من حياة
الترف والرفاهية . وساجعلك انت اسعد النساء .

ولقد كانت حقيقة بان تزجره وتؤنبه على هذا العرض الاناني القائم
على شقوتها وتعاستها . ولكنها أدركت ان هذا المعنى لم يخطر له وان
الحب غشي على عينيه فلم يفهم ما تنطوي عليه كلماته من معاني
المساومة . فقالت في مرارة :

- معنى هذا اني ساكون الشخص الوحيد الذي يضحي بنفسه!
- تضحين بنفسك .. ! ما اقساها من كلمة .. ! إنها تعبير ناب ! أين
هذه التضحية يا نيلي روز .. ؟ اتعتبرين الزواج مني تضحية ؟
فحدجته بنظرة ثابتة ثم قالت في ثورة :
- نعم ...

وما انفرجت شفتاها عن هذه الكلمة حتى عادت تلوم نفسها على
قسوتها . ثم قالت في صوت رقيق محاولة ان تخفف عنه ما عراه من
الم :

- اصغ إلي يا قالنيه .. مازال امامنا ستة اشهر .. فلننتظر إذن
سنة اشهر .. نعم .. إذا ما انقضت ستة اشهر ولم ينقذنا شيء انا
وامي ..

فقال قالنيه معترضا :

- ينقذ كما .. ! إنك تعبرين عما يجول في خاطرك بعبارات غريبة .
إذن ففي نجاتك دماري ! في خلاصك من هذه الازمة المالية القضاء
على حبي .. ! ولكنني مطمئن اشد الاطمئنان .. ! ما عساك تؤملين ؟
اترجين ان تهبط عليك من السماء ثروة مفاجئة ؟ ام تؤملين ان تقعي
على زوج غني .. ! إذا كان لابد من الزواج برجل غني يا نيلي روز فلاكن

انا هذا الرجل . !

ونطق "فالنیه" بهذه الكلمات الاخيرة في صوت متهدج يفيض مرارة وتأثراً إلى درجة مضحكة لم تملك الفتاة عندها أن ابتسمت .

وقالت :

- قد تتم النجاة بطريقة أخرى . !

- اية طريقة ؟

- ميراث أبي مثلاً ؟

- ألم إصارك أكثر من مرة يا "نيلي روز" بأن ثروة أبك قد ذابت وتبددت . ! وإذا كنت تقصدين بقولك هذا ينابيع البترول الموجودة في رومانيا فاعلمي إذن أن حديثها حديث خرافة لا ظل له من الحقيقة . !
- وما مقدار علمك بهذا . ؟ أتريد أن تزعم أنك على بينة قاطعة من الأمر ؟

- لقد حدثتني أمك عن هذه الينابيع . وأنا رجل أعمال خبير بالأسواق ، واستطيع أن أميز الزيف من الحق ؟ وهانذا أعيد عليك القول بأن حكاية البترول هذه حكاية ملفقة . ! كلام فارغ .. إن الأمر فيما أذكر يتعلق بينابيع للبترول في رومانيا على مقربة من حدود "بولونيا" . ليس كذلك ؟

- لقد اشترى أبي الجزء الأكبر من أسهم هذه الينابيع ولكن لم تسلم إليه في الوقت المناسب فمات قبل أن تصل إلى يديه أثناء اجتياح الجيش الألماني للأراضي الرومانية . وبناء على التحريات التي قمت بها أنا وأمي تيقنا أن شراء الأسهم قد أخذ جميع أوضاعه القانونية وأنه ليس هناك شك في أن أبي قد أصبح مالكا لهذه الأسهم .
- وقيمة هذه الأسهم عظيمة بلاربيب ؟

- نعم .. وقد اشتراها أبي بثمن بخس عند اشتعال نيران الحرب .
ويقدر ثمنها الآن بأربعين مليوناً من الفرنكات أي بما يعادل مليوني جنيه .

فهز "فالنیه" كتفيه وقال :

- من هذا استطيع أن أفهم أنك لست في حاجة إلى ثروتي . !

ثروتي الحقيرة الوضيعة بإزاء هذه الملايين . ! ولكن أي برهان لديك

على أن أباك أصبح مالكا لهذه الينابيع . إلى أي دليل تستندين في المطالبة بها ؟ إلى من عهد أبوك بمستنداته ووثائقه التي يثبت بها حقه ؟ إن من الحماسة أن تركني إلى مثل هذه الأوهام !

- لقد علمنا منذ أيام من مصدر جدير بكل ثقة أن أبي عهد بوثائقه قبيل وفاته إلى رجل روسي كان وثيق الصلة به . وقد رجع هذا الروسي إلى بلاده في الفترة الواقعة بين اكتساح رومانيا وبين نشوب الثورة الشيوعية في روسيا .

- وهل تعتقدين يا عزيزتي "نيلي روز" أنه سيكون في وسعك أن تعثري على هذه الوثائق في تلك البلاد التي تسودها الفوضى ! لا بد إذن من حدوث معجزة . !

فابتسمت الفتاة وقالت :

- ولم لا تقع المعجزة . ! إنني أنا نفسي ممن يؤمنون بالمعجزات !
قد تستغرب أن يصدر هذا الرأي من فتاة تشتغل بالأبحاث العلمية التي لا تستند إلا إلى الحقيقة . ولكن فلتعلم إذن أن في نزعة إلى الخيال والتعلق بالأوهام . ولطالما تخيلت أن هناك شخصا سيهبط علينا فجأة حاملا إلينا الوثائق التي تثبت أحقيتنا في هذه الثروة . فضحك "فالنيه" وقال :

- وهذا الشخص سيكون جميلا طويل القامة كفرسان القصص الخرافية !

فضحكت "نيلي روز" بدورها وقالت :

- ولم لا . ؟ لك أن تسخر من فارسي الخرافي كيف شئت . ولكن يجب ألا يغيب عنك أن الاستسلام إلى الأحلام يخفف شقاء الحياة كثيرا . نعم .. إن فارسي الخرافي سيكون باهر الجمال يرتدي ثوبا من القطيفة الموشاة بالذهب . وسيأتي إلي على ظهر جواد وهو يردد أنشودة حلوة يتحدث فيها عن استخفافه بالموت والاختار وولعه بالمغامرات .

- إنه إذن أفاق من أبطال الروايات ؟

- نعم .. ولوع بالنضال والحرب . ! ينقض على أعدائه وفي يده مسدس وبين أسنانه خنجر ماضي النصل . ! وينتصر !

فابتسم "قالنيه" وقال :

- في عصرنا هذا انعدم الفرسان الروائيون من هذا النوع . إنك فيما
أرى تكثرين من الاختلاف إلى دور السينما حتى أفسدت مخيلتك . !
هؤلاء الفرسان الذين تتحدثين عنهم لا يظهرون إلا في الروايات يا تبلي
روز . !

- بل يظهرون في الحياة يا "قالنيه" .. إذا حالف الحظ الإنسان .. !
ونظرت إليه طويلا .. وابتسمت ... !

الفصل الثالث

بدا الربيع ولكن الثلوج كانت لاتزال تغطي السهول في روسيا .
وكان البرد لايزال يتساقط من السماء كالقطن المندوف .
واستيقظ اهل القرية الصغيرة الواقعة على مقربة من الحدود
"البولونية" وخرجوا يتسللون من اكواخهم الحقيبة وفي سيماهم
امارات الفاقة والجوع والاضطهاد .

وعلى درج الكنيسة جلس رجل يغني لحنا شعبيا على انغام
القيثارة .. وكانت للرجل هيئة الشحاذين الذين يستجدون الناس .
وكان وجهه لاينم على عمره الحقيقي .. على راسه قبعة عتيقة عريضة
الحواف ادركها البلى وقد ارخى حوافها على جبينه واذنيه . وكانت
هناك ضمادة سوداء قذرة تدور حول وجهه وتحجب إحدى عينيه .
وكان ثوبه مصنوعا من القطيفة التي حال لونها وانتشرت فيها
الخروق . اما حذاؤه فكان ممزقا تبرز منه اصابعه . وقد شد على
كتفيه خرجا ضم فيما يلوح جميع ما يقتني هذا الشقي من متاع
الدنيا : كسر من الخبز .. ومزق من القماش وزجاجة فيها قليل من
الماء .

ومضى الرجل يعزف ويغني وقد احتشد حوله نفر من الناس
يستمعون إليه وهم يبتسمون لقبح صوته وسوء عزفه .

واخيرا امسك عن العزف وبسط قبعته يستجدي الإحسان . ولكن
سامعيه كانوا على حال من الفقر يضمنون معها بالنقود . غير أنهم
احسنوا إليه بما استطاعوا فاعطوه خبزاً وشرابا يدفئ به اوصاله في
هذا البرد القارس بل لقد حملت إليه إحدى النساء قطعة من الجبن
وإناء مملوءا بالحساء والجزر فالتهمه على عجل التهام المنهوم
الشرة.

واظهاراً لشكره راح يعزف من جديد . ثم حمل فيثارته على كتفه إلى
جانب خرجة ونهض واقفا في تناقل . ومضى في طريقه يمشي مشية
المتعب المنهوك القوى وقد تقوس ظهره تحت ثقل الخرج ومال راسه

على صدره فكان بذلك صورة حية ناطقة للبائس الذي قضت عليه
الأيام بان يمضي حياته شريداً يهيم على وجهه في الطرقات
يستجدي الناس ويأكل مما يتصدقون به عليه.

ولما خرج إلى أطراف القرية عرج على غابة قريبة فدخل إليها وما
لبث أن ابتلعتة وحجبته عن العيون .

وهناك رفع الشحاذ نراعه في نشاط فأزال الضمادة التي تحجب
عينه وبسط جسمه فزال تقوس ظهره . وفي غمضة عين- كانما كان
ذلك بسحر ساحر - انقلب رجلاً آخر : بين الثلاثين والأربعين .. طويل
القامة موفور النشاط مغتول العضلات . أما عيناه الخامدتان
البلبدتان فارتدتا تتوقدان ذكاء . وتتالقان حيوية . وتنمان عما يمتاز به
من الصلابة وقوة العزم .

وهكذا اختفى الشحاذ فجأة . وظهر مكانه "أرسين لوبين" .. !
خرج "لوبين" من الغابة بعد لحظات ونظر في رسم يحمله بين
المساك والطرقات المختلفة . وفي ركن الرسم هذه الجملة :

«الصليب يبين موضع الآبار . ويؤسفني أنه ليس في وسعي أن
أزودك بمعلومات كافية تهدي بها إلى طريقة فتح الصندوق إذ لأعلم
لي بشيء من هذا . أما عن الطفلة ..»

وتابع "لوبين" طريقه المغطى بالثلوج وبعد مسيرة ساعة أو أكثر
لاحت له على البعد حديقة كبيرة يكتنفها سور مرتفع . وبدأت له أبراج
القصر وسط الحديقة . كما رأى إلى يسارها ضيعة مشيدة من أكواخ
حقيرة .

ورجع إلى الرسم مرة أخرى .. نعم .. هذا هو المكان المنشود..
هذه هي الشجرة الكبيرة المنقوشة .. وهذه هي الضيعة .. وهذا هو
النهر الصغير وقد علتة طبقة من الثلوج .

واجتاز "لوبين" السهل واتجه إلى الضيعة الموحشة .. كانت مهجورة
لايقطنها أحد .. وقد أدركها الخراب .. ورأى قبالتها فناءً .. وفي وسط
الفناء بئر .. وسار "أرسين لوبين" إلى البئر ومال فوق حافتها فرأى
معولاً مشدوداً إلى خلفة فيها .. وتناول المعول ثم مشى ست خطوات
وقد أولى ظهره إلى ناحية البئر ووجهه إلى القصر .. ثم انعطف

خطوتين صوب اليمين .. وعند ذلك وقف مكانه فازاح الثلوج التي تغطي الأرض عند موضع قدميه .. ثم مضى يضرب الأرض بمعوله .
استمر "لوبين" يحفر طويلا ثم بدرت من بين شفتيه آهة تدل على الابتهاج .. أصاب المعول جسما صلبا معدنيا .. وضاعف "لوبين" من جهوده . وانكشفت الفجوة عن صندوق صغير من الصلب مدفون في باطن الأرض .

وأخرج "لوبين" الصندوق .. وفي غير تردد هشم قفله بمعوله ..
واخذ بصره عقد ذو خمس شعب من الماسات واللآلئ !
وغمغم يقول :

- يا لله ! ياها من قطعة نادرة . ! يا لها من ثروة جسيمة . !
وكانت اللآلئ جيدة الصقل متشابهة الشكل كبيرة الحجم .. فدرس العقد في جيبه وهو يبتسم ابتسامة الرضا .
على أنه لم يقنع بما أصاب . إن المعلومات التي لديه تنبئ بوجود شيء آخر ، فلاشك أن هناك مخبأ خفيا في نفس الصندوق، وطال بحثه على غير جدوى ، حتى لقد طاف بذهنه أن يهشم جوانب الصندوق وفجأة أصاب إصبعه جزءا من جانب الصندوق يتحرك إذا ضغط عليه ويكشف عن جيب خفي . وفي هذا الجيب رأى أوراقا أرفقت بها بطاقة عليها هذه الكلمات :

«في شهر مايو من عام ١٩١٧ عهد إليّ صديقي "أوجين ديتول" بهذه الأوراق لاتكفل بتسليمها لأسرتي . وهانذا أودعها هذا الصندوق مع عقد من اللآلئ خاص بزوجتي . فإذا قدر أن يحل بي السوء فرجائي إلى من يعثر على هذا الصندوق أن يتم هذه المهمة النبيلة على قدر الطاقة» .

«كونت فالين»

ونشر "لوبين" الأوراق والقى عليها نظرة عاجلة .. إنها مستندات ووثائق تتعلق بالملكية . ومرفق بها إيصال هذا نصه :

«وصلني من مسيو "أوجين ديتول" الفرنسي الجنسية والمقيم بميدان "تروكاديرو" بباريس مبلغ ثلاثمائة ألف فرنك قيمة حصته في ثمن شراء مناجم "سيدوتيز"

وكانت في الجيب أيضا صورة فوتوغرافية لبنت صغيرة كتبت في ركن منها هذه الكلمات :

نيلي روز في العاشرة من عمرها .

ولم يكن "لوبين" فضوليا متطفلا .. لقد عهدوا إليه بالبحث عن الصندوق وقد اهتدى إليه فليس من شأنه أن يحاول أن يفهم ماجاء في هذه المستندات والوثائق .. ها هو ذا الصندوق بما فيه .. وعند هذا تنتهي مهمته .. في سبيلها عانى وكابد وجاع وحرّم نفسه ملذات الحياة وارتنى الثياب العتيقة البالية .. ولقد نجح فحسبه هذا .

ولكن .. اتراه نجح حقا .. ! إن المهمة الكبرى ما زالت باقية أمامه !
ودس "لوبين" الأوراق والمستندات في جيب سترته الداخلي ثم رد التراب والثلوج إلى مكانها من الحفرة .. ثم سار إلى البئر فالتقى بالصندوق في جوفها وأعاد المعول إلى حيث كان وانصرف .
وقد سره أن الثلوج كانت لاتزال تتساقط .. فقد تراكمت على آثار قدميه ومحتها فلم يعد هناك دليل على أنه زار هذا المكان منذ دقائق .

واجتاز السهل ومر بإحدى الضياع ، وود لو عرج عليها ليتناول مشروبا ساخنا يخفف عنه أثر هذا البرد الشديد الذي يهرا أعضائه :
ولكنه أثر أن يتابع سيره مكتفيا بأن يتناول بضع جرعات من الشراب الذي تصدق به بعض المحسنين عليه .

ومر في طريقه بالقصر فالقى كل الدلائل تنبئ بأنه مهجور لا يقيم فيه مخلوق .. فهذه نوافذه موصدة ، وأبوابه مغلقة ، ومداخله لا ينبعث منها خيط من الدخان .. وحين بلغ الناحية الخلفية من القصر اهتدى إلى الطريق الذي يبحث عنه ، فجد الخطى في رشاقة ومرونة دون أن ينزلق ولامرة واحدة على الثلوج الناعمة اللزجة .

وانتهى به المسير إلى إحدى الغابات ... ورأى كوخا قائما على قيد خطوات منه .. ولم يكن مهجورا .. فهاهوذا الدخان يتصاعد من مدخنته !

وانزوى "لوبين" خلف إحدى الأشجار وعيناه على الكوخ .. وكان الانتظار ممضا اليما ، والبرد يكاد يقتله . وأخيرا ارتسمت على شفثيه ابتسامة الرضا و الارتياح .. هذي فلاحه عجوز قد خرجت من

الكوخ وقد اشتملت بدثارها وسارت لاتلوي على شيء .
وحين غابت عن بصره قام "لوبين" من مكانه ودارحول الكوخ حتى
انتهى إلى الفناء الملحق به فتسلق الجدار في خفة وعبر الفناء .
وقبل أن يقرع الباب عاد إلى الرسم الذي يحمله فوجد في ذيله هذه
الكلمات :

« اما الطفلة فلك أن تتصرف في أمرها على ما تهوى ، فإذا عن لك أن
تأتي بها فلامنع لدي . ولكن يجب أن تعلم أننا لن نصيب ثمنا عن
إحضارها .. فإن لنا في العقد الكفاية .. وربما المستندات والوثائق
ايضا .. فافعل مابدا لك على ألا تستهدف للأخطار .. »
ودق "لوبين" باب الكوخ .
ولم يسمع جوابا .

وسار إلى النافذة فالفأها موصدة من الداخل ، ولكنه استطاع أن
يحرك مزلاجها بالاستعانة بأداة صغيرة دسها تحت المصراع وانفتحت
النافذة ووثب إلى الداخل .

وفي وسط الغرفة رأى بنتا صغيرة تتراوح سنها بين السابعة
والثامنة جميلة الوجه ، ولكنها شاحبة نحيفة البنية ، وعليها ثوب
خلق أدركه البلى .

ونظرت إليه الطفلة في فزع ورعب وقد اتسعت حدقتها .
وابتسم "لوبين" في وجهها دون أن يدنو منها وقال في صوت رقيق
عطوف :

- لاتخافي مني يا ابنتي .. لن أسيء إليك على الإطلاق .. الست انت
« استاسيا » ابنة الكونتس "فالين" ؟ .

ولم تقو الصغيرة على إلقاء الجواب إليه لشدة ذعرها فحنّت رأسها
دون أن تتكلم ، فاسترسل "لوبين" يقول :

- والعجوز التي تتولى تربيتك تضربك وتسيء إليك . ؟ اليس كذلك .
إذن فانت شقية بائسة . ؟

فحنّت الطفلة رأسها إيجابا دون أن تتكلم . !

- اهي المرأة التي خرجت الآن . ؟

وللمرة الثالثة أحنّت الطفلة رأسها .

نعم .. إنها شقية بائسة .. وهذه المرأة تضربها .. وتعذبها !
ولوبين بطل المغامرات .. الرجل الذي خبر الدنيا وذاق حلوها
ومرها .. لم يملك أمام شقاء هذه الطفلة إلا أن يتنهد حزنا .. وعلى رغم
ما يستهدف له من الأخطار .. وعلى الرغم من نداء الحكمة قال :

- اتحبين أن تأتي معي ؟

وفي هذه المرة لم تجب الطفلة على الإطلاق فعاد يقول :

- اتحبين أن تأتي معي .. ؟ سأذهب بك إلى امك !

فاكتاب وجه الصغيرة وانحدرت الدموع من عينيها وقالت :

- لقد ماتت امي .. وكذلك أبي .

واقترب منها لوبين وقد أخذته الشفقة عليها وقال :

- كلا يا بنيتي .. إن امك لم تمت .. لقد أوفدتني لآتيها بك .

ورمته الفتاة بنظرة تنطوي على الاستغراب .

- اذكرين يا ابنتي الميدالية التي كانت امك تعلقها في عنقها وفيها

صورتك ؟

- نعم

- حسنا .. هاهي ذي الميدالية .. انظري إليها وتاملوها .. لقد

اعطتها امك لي حتى تثقي بي وتعلمي اني موفد إليك من قبلها .

وما إن رأت الطفلة الميدالية التي تذكرها بماضيها السعيد بين

ذراعي أمها حتى طفقت تبكي .. وعصر الحزن فؤاد لوبين .

- اسرعي يا صغيرتي .. متى تعود المرأة ؟

- في هذه الليلة ..

- واين تنامين أنت ؟

- في الغرفة العليا .. وحدي .. إن النوم على انفراد يفزعني ..

ولكن وجودي معها يفزعني أيضا .. ! إنني أخاف منها أكثر مما

أخاف الوحدة !

وقال لوبين :

- مادمت تنامين وحدك في الغرفة العليا فلن تعرف المرأة أنك هربت

معي إلا في الصباح حين تنادي عليك .. وفي الصباح سنكون قد

هجرنا هذه البلاد وأصبحنا في مأمن منها .. ولكن لابد من الطاعة

العمياء يا "استاسيا" .. أريد منك أن تطيعيني بلا مناقشة .. لاتخافي مني وكوني شجاعة .. إنك ضعيفة يابنيتي ولا اظنك ستقدرين على السير طويلا .

- بل أقدر .

فضحك وقال :

- فليكن ولكني مع هذا ساحملك يا "استاسيا" .

وانزل خرجة عن كتفيه وأخرج منه غرارة كبيرة وقال :

- ادخلي في هذه الغرارة يا ابنتي وساحملك على كتفي . وبذلك لن

يؤذيك البرد ولن تتساقط عليك الثلوج .. والآن انصتي إلي .. مهما

حدث لا تتحركي ولا تنظفي بكلمة واحدة .. أريد أن يعتقد من يراني أن

في الغرارة كومة من الثياب وإلا اتصل الأمر بالمرأة واستردت ثانية .

وأنت بالتأكيد لاتريدين أن تعودتي إليها .

- كلا . لا أريد .

- إذن عليك بالصمت والطاعة والشجاعة .. فهل تعدينني بذلك ؟

- أعدك .

ودخلت الطفلة إلى الغرارة وحملها "لوبين" على ظهره وخرج .

ظل "لوبين" يسير سحابة النهار وشطرا من الليل . ولم يكف عن

السير إلا فترات وجيزة قدم في خلالها الطعام والشراب إلى

"استاسيا" .

مرحلة بعد مرحلة .. وقرية بعد قرية .. في البرد و الثلوج ...

والطفلة رابطة في داخل الغرارة .. ساكنة لاتتحرك .. وهو يسير

بلاهواة ينزع قدميه من الثلوج التي تبدو وكأنها تريد أن تعوقه عن

السير .

وانقضى النهار وتبعه الليل .. ثم انطوى الليل بدوره وبدا الصباح

يرسل إشراقه على الكون .

وعرج "لوبين" على إحدى الغابات وحط الخرج على الأرض وخرجت

الطفلة من الغرارة فاقتربت منه وقبلت جبينه وقالت :

- ما أطيبك !

فابتسم لها وقال :

- وانت ما اشجعك .. ! لقد كنت عاقلة وشجاعة ومطبعة الم تعودي
تفزعين مني .. ؟

- كلا .. ولكن متى أرى أمي . ؟

- في هذا المساء .. اتحبينها كثيرا .. ؟

فتالق وجه الصغيرة وقالت :

- كثيرا جدا .. إنها أطيب الأمهات .. !

وارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتي "لوبين" .. أطيب الأمهات ..
ومثلت في ذهنه صورة سيدة جميلة رشيقة تفيض عذوبة .

وبعد أن أصاب مع الصغيرة قسما من الراحة ردها ثانية إلى
الغرارة وحملها على ظهره وعاد إلى السير .

وتتابعت ساعات النهار .. واحدة إثر الأخرى .. وأخيرا .. بعد
الظهر بقليل .. تراءت له على البعد اللوحات التي تعلن أنه صار على
مقربة من الحدود "البولونية" .. ! أخيرا .. انتهى إلى الغاية التي
ينشدها .

وعرج "لوبين" على قرية تقع على ضفة نهر كبير متسع هو الحد
الفاصل بين "روسيا" و"بولندا" .. تلك هي الحدود وهنا وهناك رأى
شراذم من الجنود الحمر وهم يخفرون الحدود وقد تسلحوا بالبنادق
على حين اجتمع نفر منهم في مركز الجمرک .

واقترب "لوبين" من أحد رجال الشرطة وقال :

- أريد أن أعرف إذا كان هناك طريق يمتد على ضفة النهر ؟

فحدج الشرطي بنظرة فاحصة وقال :

- لماذا تسال .. ؟ اتنوي أن تغامر روسيا ؟

- كلا .. كلا .. وإنما أريد زيارة ابن عم لي يقطن هناك .

- أين أوراقك الشخصية .. ؟

فقدم الصعلوك أوراقه إلى الشرطي الذي فحصها وردها إليه ثم
أنباه أن هناك طريقا يمتد على طول النهر . فقال "لوبين" :

- حسنا .. ساستريح برهة ثم أتابع طريقي .

وجلس "لوبين" على الأرض على مقربة من مرسى المعبدة التي تعبر
النهر بين الشاطئين "الروسي" و"البولوني" وكان هناك نفر من رجال

البوليس يخفرون مدخل المرسى ولا يسمحون لاحد بالصعود إلى
المعدية إلا إذا ابرز جواز سفره .

وتناول "لوبين" فيثارتته وشرع يعزف وهو يغني في صوت منخفض
وقد التف حوله نفر من المسافرين الذين ينتظرون حلول دورهم في
ركوب المعدية . ولح "لوبين" بين المحتشدين فلاحه تلوح عليها امارات
اليسر والرخاء فنظر إليها وابتسم فردت عليه ابتسامته فشرع يعزف
لها لحنًا حزينا مؤثراً .

ولما انتهى من عزفه طاف بالحاضرين وقبعته في يده فاحسنوا إليه
بالقليل من المال أو كسر الخبز . ثم تحول إلى الفلاحة وقال يخاطبها
باللغة الروسية :

- كيف حالك يا سيدتي ؟

وتشعب الحديث بينهما فعرف انها فلاحه "بولونيه" وانها اعتادت
أن تجتاز الحدود مرة في كل اسبوع ومعها مركبتها لتبيع ما تحمل
من حاصلات في السوق الروسية .

وقال "لوبين" يسالها في صوت منخفض :

- امركبتك معك ؟

- نعم ..

واشارت إلى مركبة نقل ذات اربع عجلات . فقال :

- وجواز المرور من الحدود ؟

- معي .. وفضلا عن ذلك فحرس الحدود جميعا يعرفونني .

فاوما "لوبين" إلى الغرارة التي يخفي فيها الطفلة وقال :

- أترين هذه الغرارة الموضوعة على الأرض ؟

- نعم .. ماشانها ؟

- فيها طفلة صغيرة ساعدها إلى امها .

فهتفت المرأة في دهش وقد اذهلها الاعتراف :

- اوه .. ! ألا تخشى أن افصح امرك ؟

فاجابها في صوت رقيق :

- إنني عظيم الثقة بك . ! احملني الطفلة في مركبتك واعبري بها

النهر وسالطاك في هذا المساء .

ففكرت المرأة هنيهة وقالت :

- وأنت ؟ ماذا يكون من شأنك ؟ .

- سألقي بنفسي إلى الماء في جوف الليل .. إنني أجيد السباحة .

- سيقتلونك رميا بالرصاص .

- لأبد من المخاطرة على أية حال .

- حقا .. ! ولكن الخطر عظيم . ولم تعرض نفسك للموت ؟ .

- أمن أجل المال ؟ .

- كلا .. فإن لدي من المال ما يكفي .

- إذن لماذا ؟ .

- حب المغامرة .. هذا كل ما هناك . لمجرد التسلية ؟ .

وتناول فيثارتة ثانية ومضى يعزف عليها أعذب الألحان وهو يردد

الأغاني في صوت حنون رقيق وعيناه على الفلاحة لا يرفعهما كأنما

يوجه إليها هذه المعاني الحلوة التي تتحدث عنها الأنشودة . ومالت

المرأة إليه وجعلت تنظر في عينيه .

الزرقاوين الجميلتين . ورات فيهما طيف ابتسامة وابتسمت له

بدورها في حنان .

وانصرم النهار وأقبل الليل وغشي الأرض ضباب حجب الضفة

الأخرى .

وقالت الفلاحة "البولونية" :

- حان دوري لعبور النهر فاعهد إليّ بالطفلة .

وتناول "لوبيين" الغرارة من فوق الأرض ووضعها في المركبة دون أن

يفطن أحد إلى الأمر .

ومالت إليه المرأة تقول :

- لن تعبر المعديّة مرة أخرى في هذه الليلة .. فلدينا دقائق قليلة .

فإذا ما سمعتمني أفرقع في الهواء بالسوط فاقترّب من المركبة وتعلق

بها أنت أيضا فإن الليل دامس ولن يراك أحد .

فهز "لوبيين" راسه وقال :

- ولم تخاطرين .. ! لو أنهم كشفوا أمرى لساعت الحال .

فقالت المرأة وهي تبتعد :

- الحق بي .

وحين سمعها تفرقع بسوطها تسلل خفية إلى المركبة ووثب إلى داخلها دون أن يراه أحد .. لقد فحص رجال الشرطة جواز المرأة واذنوا لها بعبور النهر دون أن يخطر لهم ببال أن شخصا صعد إلى المركبة عقب فراغهم من فحص الجواز .

وسارت المرأة بمركبتها واجتازت المرسى حتى استقرت المركبة فوق المعدية .

وهمست المرأة تقول :

- الزم مكانك بين السلال الفارغة وإياك أن تتحرك .

ولكن توبين لم يشأ أن يلزم مكانه .. أبرز رأسه من بين السلال وادناه من المرأة وقال توبين هامسا :

- ميلي إلي برأسك قليلا .

فقال في حزم :

- كلا .. كلا ..

ومالت إليه برأسها .. !

- أسلميني شفتيك ومرة أخرى .. بنفس الحزم :

- كلا .. كلا

واسلمته شفتيها .. !

* * *

وبعد ربع الساعة وصلت المعدية إلى الضفة الأخرى .. إلى الحدود البولونية .. وفي حرص وحذر زایل توبين المركبة والغرارة مشدودة إلى كتفه .

وهناك .. في منزل قريب .. كان هناك رجل عند الباب ينتظر ..

وكان الرجل طويل القامة في الخمسين من العمر عريض المنكبين تلوح في سيماه أمارات القوة والبأس .

وما إن رأى الرجل توبين مقبلا حتى هرع إليه وهو يقول :

- أهذا انت يا "جبرار" .. ؟ هل أدركك التوفيق .. ؟

فاجابه توبين :

- تقريبا .

- هل جئت بالعقد .. ؟

- نعم يا "باراتوف"

- أعطني إياه .. !

- لحظة واحدة .. إنه في الخرج .

- والمستندات والوثائق .. ؟

- هاهي .. !

وأخرجها من جيب سترته فالتمعت عينا "باراتوف" وهتف يقول :

- إنك رجل عظيم .. !

ثم قال في صوت يدل عل يقلة الاكثراث :

- والطفلة .. ؟

وفي هذه المرة لم يجب لوبين على سؤال صاحبه .. وإنما استوى

جالسا على إفريز المنزل القريب ..

وكانت الفلاحة صاحبة المركبة لاتزال واقفة في انتظاره . ولكن

"أرسين لوبين" نسي ما كان من أمر الفلاحة معه وما كان من أمره معها

ونسي أن يمنحها قبلة الوداع .. !

الفصل الرابع

قال "باراتوف" يخاطب صاحبه :

- والآن هيا بنا إلى المركبة .

وصعد الرجلان إلى المركبة التي جاء فيها "باراتوف" .

واسترسل الروسي يقول :

- إذن فقد وصلت رسالتني في الوقت المناسب ؟

- بالتأكيد وصلتني وإلا لما جئتك بالعقد والوثائق .

- أكان الرسم واضحا والتعليمات كافية ؟

- نعم

وهو "لوبين" كتفيه في غير اكتراث . ومضى الروسي يقول :

- لقد عرفت كيف الجم السنة حرس الحدود "البولونيين" وكيف

اتغلب على فضولهم .. لقد ظفرت بمعونتهم دون أن اضطر إلى مكاشفتهم بما في نفسي .

وبعد برهة عاد الروسي يقول :

- إنهم ينتظروننا في بيتي كما تعلم .

فقال "جيران" (أي لوبين) :

- من هم الذين ينتظروننا ؟

- العميلان بالتاكيد .. أولا الكونتس "فالين" . وقد هبطت المدينة منذ

يومين ونزلت في أحد الفنادق ولكنها لاتفقا تتردد علي من حين لآخر

وتسألني عما إذا كانت قد وصلتني بعض الأنباء وعما إذا كنت اعتقد

أنك ستوفق في مهمتك . إن اللهفة تكاد تقتلها . ! ولا عجب ! فالطفلة

والعقد هما كل ما بقي لها من الحياة . !

فقال "لوبين" :

- إن العقد يساوي ثروة جسيمة .

- إذن فانت خبير بالجواهر الكريمة . ! نعم إنه يساوي ثروة . !

وهذا من حسن الحظ .. لقد اتفقت مع الكونتس على الشروط . وقد

نزلت عند إرادتي .

وضحك "باراتوف" ضحكة الانتصار وقال :

- ليتك تشهد قلقها وتلفها وانزعاجها . ! لو اني سالتها كل ما تملك لاجبتني إلى ما ابغي في غير تردد . ! والحق يا صديقي - ولست اكتم عنك هذا - إن هذه المرأة تفتنني ولي فيها مارب خاص . ! إنك تفهمني بالتأكيد . امرأة حسناء فاتنة .

وضحك مرة اخرى فقال "لوبين" في جفاء :

- اهي حسناء ؟

- نعم .

ثم اردف يقول :

- وهل نجحت في المهمة الاخرى ؟ إن هذه العجوز تنتظرك ايضا .

فابتسم "لوبين" وقال في تهكم :

- وهذه العجوز حسناء فاتنة ايضا ؟ اظنها فتنتك كالكونتس ؟

فضحك "باراتوف" وقال :

- يا لك من مرازح ولوع بالدعابة .

وساد الصمت بين الرجلين ، وكان صمنا يشوبه الجفاء .

لكل منهما ذوقه الخاص ومشاربه التي تختلف عن مشارب زميله .

نعم.. إنهما شريكان يعملان معا ولكن ما اعظم ما بينهما من تباين

واختلاف !!

ولقد بدأت هذه الشركة عقب الحرب الكبرى .

فـ "إيفان باراتوف" روسي ذو اتصال وثيق بالاوساط المالية وهو إلى

هذا مغامر جريء موفور النشاط عظيم الذكاء . وله في ابتزاز الاموال

اساليب فذة وقد حار رجال الشرطة في امره طويلا وهو اشد ما يكون

حرصا على الا يدع لهم سبيلا إلى مؤاخذته من الوجهة القانونية ..

كان محتالا في الواقع . ولكنه كان شريفا في الظاهر لم يقدم إلى

المحاكمة ولا مرة واحدة . وحين اجتاحت الشيوعية روسيا . هرب من

البلاد وتطوع في الجيش الفرنسي . هناك التقى بـ "ارسين لوبين" ..

وعاش الرجلان معا بضع سنوات يستهدفان لاختار القنابل

والرصاص ويبيطان في الخيام والخنادق .

ولما وضعت الحرب اوزارها سافر "لوبين" إلى "بولونيا" ينشد رفيق

الحرب "إيفان باراتوف" فوجده مشتغلا بأعمال التهريب بين الحدود البولونية والروسية .. يهرب البضائع .. ويهرب الثروات .. ويهرب الرجال والنساء والأطفال .. ! كانت الشيوعية كالاتون المتهرب لا يبقى ولا يذر . وكان "باراتوف" يتخذ من هذا الاتون كل من يستطيع .. وكل ما يستطيع لقاء ثمن معين .. عشرات من النبلاء والأشراف والأمراء هربوا من روسيا بمعونة "باراتوف" .. كنوز من اللؤلؤ هربت قبل أن تستولي عليها الحكومة الروسية . !

وطابت هذه المغامرات لـ "أرسين لوبين" فانضم إلى "باراتوف" وأصبحا شريكين .

ولكنها لم تكن شركة موفقة .. كان "باراتوف" لا ينشد من وراء أعماله إلا الربح المادي .. ولطالما عمل بلا قلب أو وازع من ضمير . كان المال غايته الكبرى .. أما "لوبين" .. فكان على النقيض من ذلك لا ينشد إلا المغامرة .. كان يرمي إلى "التسلية" كما قال للفلاحة التيعاونته على اجتياز الحدود .. وكم من مرة نشب الخلاف بين الرجلين ! وكم من مرة كاد حنان "لوبين" وشفقته ورحمته أن تفسد خطط "باراتوف" .

وضاق "باراتوف" ذراعا بشريكه ولكنه لم ينبذه إذ كان في حاجة إليه . في حاجة إلى نكاته .. ودهائه .. وجراته .

وكان "لوبين" أيضا في حاجة إلى شريكه .. لقد سئم المغامرات التي قام بها في "فرنسا" و"إنجلترا" و"ألمانيا" .. وكان في حاجة إلى لون جديد من المغامرات .. وفي "بولونيا" وجد ما يشتهي .. في "بولونيا" وجد مغامرات جديدة تصبو إليها نفسه فاقام واحتمل .

مشاربهما مختلفة .. أذواقهما متباينة .. هذا قاس وذاك رحيم . هذا نذل وذاك نبيل .. فليكن .. إنه لا يبالي بهذه الاختلافات .. حسبه إن تفضي هذه الشركة على الأقل إلى إلزام "باراتوف" حده وتلافي مساوئه وشروره .

وهكذا بقي الشريكان معا .. أم لعله ينبغي أن نقول "الغريمان" ! وكان المنزل الذي يقصدان إليه يقع على مسافة عشرين ميلا من الحدود . وخف الخادم إلى لقائهما وأخذ بعنان الجواد . وهبط

الرجلان من المركبة وحمل "لوبين" الغرارة التي فيها الطفلة على حين حمل "باراتوف" الخرج .

وعلى عتبة الدار كانت امرأة تعلو وجهها سمة من القلق أقبلت عليهما وهي تقول في انزعاج :

- "استاسيا" .. ؟ أين ابنتي ؟

فقال "باراتوف" :

- صبرا يا سيدتي .. صبرا .. ودعيني أقدم إليك أولا شريكي "جيرار" الذي طالما حدثك عنه .

- ولكن أرجوك أن تجيبي .. أين ابنتي ؟

- لقد عثر "جيرار" على العقد

فقال المرأة في صوت مرتعد :

- يا إلهي .. ! أسالك عن ابنتي فتتكلم عن العقد .. !

وبخلوا المنزل وتهالكت المرأة في إعياء على أحد المقاعد .

كان صمت الرجلين مريبا .. محطما للأمل .. ! إنهما إذن لم يأتيا

بابنتها .. ! لقد خسرت ابنتها وفقدتها إلى الأبد .. !

وكان "لوبين" في خلال هذا صامتا لا ينطق بكلمة واحدة والغرارة

مازالت مشدودة إلى ظهره . أما "باراتوف" فمضى إلى الغرفة المجاورة

ودعا إلى مرافقته ذلك الرجل الذي لقبه بـ "العجوز" أثناء حديثه مع

"لوبين"

* * *

ومرت بضع دقائق دن أن تتكلم الكونتس "فالين" .. ودون أن يتكلم "لوبين" .

وأخيرا .. سكن دمع المرأة ومسحت عينيها وقالت في صوت حزين مخاطبة "لوبين" :

- إذن فقد ضاعت ابنتي .. ألم تعثر لها على اثر يامسيو "جيرار" ؟

أرجوك أن تتكلم .

وأرسل "جيرار" بصره إلى الكونتس : شقراء رشيقة ممشوقة القوام

ترتدي ثوبا أسود رقيقا زاد من فتنتها وجمالها . وفي عينيها أمارات

الحزن واليأس والتعاسة . ومن الغريب أن حزنها كان هو وحده من

أسباب سحرها . !

وشعر "لوبيـن" بالراء لها .. وكان رثاؤه ممتزجا بالإعجاب . !
وارتسمت على شفـتيه ابتسامة . ابتسامة افتتان لم يخف معناها
على المرأة الذكية .

وارتعدت الكونتس حين قرأت في عينيه الرغبة الجارفة .
ودون أن ينطق "لوبيـن" بكلمة واحدة وضع الغرارة على الأرض
وكشف عن فوهتها فبدت ابنتها في داخلها .
وهتفت الكونتس في جزع :

- يا إلهي . ! اماتت . ؟

فابتسم "لوبيـن" وقال :

- كلا .. ولكنها نائمة . !

ووثبت الكونتس عن مقعدها وقد استخفها الطرب وجثت على
الأرض إلى جانب ابنتها وراحت تغمرها بقبلاتها .

- "استاسيا" . ! ابنتي . ! حبيبتي . !

وضمتها إلى صدرها في عذوبة وحنان .

وقال "لوبيـن" :

- إنني سعيد بنجاحي .. ولقد كانت ابنتك طيلة الرحلة مثالا

للسجاعة . !

فتمتمت الأم تقول :

- ولكنك أنت الذي أنقذتها . ! لولاك لما وقع عليها بصري . !

ليت شعري كيف أشكرك على ما استهدفت له من الأخطار .

وابتسم "لوبيـن" مرة أخرى واقترب من الكونتس .

ولكنه جمد مكانه فجأة .

من الغرفة المجاورة ارتفع صوت الرجل «العجوز» وهو يقول في

انفعال :

- هذا احتيال صارخ . ! إنك لص . ! كيف هذا . ! ألا تريد أن تعيد

إلي إلا نصف جواهري . ! لقد حذرني منك أصدقائي وقالوا عنك إنك

لص وضيع . !

وعلى أثر هذا فتح باب الغرفة وظهر على عتبتها "باراتوف" وهو

يدفع امامه الشيخ العجوز في وحشية حتى القاه في الطريق .

وهز "لوبين" رأسه وقال :

- إن "باراتوف" وحش في صورة إنسان !

وارتعدت المرأة اشمئزازا .

واسترسل "لوبين" قائلا :

- أرجوك يا سيدتي الا تبقي في هذا البيت لحظة واحدة . ! هذه

الدار ليست بالمكان الذي يليق بك .

وأخذ بيدها وسار بها إلى الحديقة . ولكن "باراتوف" قد جاء في

هذه اللحظة وصاح يقول :

- هيه .. "جيرار" .. أين العقد ؟ الم تقل لي إنه في الخرج ؟

إني لم أجده .

فقال "جيرار" في صوت يدل على قلة الاكتراث :

- هذا بديهي .. فإن العقد في جيبتي . ! إن جيبتي أمن كثيراً من

الخرج . !

فقال "باراتوف" في لهجة تدل على نفاد الصبر :

- هاته إذن . !

- ولماذا ؟ إن هذا العقد ليس ملكا لك يا "باراتوف" . !

- إني أملك جزءا منه . ساعيد إلى الكونتس ثلاث شعب منه .

أما الفرعان المتبقيان فلنا . لقد اتفقت معها على هذا .

- إنه اتفاق لايسري عليّ مادمت لم تستشرنني . !

- لقد عدلت عن رأيي ولهذا ساعيد العقد إلى الكونتس .. لست أريد

منها شيئا .

وهز الروسي كتفيه وقال :

- هذا شأنك أنت . ! أما أنا فأريد نصيبي . !

فقال "لوبين" في صوت حازم :

- لن تنال لؤلؤة واحدة يا "باراتوف" . !

فصاح "باراتوف" مزمجرأ :

- اجننت يا "جيرار" ؟ ما هذا الكلام الفارغ الذي تهذي به ؟ أتريد

أن تكذب وتعمل بلا جزاء ؟

وكانت الكونتس قد جمدت مكانها وضمت ابنتها إلى صدرها وراحت تصغي إلى حديث الرجلين في انزعاج .

وقال لوبين في تودة :

- إنني أعمل يا باراتوف لاسطي نفسي !! وهناك سبب آخر أيضا . !
وارسل بصره إلى الكونتس .

وقال باراتوف :

- وما هذا السبب الآخر ؟

- أريد أن أقهر شيئا أعتقد أن لاسبيل إليه . !

فقال الروسي في حنق :

- أي شي ؟

فصمت لوبين طويلا ثم قال :

- أريد أن أظفر من الكونتس بابتسامة واحدة . فإن هذه الابتسامة
أنفس من العقد . !

وغضت الكونتس من بصرها وتخضب وجهها احمرارا .
وقالت :

- ينبغي أن أرحل . إن الطفلة متعبة منهوكة القوى .. وغدا سأغادر
المدينة .

وتنحى لوبين عن طريقها فسارت الكونتس متجهة إلى باب
الحديقة ولوبين في أثرها يشيعها .

ولما اطمأن إلى أن باراتوف لا يسمعه قال في صوت منخفض :

- في هذا المساء سأزورك في فتدقك لأعيد إليك العقد ذا الشعب
الخمس .

ولم تجب الكونتس . وإنما مضت في طريقها صامئة .

وارتد "جيرار" إلى شريكه الذي كان يتمشى في الغرفة جيئة وذهابا
كالذئب المحبوس .

وصاح الروسي في حنق :

- أمسك الخبل ؟ ماذا فعلت ؟ أتريد أن تستأثر بالعقد وهو أنفـس

ما اتفق لنا في مغامرتنا . ! هات العقد . !

- ولا لؤلؤة واحدة يا باراتوف . !

- ولكن ما شأنك أنت بنصيبى .. ؟ إن العقد ملك لي . !
 - بل ملك للكونتس "فالين" . !
 - واي شأن لهذه المرأة عندك . ! إنك لن تراها مرة أخرى . !
 طيف لايكاد يبدو حتى يختفي .
 - ولو . ! حسبي الجزاء الذي سأناله . !
 فهز "باراتوف" كتفيه وقال :
 - وما نوع هذا الجزاء يا ترى . ؟ قبله . ! او ما هو أكثر من القبلة . ؟
 فقال "لوبين" في تودة :
 - أولى بك يا "باراتوف" ألا تسألني . ! لقد سمعت الآن هذه التهم
 القذرة التي رماك بها "العجوز" . فهناك إذن اعمال خفية تجري وراء
 ظهري وقد احتملتك طويلا ولكني أخشى ألا احتملك بعد الآن . !
 وتبادل الرجلان نظرات غاضبة . نظرات ترمي بالشر . ! كان
 "باراتوف" يعلل نفسه بأن يقهر الكونتس ويسلس قيادها . كان يمني
 النفس بأن يظفر بها دون صاحبه . ! ولكن ها هو ذا شريكه . بل غريمه
 "جيرار" يزاحمه في الميدان . ! ويدفعه عن طريق الكونتس ليحل مكانه
 يا للجشع . ! إن "جيرار" دائما محظوظ تقبل عليه النساء . اما هو
 "باراتوف" فقليل الحظ معهن . !
 وبعد برهة قال "جيرار" في صوت هادئ :
 - ومتى نتعشى فإني أموت جوعا .
 وقطب "باراتوف" جبينه . كان يعلم أن العقد في جيب "لوبين" وكان
 يفكر في هذه اللحظة في أن ينقض على غريمه فينزعه منه العقد قسرا .
 وعاد "لوبين" يقول :
 - مر لنا بالطعام .
 وصر "باراتوف" على أسنانه وأمر بالطعام .

* * *

فرغ الرجلان من الطعام وصعد "لوبين" إلى الغرفة المخصصة له في
 بيت "باراتوف" فاودعها خرجه ، وخلع ثيابه البالية التي كان يتنكر
 فيها بزي الشحاذين ثم رجع إلى صاحبه وقال :

- اسعدت مساء .. إني خارج . !

وكان "باراتوف" عليما بالمكان الذي سيذهب إليه "لوبين" ، فاستولى عليه الغضب وهز كتفيه ، ولم يحفل "لوبين" بغضبه وإنما أوما إليه بالتحية في غير مبالاة .. وغادر البيت .

وبعد دقائق كان في الفندق الذي تنزل فيه الكونتس "فالين" . وكانت الكونتس تشغل غرفتين في الفندق ، أرقدت طفلتها في إحداهما وجلست في الغرفة الأخرى وبين يديها كتاب تطالع فيه . ولكنها لم تكن تقرأ ، وإنما كانت تنتظر !

وعندما أنبئت بقدوم "جيرار" أخذتها الرعدة .. وبخل عليها الصعلوك في ثياب أنيقة .. وعلى شفثيه ابتسامة هزمتها وحررت ما كان متبقيا في نفسها من أسباب المقاومة . ومال "لوبين" فوق يدها يقبلها في شهامة وقال :

- كيف حالك يا سيدتي ؟ أرجو أن تكوني قد تغلبت على انفعالك وان تكون صديقتي "استاسينا" بخير . ؟

فقالت الكونتس وهي تومئ إلى باب الغرفة المجاورة الموارب :
- إنها الآن مستغرقة في النوم .

- اتسمحين لي إذن بأن أوصد هذا الباب فإني أخشى أن توقظها جلبة الحديث .

نطق "لوبين" بهذه الكلمات في صوت عادي هادئ .. ولكن شعورا مختلطا مبهما غزا قلب الكونتس .. إنه يريد أن يغلق الباب ليخلو إليها . ! ورائه وهو يوصد الباب .. ورائه وهو يدفع المزلاج خلفه . ! وارتعدت .

وأخرج "لوبين" العقد من جيبه ووضعه على المنضدة وهو يقول :
- هذا هو عقدك يا سيدتي يعاد إليك كاملا وسالما .. إنه ثاني كنز تكفلت بإحضاره ... ولست أرتاب في أن قيمته عندك لا تكاد تذكر إلى هنالك بعودة ابنتك إليك .

وتكلمت الكونتس قائلة :

- إني أكرر عليك القول يا سيدي بأنني مدينة لك باعمق الشكر ..
لقد استهدفت من أجلي - وانت لاتعرفني - لأخطار جمة وفي سبيل

امر لا يعينيك و ..

وراحت تبحث عن الكلمات .. أرادت أن تعبر عما تحس من شكر
واعتراف بالجميل نحو هذا الرجل الذي لم تلقه ولم يلقها إلا منذ
بضع ساعات .

وقال "لوبين" :

- بل إن الأمر يعينيني كثيرا يا سيدتي .. إنني رجل رقيق الحس
مرهف الشعور ، وقد اتصل بي أنك على جمال موفور ، ومن أجل هذا
كافحت الأقدار والطبيعة والثلوج كي استرجع "استاسيا" .. فلولا ما
بلغني عن جمالك لما حفلت بالأمر ، لقد علمتني أمي أن أسعى دائما
إلى إرضاء النساء ولو استهدفت حياتي للخطر .. وحسبي من
الحسنة جزاء ابتسامتها تلقيها إلي أو نظرة ترميني بها ..

واحمر وجهها وغضت من بصرها وبعد سكتة قصيرة قال "لوبين" :

- ما اسمك يا سيدتي ؟ .

ف قالت في استغراب :

- ولكنك تعرفه . ! إنني الكونتس "فالين" .

- هذا لقبك .. أريد أن أعرف اسمك .

- ولم تسال ؟ .

- إن الأمر يهمني .

- "ناتاشا" ..

- "ناتاشا" ! اسم جميل رائع . ! أتسمحين لي بالآ أناذك في هذه
الليلة إلا باسم "ناتاشا" أرجو ألا تغيب عنك حقيقة موقعي يا "ناتاشا" ..
إنني عائد من رحلة طويلة شاقة . حافلة بالأخطار .. رحلة لقيت فيها
الاهوال ، ولذلك كم يسعدني بعد هذه الرحلة أن أجد إلى جوارك شيئاً
من السلى والراحة .. إنك فاهمة بالتأكيد حقيقة موقعي يا "ناتاشا" . !
ولقد فهمت "ناتاشا" الموقف . !

إنه ما أقدم على هذه الرحلة المحفوفة بالمهاك إلا من أجلها .. من
أجلها هي . ! فمن حقه إذن أن يقتضيها الثمن .. وستكون «هي» هذا
الثمن . !

أعاد إليها ابتها .. وأعاد إليها عقدها ، والآن جاء يسالها الثمن .. !

وقرات في عينيه اللهفة .. والرغبة ، وحب الاستيلاء ، ولكن لم تكن لها القدرة على المقاومة .. !

أيام طويلة وهي تنتظر عودة ابنتها يعمر قلبها الرجاء والياس .. تتنازعها عاطفتان متباينتان .. وفجأة لم تر ابنتها ، فقدتها إلى الأبد ، فبكّت ، واستولى عليها الحزن والياس ، وفجأة رأت ابنتها أمامها ، في الغرارة ، وانتقلت من الحزن والياس إلى الفرح والابتهاج ، من النقيض إلى النقيض .

وهدت هذه الانفعالات الجارفة من قوتها .. وهدمت اعصابها ، وقضت على كل ما فيها من روح المقاومة .

ومال إليها "لوبين" يقول :

- "ناتاشا" .. لقد أعدت إليك ابنتك ، وأعدت إليك عقدك ، دون أن اطالبك بشيء . ودون أن أملّي عليك أي شرط ، إنك مطلقة الحرية يا "ناتاشا" ، ولست اطالبك بشيء .. !

وهدمت هذه الحرية .. هذا النبل و .. هذه الشهامة كل ما تبقى لها من روح المقاومة .. !

نظرت إليه .. ونظر إليها .

ثم بسطت إليه يديها وطوقت عنقه وقد اغمضت عينيها .. !
اغمضتهما .. منتشية حاملة ..

وعند الفجر غادر "لوبين" مخدع الكونتس .

وفي الصباح غادرت الكونتس الفندق .

غادرته وفي نفسها ذكرى لا تمحى .. ذكرى هذا الرجل الذي لا تعرفه والذي لن تراه مرة أخرى بعد تلك الليلة .

الفصل الخامس

امضى "لوبين" سحابة النهار التالي مستغرقا في النوم . وحين استيقظ ألقى شريكة "إيفان باراتوف" جالسا إلى مكتبه وهو منهمك في النظر إلى صورة منشورة في مجلة "فرنسا في بولندا" اقترب منه "لوبين" وألقى نظرة على الصور.. ثلاث صور تمثل فتاة حسناء في ثلاثة أوضاع مختلفة .

وقال "لوبين" :

- يالها من حسناء مليحة .. !

فادار إليه "باراتوف" رأسه وقال :

- هيه .. ؟ أهى حسناء حقا ..

- بل فاتنة .. ! اقرأ علي ما هو مسطور تحت هذه الصور .

ومال فوق المجلة أكثر من ذي قبل وقرأ في صوت مرتفع :

"لما رسلتنا في باريس .

ثلاثة أوضاع جميلة لفتاة فرنسية حسناء ننشرها بمناسبة اليانصيب الذي اعتزمت دار المعامل إصداره . فقد تعهدت هذه الفتاة بأن تعطي كل ما يطلب منها إلى الشخص الذي يتبرع بخمسة ملايين فرنك لهذه الأبحاث العلمية العظيمة ."

واخذ "لوبين" يضحك وهو يقول :

- تعطي كل ما يطلب منها .. ! أرجو على الأقل ألا تكون الصور

خداعة مضللة .. !

فقال "باراتوف" :

- إنها أجمل من صورها .. ! لقد غمطتها الصور حقها .. !

- أتعرفها .. ؟

- نعم .. فقد التقيت بها في العام الماضي اثناء إقامتي في باريس

في غضون سوق خيرية ، إن لها جمالا صاعقا ، وكانت تباع البرامج

وعرضت عليها قدحا من الشراب فأبت قبوله بحجة أن الشراب يدير

رأسها ..

- وما اسمها ؟..

- "نيلي روز ديتول".

وما نطق "باراتوف" بهذه الكلمات حتى ادركه الندم فقد هتف "لوبين" يقول :

- "ديتول" .. ! ولكن هذا هو اسم الفرنسي الذي اضاع في روسيا المستندات والوثائق التي جئت انا بها بالامس ؟

- إنه هو . وقد مات في رومانيا اثناء الحرب .. ولقد كانت الكونتس "فالين" هي التي انباتني منذ ستة اشهر بان الفرنسي اودع هذه الوثائق لدى زوجها الكونت "فالين" وان هذا دفنها في الارض حيث عثرت انت عليها مترقبا فرصة يرسلها فيها إلى مدام "ديتول" وابنتها "نيلي روز".

فقال "لوبين" :

- إذا كانت هذه هي "نيلي روز" فانا ايضا اعرفها من قبل .. !
انظر .. ! لقد عثرت على هذه الصورة مع الوثائق . إنها تمثلها وهي في العاشرة من العمر .

واخرج الصورة من جيبه وقدمها إلى "باراتوف" الذي قال في لهجة تنطوي على شيء من الخشونة :

- ولماذا احتفظت بها ؟

- الحق أنني لا ادري . ! لقد اعجبتني صورة هذه الطفلة الجميلة فدسستها في جيبى .. انظر إلى عينيها وما تنمان عليه من براءة وطهارة . إن هذا مائل في صورها الثلاث .. ولعمري إنها مسألة غريبة .. كيف تتقدم من كانت مثلها بهذا العرض الجريء الذي قد تستهدف معه إلى خطر محقق .

وبعد قليل قال في لهجة اخرى :

- اسمع يا "باراتوف" . إنك تنوي بالتأكيد ان تعيد هذه الوثائق إلى الفتاة وامها .

- هذا محتمل .. !

- أه .. دع المراوغة والخداع يا "باراتوف" . إن لهذه المسألة عندي اهمية خاصة .. إنها مقدسة في نظري .

فقال الروسي :

- وهي في نظري انا ايضا مقدسة .. ساحمل إليهما جميع هذه
الوثائق عند وصولي إلى باريس
- إذن فانت مسافر إلى باريس
- نعم .. في القريب العاجل
وبعد لحظات قال "لوبين" :

- وانا ايضا ساسافر إلى باريس . فليس لدي ما يشغلني هنا في
الوقت الحاضر .. لقد كانت رحلتي الأخيرة محفوفة بالمهالك حتى
أصبحت في حاجة إلى شيء من الراحة . وقد بت اتحرق لهفة إلى
باريس وإلى السفر إلى "نورماندي" لرؤية أمي وتقبيل يديها . ولكن
أتتوي ان تطيل مكثك في باريس ؟

- نعم

ثم أمسك عن الكلام ولم يشأ أن يصفح عن السببين اللذين يحملانه
على الرحيل . فهو أولا يريد أن يستمتع بالثروة العظيمة التي
اكتسبها من مغامراته . وهو يريد ثانيا أن ينأى عن مقر الجواسيس
الروس الذين بدعوا يلاحقونه ويتعقبونه بغية الفتك به.
ثم قال مسترسلا :

- في نيتي ان أرحل بعد خمسة عشر يوما على ان أقصد أولا إلى
"برلين" . ثم إلى "لندن" لإنجاز بعض الأعمال . وأنت ؟
- اما أنا فسأرحل قبل رحيلك .. بعد ثمانية أيام .. وسأطوف
بجنوب أوروبا .. إنني لست على عجل من أمري .. ولكننا سنلتقي في
باريس . أليس كذلك ؟
- بلى ..

وأرسل "باراتوف" بصره إلى النتيجة المعلقة على الجدار وقال :
- ولاضرب لك موعدا . ليكن لقاءنا في مساء ٨ مايو في "توفو"
بالاس في "الشانزلزيه" . وسأبرق لك بساعة اللقاء .
فقال "لوبين" :

- حسنا .. وسأنزل في البنسيون الروسي في "أوتي" . وبعد
مقابلتك سأرحل إلى "نورماندي" .

ثم نهض واقفا وهو يقول :

- سأتجول قليلا حتى يحين موعد الطعام .

وظل "باراتوف" يتأمل صور "نيلي روز" الثلاث .. لقد التقى بها في "باريس" في السوق الخيرية فأخذها جمالها وفتنه حسنهما وود لو استطاع أن يحتويهما بين ذراعيه ولكنها صدته والزمته حده .

ومضى يراجع الوثائق .. يالها من ثروة جسيمة ! ! أسهم تساوي كنزا ! ! إن هذه الثروة بين يديه . ولن يعيدها إلى أصحابها الحقيقيين إلا إذا أصاب منها نصيب الأسد .. ملايين جديدة تتراكم فوق ملايين العديدة .. وبعد فهو مسافر إلى "باريس" ليستمتع . وستكون "نيلي روز" هدفه الأكبر .. ! وبذلك ينتصر على "جيرار" (أرسين لوبين) الذي سلبه الكونتس "فالين" .. نعم .. لقد لاح على "جيرار" أنه بدأ يهتم بـ"نيلي روز" ولكن "باراتوف" سوف يظهر بها دونه بملايينه ... وبملايينها ! !

وجلس الروسي إلى مكتبه وحرر شيكا بخمسة ملايين فرنك باسم مدير دار المعامل . ثم كتب الرسالة التالية :

«أنستي العزيزة

«هل لك أن تفضلني بمقابلتي في اليوم الذي أحده ومهما كانت الظروف فيما بين منتصف الليل والساعة السابعة صباحا في مخدعك؟ إذا وافقت على هذا الرجاء فاصرفي هذا الشيك المرفق من البنك وإلا فمزقيه ..

وتقبلي اصدق عبارات "إيفان باراتوف" .

وأودع الرسالة ظرفا بعد أن أرفق به الشيك

وعلى الظرف كتب هذا العنوان :

«إلى الأنسة نيلي روز ديتول»

«دار المعامل»

«باريس»

ثم كتب خطابا إلى البنك الذي يعامله في لندن وطلب إليه أن يخطره إذا ما صرف هذا الشيك .

ومر أسبوع . وحين موعد سفر "أرسين لوبين" .. وإذ ذاك وقع بين

الشريكين - أو قل بين الغريمين - حادث ضاعف ما بينهما من سوء التفاهم فبينما كان "لوبين" يهم بالخروج وقد حمل معطفه على ذراعه تعدد أن يسقط من جيبه مجلة وقعت عند قدمي "باراتوف".
وقال الروسي :

- ما هذا ؟ .. أه ! مجلة «فرنسا في يولندا» .. هل ابتعت نسخة لنفسك ؟ لعمرى هل يهكم أمر "نيلي روز" يقول "إلى هذا الحد؟
فقال "لوبين" وهو يتناول المجلة :

- ولم لا .. ؟ يلوح لي أنك تغار مني ! أفي نيتك أن تتبرع بالملايين الخمسة لتتخذ من ذلك وسيلة إلى الوصول إلى الفتاة ؟
- سافعل ما يحلو لي فليس الأمر من شأنك .. ! ولكني أسالك أن تدع هذه الفتاة وشأنها ولا تهتم بها .

فهز "لوبين" كتفيه وقال :

- في وسعي أن أجيبك بدوري باني سافعل ما يحلو لي وأن الأمر ليس من شأنك ! ولكن لم الخلاف على فتاة لا شأن لها عندي ؟

ولكن إذا لم يكن "نيلي روز" شأن عند "أرسين لوبين" فإن لها كل الشأن عند "باراتوف" فقد تلقى في هذا الصباح برقية من البنك ينبئه فيها بأن الشيك صرف .. ! إذن فقد قبلت الفتاة شرطه .. له أن يزورها في مخدعها فيما بين منتصف الليل والساعة السابعة صباحا في أية ليلة يحددها .. !

وفي صباح اليوم التالي رحل "أرسين لوبين" . وكان الوداع الذي جرى بين الرجلين وديا يخفي في طياته ما يحسه كل منهما نحو صاحبه من نفور وتوجس .

* * *

ولم يكن "لوبين" على عجل من أمره كما قال . فقد حل أياما بـ"براغ" وإياما أخرى بـ"فينسيا". وما ترك مدينة إلا هبط فيها ، وفي كل هذه المدن كانت له مع النساء جولات وصلوات ، ولاعجب وهو الخبير بفن إغوائهن والاستيلاء على قلوبهن .

ومع ذلك فقد كانت تذكرى "نيلي روز" لا تزال تتردد في ذهنه ما بين يوم وآخر وقد استبد به الفضول .. ترى من تكون هذه الفتاة ؟؟

اهي فتاة متبذلة مستهترة ؟ . إن لم تكن فهي على الأقل من ذلك الطراز العصري الذي لا يحجم عن شيء و إلا فكيف نعلل هذا العرض الجريء الذي أقدمت عليه .. ؟

في أحد الأيام .. بينما كان في "فينسيا" طالع في إحدى الصحف الفرنسية نبأ لم يملك عنده أن ارتعد . لقد تبرع روسي يدعى "باراتوف" لدار المعامل بخمسة ملايين فرنك . !

ياله من شيطان . ! إذن فهو ينوي حقا أن يظفر بالفتاة . ! لاشك أنه متيم بها ، وإلا لما نزل عن خمسة ملايين من أجلها . !

إذن فعلى "أرسين لوبين" أن يعترض طريقه ويفسد خططه . ! كيف هذا ؟ . هذه الفتاة الرقيقة الوديدة .. التي لها وجه يحاكي وجوه الأطفال .. تقع فريسة لهذا الوحش الروسي . ؟ كلا .. ما كان "لوبين" ليحتمل هذه الفكرة .. على "لوبين" أن ينقذ الفتاة .. وعليه أيضا أن ينقذ "باراتوف" ويحول دونه وتبديد ثروته بهذه الوسائل الحمقاء . ! وفي صباح يوم ٨ مايو هبط "لوبين" باريس واحتجز لنفسه غرفة في البنسيون الروسي .. ووجد في انتظاره برقية من "باراتوف" يخبره فيها بأنه عدل موعد قدومه إلى باريس ، وأنه سيحضر بعد ظهر اليوم نفسه بالطائرة التي تصل إلى المطار في الساعة الرابعة ، وأنه سيكون في انتظار "جيرار" في الساعة السابعة في "توفو بالاس" . وغادر "لوبين" البنسيون الروسي بعد أن فرغ من تناول الغداء ، وممر بالفندق وسأل عن "باراتوف" ، إذ يحتمل أن يكون قد عجل موعد قدومه مرة أخرى ، ولكنه لم يجده .

وعرج "لوبين" بعد ذلك إلى ميدان "تروكاديرو" حيث تقيم "نيلي روز" وأماها ، ولم يكن ينشد معلومات جديدة ، وإنما جاء ينشد أن يرى الفتاة على البعد وأن يدرس موقع الدار التي تقطنها .

ثم مضى على أثر ذلك إلى دار المعامل .. وتحديث برهة مع البواب . - نعم . إن الأنسة "نيلي روز" موجودة . وهذه السيارة الصغيرة سيارتها .

ونظر "لوبين" في ساعته .. لم يحن موعد "باراتوف" بعد .. أمامه ساعة على الأقل .. فلم لا ينتظر ؟ .

وعلى الأثر وقف "أرسين لوبين" .. دون أن تكون في ذهنه فكرة معينة،
أو خطة معينة ، ودون أن يكون متأكداً من أن "نيلي روز" ستخرج ..
ولكنه مع هذا وقف ينتظر .. ينتظر خروجها . !

القسم الثاني

الفصل الاول

حين سمعت "نيلي روز" حديث "قالنيه" عن إفلاس امها وضياح ثروتها أدركها الحزن الشديد ، ولكنها إذ رأت امها لاتزال ماضية في حياتها على النسق الذي ألفته دون أن تبدل شيئا في عاداتها ، ودون أن تعتمد إلى الاقتصاد والعدول عن البذخ ، وقع في روعها أن "قالنيه" غالى وأسرف في القول ليحملها على قبول الزواج منه، فنسيت حديث الفقر والفاقة ولم تعد تفكر في الأمر .

وكذلك نسيت حادث دار المعامل وذلك العرض الطائش الذي تقدمت به متعهدة بأن تبذل من نفسها ماشاء كل من يتبرع للدار بخمسة ملايين فرنك ، ولكنها مع ذلك لم تملك أن تنكر أن شعورا خفيا غزا نفسها .. قلقا مبهما لاتدري كنهه تسلط على أعصابها وعاقها عن متابعة أبحاثها العلمية بنفس الإخلاص الذي كانت تعهده فيها من قبل . !

وفي ذات يوم حمل بواب دار المعامل إلى بيتها خطابا جاء باسمها إلى الدار ، وكان غلاف الخطاب يحمل طوابع "بولونيا" ، والعنوان مكتوب عليه بخط لاعهد لها به من قبل .

وفضت "نيلي روز" الغلاف ، فإذا فيه شيك وخطاب ..

أما الشيك فكان معنونا باسم رئيس دار المعامل وقيمته خمسة ملايين فرنك . وأما الخطاب فكان موجها إليها هي .. "إذا صرف هذا الشيك فمعنى ذلك أنك ستسمحين باستقبالي في مخدعك فيما بين منتصف الليل .. الخ .

وتخضب وجهها احمرارا .. "إيفان باراتوف" ؟ إنها لم تسمع بهذا الاسم من قبل ، فقد غاب عنها أنها لقيت صاحبه في سوق خيرية منذ عام ..

خمسة ملايين .. ولقاء في المخدع .. واخذتها رعدة ... ووجمت . !

مامعنى هذا ؟ وإلى أية غاية يرمى هذا الروسي ؟ وكيف عرف
بالعرض الطائش الذي تقدمت به ما دمت صحف فرنسا لم تشر إلى
الامر ؟

لاشك أن "زينيا" هي التي اذاعت الحادث في مجلتها "فرنسا في
بولندا".

ومضت "نيلي روز" إلى دار المعامل، وما راتها "زينيا" حتى أقبلت
عليها تقول :

- انظري .. جاعتي هذه المجلة في بريد اليوم !

وبسطت إليها نسخة من مجلة "فرنسا في بولندا" وفيها صورها
الثلاث تحتل منها الصدر . فقالت "نيلي روز" :

- امجنونة أنت يا "زينيا" ؟ ألم أقل لك ألا تشيرى إلى هذا الموضوع
بكلمة ؟

- وماذا تبتغين ؟ حسبك اني كتمت اسمك . انظري ! ما أجمل
هذا الوضع . ! إنني موقنة بأن نشر هذه الصور سيفضي إلى ضجة
ملحوظة . غداً ستنهال التبرعات !

وكانت الفتاة البولونية شديدة التحمس لفكرتها . فخشيت "نيلي
روز" أن تصارحها بما جاءت من أجله فظلت تطوي الامر وأرجاته إلى
فرصة أخرى .

وبعد ظهر ذلك اليوم قابلت "نيلي روز" مدير دار المعامل وأرته الشيك
ولكنها أبت أن تفضي إليه بسر الخطاب .
وهتف الأستاذ وقد استطاره الفرح :

- خمسة ملايين .. هذا عظيم . ! هذا رائع يا ابنتي . ! إذن
سنواصل أبحاثنا العلمية الجليلة . ! يا لها من دعاية واسعة النطاق !
غدا ستنهال علينا التبرعات من كل ناحية .

وما كانت "نيلي روز" لتشاطره هذا الابتهاج وهي تعلم السر في هذا
التبرع . ! وقالت :

- الحق يا سيدي اني خائفة .. هذا الرجل لايعلم من امري شيئاً
ولايعلم اني سكرتيرة الدار فلماذا أرسل إلي الخطاب وقد كان أولى به
أن يرسله إليك أنت مباشرة .

فقال الأستاذ ضاحكا :

- ايخيفك يا ابنتي أن يصل إليك شيك بخمسة ملايين . ! ومع ذلك
فما علينا إلا أن نرسل الشيك إلى البنك لنؤكد مما إذا كان صاحبه
جادا أم مازحا .

فهتفت "نيلي روز" في جزع :

- أرجو يا سيدي الرئيس ألا تطلب صرف الشيك . يكفي أن تستعلم
من البنك عما إذا كان هناك حساب كاف باسم من يدعى "إيفان
باراتوف" ؟

- إني اعدك يا ابنتي ألا يتناول أحد اسمك بسوء .

* * *

وبعد أيام من هذا الحديث استدعى المدير "نيلي روز" وابتدورها
بقوله :

- إذن فقد كان الامر جادا . هناك حساب باسم "باراتوف" . وقد
صرفت الشيك فعلا .

وما سمعت "نيلي روز" قوله حتى أجفلت وأدركها الجزع وهتفت :

.. صرفت الشيك فعلا . ! كيف هذا ؟

الم أسالك ياسيدي المديران تكتفي بطلب المعلومات والا تصرف
الشيك ؟

فقال المدير :

- وما الذي يضيرك من صرفه يا ابنتي . ! ايتريد المرء امام هذه
الغاية الإنسانية الجليلة . ! إن الشيك محرر باسمي وقد صرفته ..
وهذا كل شيء . ! وثقي بان هذا الشيك سيكون فاتحة خير وسيغري
آخرين بالتبرع وقد أمرت بإخطار الصحف بالامر .

ولم تر "نيلي روز" إزاء هذا التحمس إلا أن تنصرف وقد لاذت
بالصمت . فما كانت لتجرؤ على أن تكاشفه بان صاحب هذا الشيك قد
اشترط أن يمضي ليلة في مخدعها . !

ولقد أصاب الأستاذ "ليبييه" فيما توقع . فقد تحدثت الصحف كلها
عن هذه الهبة الكبيرة حديثا مستفيضا.والفت "نيلي روز" نفسها

فريسة لإحساسات شتى متباينة . أحست بالزهو والفخار لأن جمالها . أغرى رجالا على أن يتبرع بخمسة ملايين فرنك وفي الوقت ذاته لم تملك إلا أن تتوجس وتستريب .

لقد صرف الشيك ومعنى هذا أنها قبلت شروط "إيفان باراتوف" .

معناه أنها ستسمح له بأن يمضي ليلة في مخدعها . !

ومضت "نيلي روز" إلى "زينيا" وأقبلت تسالها :

- أتعرفين رجلا يدعى "إيفان باراتوف" ؟

- لست أعرفه ولكني سمعت عنه .. إنه رجل واسع الثراء متقدم في

السن يمضي الشطر الأكبر من السنة في "بولونيا" .

ثم أردفت البولونية :

- ولكن لم تسالين ؟ لاشك أنه قرأ مقالي في مجلة "فرنسا في

بولندا" ، فتبرع بهذه الملايين الخمسة . ولكنه تبرع بريء .. حب

افلاطوني . مادام لم يطلب شيئا لقاء ملايينه .

ولم تجب "نيلي روز" ولم تشأ أن تكشف صديقتها بأن الرجل طلب

أن يمضي ليلة في مخدعها .. وما كانت "نيلي روز" لتجهل الخطر الذي

تستهدف له . ! ولكن ما العمل ؟ لقد وعدت وتعهدت . ولا مفر أن تبر

بعهدا .. !

وتتابعت الأيام .. خمسة .. فثمانية .. فاسبوعان . ولم يجد حادث

جديد . ولم تسمع باسم "باراتوف" مرة أخرى . اتراه عدل عن تنفيذ

شرطه .. !

وفي خلال ذلك كان لدى "نيلي روز" ما يشغلها ويملا قلبها بالأسى

والحزن . لقد عرفت أن "فالنية" كان على حق حين قال إن أمها أفلست .

لقد اعترفت أمها بالحقيقة في أحد الأيام عندما ألح عليها أحد الدائنين

بالوفاء .

اعترفت في يسر وهدوء . ودون أن تذرف دمعة واحدة . وكان "فالنية"

حاضرا هذا الاعتراف .

وقد عقب عليه بأن أخذ يتحدث عن الخطر الداهم الذي يتهدد "نيلي

روز" . وتحدث عن الخراب المنتظر . والفضيحة المرتقبة .

ثم أخذ يتحدث عن غرامه . ولم يعد إذ ذاك "فالنية" الفتى الخجول

وإنما عاد رجلا آخر مضى يعرض اقتراحه في جراحة وقحة .. إنه يضع ثروته رهن إشارتها لينقذها .. ولينقذ أمها .. على أن تتزوجه .
لقد استغل النذل تعاسة المراتين لتحقيق اغراضه .
وودت "نيلي روز" لو استطاعت أن تصفحه وقالت في ياس وقنوط :
- أمهلني إذن اشهرًا ستة .

ولكنه أجاب :

- كلا .. وما الداعي لهذا الانتظار الطويل . لابد من جواب عاجل ..
والفت "نيلي روز" نفسها في موقف حرج . وكانت حزينة من أجل أمها بنوع خاص . أمها التي اعتادت حياة البذخ والترف والتي لا يمكن أن تروض نفسها من جديد على حياة الفقر والفاقة . ولم يكن في وسعها أن ترد "فالنيه" خائبا وترفض الزواج منه رفضا باتا قاطعا .
ولم يكن في وسعها في الوقت ذاته أن تجيبه بالقبول . وكانت مدام "ديتول" تحبذ فكرة الزواج وتؤيدها . وكانت "نيلي روز" نفسها لاتجهل أنه سيحين وقت قريب سترضى هي أيضا بالزواج .
وكانما أرادت مدام "ديتول" أن تبرهن لابنتها على أن هذه الأزمة المالية قليلة الأثر وأنها لاتبالي بها . أو كأنما أرادت أن تنفس عن صدرها همومها فعولت على أن تقيم في دارها حفلاً ساهراً .
وايد "فالنيه" الفكرة وقال :

- ولنعلن خطبتنا في هذه الحفلة .

وأشاحت "نيلي روز" بوجهها دون أن تجيب . والاسفاه . كانت تشعر دائما بأن الهوة بينها وبين "فالنيه" عظيمة عميقة . أما "فالنيه" ففسر صمتها على أنه قبول منها لاقتراحه ومضى يتولى بنفسه امر تنسيق الحفل وإعداده .

وحدد يوم ٨ مايو موعداً لإقامته .

وكان مفترضا أن تحدد "نيلي روز" في هذا اليوم موقفها حيال "فالنيه" تحديدا نهائيا ، فإما أن ترتضيه زوجا لها وإما أن ترفض اقتراحه .

وفي هذا اليوم بالذات هبط بارييس رجلا . رجلا لا تعرفهما "نيلي روز" . ولكن أحد الرجلين التقى بها مرة من قبل أما الثاني فلم ير إلا

صورتها .

وكان كلا الرجلين طامعا فيها يشتهي أن يظفر بها .
وبعد ظهر ذلك اليوم كانت "نيلي روز" في دار المعامل تزاوّل عملها
كالمعتاد وسيارتها الصغيرة في انتظارها عند الباب . على حين كان
"أرسين لوبين" يتمشى على الإفريز وهو يتربّع خروجها حتى يظفر
برؤيتها .

وفي تمام الساعة الثالثة غادرت "نيلي روز" دار المعامل وقبل أن
تصعد إلى سيارتها رأت مركبة تبّيع الأزهار فأقبلت عليها وابتاعت
منها باقة أزهار الزنق ثم استوت جالسة على مقعد السيارة وقد
وضعت الباقة إلى جوارها .

على أنها ما ابتعدت عن دار المعامل عشرين مترا تقريبا حتى خرجت
إحدى سيارات التاكسي من منعطف الطريق واصطدمت للسيارتان
وقفز سائق التاكسي إلى الأرض وصاح بالفتاة :

- عال جدا .. ! هذه نتيجة السماح للفتيات بقيادة السيارات.
ووثبت "نيلي روز" إلى الأرض بدورها .
واسترسل السائق يقول :

- لقد حطمت الرفرف الأيسر يا سيدتي .. ! مامعنى هذا ؟ ..
أهذه طائرة أم سيارة .. ! هل أنت على موعد مع صديق .. ؟ لماذا هذا
الإسراع إذن .. ! حقا .. إن النساء ..
وكاد يسترسل في وقاحته وسلطة لسانه لولا أن شعر بيد تأخذ
بتلابيبه ..

وكانت يد "أرسين لوبين" .. !
كان واقفا على الإفريز ينتظر الفتاة .. وراها وهي تستقل السيارة ..
ورأى الحادث ، وعرف أن السائق وقع سليط اللسان فخف إلى نجدة
الفتاة . وقال "لوبين" وهو يدفع السائق في عنف إلى سيارته :

- أطبق فمك يا رجل . كل شيء سيسوى ؟ ..
- سيسوى .. ؟ هذا كلام يقال .. ؟ انظر .. لقد تهشم الرفرف .. !
فقال "لوبين" وهو يرفع السائق بيديه ويجلسه على مقعد السيارة :
- مكانك .. وإياك أن تفتح فمك بكلمة أخرى ؟ ..

- وألسيارتان ! لقد تشابكتا ولا بد من أدوات أخرى لفصل إحداهما عن الأخرى .

فصاح به "لوبين" :

قلت لك أطبق فمك وإلا قطعت لسانك .. ؟

واستطاع بقوته الفولاذية أن يبعد سيارة "نيلي روز" عن سيارة السائق بعد أن تشابكتا .

ثم فتح باب السيارة الصغيرة وانحنى أمام "نيلي روز" في رشاقة فعرقت أن في وسعها أن تمضي إلى سبيلها . فصعدت إلى سيارتها بعد أن أحنت رأسها تحييه وتشكره وقالت :

- أشكرك يا سيدي .. ؟

وفتنه صوته .. كما فتنته من قبل صورتها .

وصاح السائق من جديد :

- كيف هذا ؟.. كيف ادعها تمضي في سلام .. لابد من إبلاغ البوليس .. لقد تهشم رفرقي .. ؟

فصاح به "لوبين" :

- كفى .. ؟

وحانت لفظة من "لوبين" فرأى على الأرض عودا من أعواد الزئبق ، لقد سقط من سيارة "نيلي روز" .

تناول "لوبين" عود الزئبق وأخرج من محفظته ورقة مالية قدمها إلى سائق التاكسي وهو يقول :

- اصعد إلى سيارتك وعجل .. ؟

وبعد لحظات كانت سيارة التاكسي قد اتجهت في نفس الاتجاه الذي سارت فيه سيارة "نيلي روز" .

وكان "أرسين لوبين" منزويا داخل التاكسي .

الفصل الثاني

مضت "نيلي روز" بسيارتها صوب الجراج حيث أودعتها هناك .
وإذ ذاك أدركت أن عود الزنبق غير موجود .. لقد سقط بلاشك أثناء
نزولها من السيارة عقب وقوع الحادث .

وعند خروجها من الجراج رأت سائق التاكسي .. لم يتقدم إليها
شاكيا متذمرا ، وإنما تقدم وقبعته في يده اليسرى احتراما ..
أما يده اليمنى فكانت مبسوطة إليها وفيها عود الزنبق ..

وعجبت "نيلي روز" للامر .. منذ لحظات كان هذا السائق أشبه
بالوحش الهائج فما الذي رده ذليلا مجاملا لطيفا ؟ .. وادارت بصرها
فيما حولها فلمحت على قيد خطوات ذلك الرجل المجهول الذي أنقذها
من غضبة السائق منذ هنيهة .

وحنى الرجل رأسه تحية لها .. ودهشت "نيلي روز" .. وقطبت
جبينها . ولكنها لم تملك إلا أن أومات برأسها ترد عليه تحيته ثم
أشاحت بوجهها وتابعت طريقها على عجل .
وتحول السائق إلى "لوبين" وقال :

- والآن ؟ -

- لاشيء .. ! يمكنك أن تنصرف ! !

واستدار "لوبين" ومضى متجها إلى "نوفو بالاس" وقد ترك السائق
وراءه مشدوها .

وبعد دقائق قليلة وصلت "نيلي روز" إلى منزلها فألقت أمها راحة
غادية بين القاعات المختلفة وهي تصدر التعليمات والأوامر استعدادا
للحفل الساهر . على حين جلس فرسانها الأربعة إلى إحدى الموائد
يلعبون البريدج .

وصاحت بهم مدام "ديتول" :

- بالله .. ! إنكم ترعجونني .. ! انتقلوا إلى قاعة أخرى واغلقوا
الأبواب عليكم والعبوا كيف شئتم .

وأطاعها فرسانها في غير تردد وانتقلوا إلى غرفة التواليت .

وجاءت "نيلي روز" في هذه اللحظة فلما رأت أمها منهمكة في العمل
أسرعت إلى مخدعها لتبدل ثيابها ، بعد أن وضعت عود الزنبق في
إناء على منضدة في المخدع .

وحين دخلت غرفة "التواليت" رأت الفرسان الأربعة يلعبون البريدج
وصاحت بهم :

- انتم هنا . ! اخرجوا بالله عليكم فإني أريد أن أبدل ثيابي .
وخرجوا جميعا عدا "فالنیه" الذي اقترب منها وهو يقول :

- "نيلي روز" ..

- اوه . ! أرجوك أن تخرج أنت أيضا . !

- اسمحي لي بكلمة صغيرة اليوم ستلقين إليّ جوابك النهائي
بالقبول . اليس كذلك ؟

- "فالنیه" . ! أرجوك أن تخرج . ! وإلا أغرقك بالماء . !

وتناولت انبوبة الدوش وسددها إليه ، فلما رأت خوفه ضحكت
وقالت :

- أرجوك يا "فالنیه" أن تعهد إليّ "فيكتورين" بأن تحمل إليّ فستانتي .
- سأنذهب يا "نيلي روز" . ! ولكن اعلمي أولا أنك أجمل امرأة وقعت
عليها عيني . !

وسار إلى الباب ثم التفت إليها فجأة وقال :

- ألم تقرئي صحف بعد الظهر . ؟ لقد جاء فيها أن "إيفان باراتوف"
يصل اليوم إلى "باريس" .

فارتعدت "نيلي روز" وقالت :

- هيه . ؟ ماذا تقول .. ؟

- "باراتوف" .. الروسي الذي تبرع بالملايين الخمسة . لقد حجز
لنفسه جناحا في "نوفو بالاس" .

ثم خرج دون أن يفتن إلى ماعراها من اضطراب وانزعاج ، لقد جاء
"باراتوف" إذن إلى باريس . ! أترأه قد جاء ليصفي الحساب . ! لا بد أن
تلقاه وتحاول أن تثنيه عن عزمه . !

وأسرعت إلى التليفون واتصلت بفندق "نوفو بالاس" وقالت :

- أريد أن أخطب مسيو "باراتوف" من فضلك .

إنه لم يصل بعد ياسيديتي .

- ولكنه سيأتي اليوم حتما . ؟

- لقد أخطرنا بهذا تلغرافيا ياسيديتي .

- أرجوك أن تخطره إذن أن الأنسة "ديتول" ستحضر لمقابلته في

صباح الغد .

- الأنسة "ديتول" ؟ حسنا ياسيديتي .. ولكن يوجد الآن في جناح

مسيو "باراتوف" صديق له ينتظر قدومه فهل تحبين أن نتحدثي إليه ؟

- نعم .. حول إليه الخط من فضلك .

أما هذا الصديق فلم يكن إلا "أرسين لوبين" .

فبعد حادث اصطدام السيارتين مضى إلى الفندق وسال عن

"باراتوف" فعلم أنه لم يصل بعد فآثر أن ينتظره فصعد به أحد الخدم

إلى الجناح المخصص للروسي .

وتهاك "لوبين" على أحد المقاعد وأنشأ يفكر في "نيلي روز" .. لقد

صدق "باراتوف" حين قال إنها أجمل من صورها بكثير . ! نعم .. وإنها

فتاة باهرة الحسن . ! وإنها لنكبة كبرى أن تقع فريسة هذا الوحش

الروسي ، ولكن "لوبين" بالمرصاد ولن يسمح بوقوع هذه النكبة .

وفجأة دق جرس التليفون . وتناول "لوبين" السماعة :

هناك سيدة تسال عن مسيو "باراتوف" ياسيدي .

- من هي ؟ .

- الأنسة "ديتول" .

- "نيلي روز" ؟ هذا عجيب . ! ولماذا تريد أن تتصل بـ "باراتوف" ؟

صلني بها إذن لاتحدث إليها .

وحرص "لوبين" وهو يتحدث إلى "نيلي روز" أن يغير من صوته حتى

لاتعرفه .

- نعم يا سيدتي .. إنني صديق مسيو "باراتوف" وشريكه . فهل

تحبين أن تعهدي إلي برسالة أتولى إبلاغها له . ؟

- نعم يا سيدي .. إنني أريد أن أقابل مسيو "باراتوف" . (وهنا بان

التردد في صوتها) لقد عهد إلي مجلس إدارة دار المعامل بالاتصال به

في شأن حفل تكريم تريد الدار إقامته له . فأرجو أن تبلغه أني

سازوره غدا صباحا .

- حسنا ياسيدتي .. ولكن هل أنت الآنسة "ديتول" نفسها ؟

- نعم .

- وإذا وصل مسيو "باراتوف" اليوم فهل يمكنه أن يقابلك اليوم أيضا ؟

فصاحت "نيلي روز" في شيء من الذعر :

- كلا .. كلا .. إنني مشغولة اليوم .. أن لدينا الآن حفل استقبال ..

غدا صباحا سأحضر إلى الفندق في الساعة الحادية عشرة .

- حسنا .. سأبلغه رسالتك يا أنسة .

رد "لوبين" سماعا للتليفون مكانها ومضى يفكر .. لقد دق ناقوس الخطر .. هناك صلة إذن بين "باراتوف" و"نيلي روز" .. وإلا لما سعت إلى مقابلته .. أما زعمها بأنها تريد أن تتحدث إليه في شأن حفل تكريم فاكنوبية صارخة .. ما كان "لوبين" بالغبي الذي يخفى عليه ما غشي صوتها من تردد .

دق ناقوس الخطر فعليه أن يبادر بالعمل إذن قبل فوات الوقت .

إن "باراتوف" لن يصل إلى الفندق إلا في الساعة السابعة مساء ..
والآن الساعة الرابعة .. فليمض إذن إلى دار مدام "ديتول" وليحاول أن يرى الفتاة عن كثب ..

ولم يتردد "لوبين" في تنفيذ خطته .. وفي جراحة لاتعهد إلا فيه قصد إلى مدام "ديتول" وتخطى العتبة كأنه صديق قديم .. ولم تقف به الجراحة عند هذا الحد فقد تقدم إلى مدام "ديتول" وقبل يدها على بطريقة لايقدم عليها إلا الأصدقاء الخالصاء . ودهشت المرأة إذ لم تكن لتذكر هذا الوجه الغريب عنها . ولكن وقع في روعها أنه لابد أن يكون صديقا لابنتها ..

وكانت هناك مشاهد رقص استعراضية ومشاهد هزلية تعرض على المدعوين ، فلما انتهى المشهد الثالث هرع المدعوون إلى قاعة الطعام ، ودار "لوبين" بعينه في المكان يبحث عن "نيلي روز" .

ورأها تتحدث إلى شاب أنيق يضع (مونوكلا) على عينه وسمع أحد الواقفين إلى جواره يقول :

- اليس هذا الشاب هو خطيب "نيلي روز" ؟
واقترَب "لوبيِن" منهما دون أن تراه الفتاة ، وأدرك من لهجة الحديث
الذي يدور بينهما أن هذا الشاب لا يمكن أن يكون خطيباً لها .
وقال الشاب :

- إنه حفل رائع يا "نيلي روز" ؟
- الفضل راجع إليك يا "قالنِيه" !
- لا تتحدثني عن هذا .. حسبي أنني سعيد جداً الليلة! إلا تحبين أن
تتناولي شيئاً من المرطبات ؟

- نعم .. قدح من عصير البرتقال من فضلك .
وغاب "قالنِيه" برهة ثم عاد يحمل إليها قدح البرتقال . وقال :
- إذن فقد اتفقنا على الكيفية التي نمضي بها السهرة ؟ الأوبرا أولاً
في الساعة التاسعة . وبعدها نذهب إلى مرقص "بوتلييه" .
فقالت الفتاة معترضة :

- كلا يا "قالنِيه" ! إنني متعبة الليلة . سأذهب إلى الأوبرا ولكنني لن
أبقى إلى النهاية . سأغادرها في الساعة العاشرة . إن لدي عملاً كثيراً
في الغد وأرجو ألا تنبئ أُمِّي بتخلفي .
- إذن سارافقك في العودة . !
- كلا . شكراً .. سأستقل تاكسيًا .

وبدأت الموسيقى تعزف . ورأى "لوبيِن" أن الفرصة المواتية قد حانت
فتقدم إلى الفتاة وحنى رأسه يدعوها إلى الرقص دون أن ينطق بكلمة
واحدة.

ورفعت إليه "نيلي روز" بصرها في دهشة واستغراب وقد كادت
شفتاها أن تفلتا أله الذهول . ! هذا هو الرجل الذي أنقذها من غضبة
سائق التاكسي . ! هذا هو الرجل الذي جاءها بعود الزنبق الذي سقط
منها . !

لبثت "نيلي روز" برهة مشدوهة ذاهلة . ما معنى هذا . كيف تراه
بين المدعويين ؟ إلى أية غاية يرمي بتعقبه لها ؟ وكيف تؤاতিه الجراة
على أن يتبعها حتى إلى دارها .
وهمت "نيلي روز" بأن ترفض مراقبة هذا الرجل الغريب المجهول.

ولكنها مالبثت ان عدلت عن رايها وليت دعوته دون ان تنطق بكلمة واحدة .

وبين ذراعي الرجل الغريب المجهول رقصت "نيلي روز" . وكان رقصها رائعا . خيل إليها ان سحرا قد اشتملها واحتواها . عجيب امر هذا الرجل . ! هذي اول مرة شعرت فيها بان للرقص فتنة وسحرا . ! وكفت الموسيقى عن العزف . وتخلصت الفتاة من بين ذراعي الغريب المجهول . وانحنى هذا امامها . صامتا لا يتكلم . ثم ابتعد متجها إلى الردهة .

وظلت "نيلي روز" تتابعه بعينيها حتى توارى . مضى "لوبين" إلى الردهة وتناول معطفه وقبعته واتجه إلى باب الخروج . ولكنه لم يخرج .

الفصل الثالث

نعم . لم يخرج "أرسين لوبين" .

فقد أراد أن يكمل مهمته وأن يجوس خلال مسكن "نيلي روز" ..
لقد علم من البواب أن الأنسة تشغل من الطابق جناحا خاصا يتصل
بالسلم بباب مستقل صغير .

وسار "لوبين" إلى الجناح الذي تشغله "نيلي روز" . في نهاية الدهليز
باب يفضي إلى هذا الجناح فاستطاع "لوبين" أن يبلغه دون أن يفطن
إلى أمره أحد . واستطاع أن يتسلل إليه خفية .

على أنه لم يكن يدري مع هذا ما ينوي أن يفعل في مسكن "نيلي روز"
العله يريد أن يستنشق الهواء الذي تستنشقه الفتاة ؟ العله يريد أن
يعيش لحظات خاطفات في هذا الجو الذي تعيش فيه تلك الفتاة التي
كادت أن تدير رأسه ؟ أم لعله يريد أن يتابعها . ويطاردها . ويقتفي
أثرها ويهيج إحساساتها ويزعجها ويشيع الانفعال في نفسها .. ؟
وبهذه الطريقة يتمكن من التسلط على أعصابها ؟

وسار إلى مخدع الفتاة . ورأى عود الزنبق مرشوقا في إناء . ! إذن
فقد احتفظت به ! وشاع الابتهاج في نفس "لوبين" . ولم يخطر له أنها
احتفظت بعود الزنبق إكراما له . !

وطاف "لوبين" بالغرف واحدة بعد الأخرى . وملا خياشيمه عطر
جميل . العطر الذي تتعطر به "نيلي روز" .. ! وأحس إذ ذاك كل ما للفتاة
الحسنة من سحر يطغى على مشاعره ويدير رأسه . واستحوذ عليه
شعور واحد ، هو أن يملكها ويحتويها بين ذراعيه . ومرت لحظة وهو
يحلم ، ويفكر ويتصور .

ونفض عنه فجأة ثورة انفعاله . وغادر مسكن "نيلي روز" . ولكنه
رجع إلى قاعة الرقص . واقترب من رئيس فرقة الموسيقى وهمس في
أذنه يطلب منه أن يعيد عزف لحن الغالس الذي كان يعزفه أثناء رقص
"لوبين" مع "نيلي روز" .

وعزفت الفرقة لحن الغالس .

وكانت "نيلي روز" جالسة مع الفرسان الأربعة في قاعة الاستقبال المجاورة ، ولكنها ما كادت تسمع لحن الفالس حتى زابت مكانها ودخلت إلى قاعة الرقص . لقد ذكرها هذا اللحن برقصتها السعيدة مع هذا الغريب المجهول الذي لا تعرف حتى اسمه .

وعلى عتبة القاعة جمدت مذهولة .. مأخوذة .. هذا هو صاحبها هذا هو الغريب المجهول .. كانت قبعتها في يده ومعطفه على ذراعه . وفوق المعطف عود الزنبق .

لبثت "نيلي روز" برهة تحملق إليه ثم أسرعته تجري إلى مخدعها . ترى .. أهذا العود هو عودها ؟ أبلغت الجراة من الرجل إلى هذا الحد ؟ لم - جد "نيلي روز" عود الزنبق في مخدعها . واستولى عليها الغضب . ماذا ينبغي هذا الرجل ؟ وكيف جسر ؟ وإلى أية غاية يرمي بهذه المطاردة ؟ .

وعولت على أن تتحدث إليه وتؤنبه .

ورجعت إلى قاعة الرقص . واقتربت من الغريب المجهول والغضب لا يزال أخذاً منها واقبلت عليه تقول في جفوة بل في وحشية :
- من أنت ؟

ابتسم وقال :

- صديق .

- ولكنني لست أعرفك .. وأي حق يخول مطاردتي بهذا الشكل . وكيف سمحت لنفسك بدخول مخدعي ؟

فاجابها في هدوء ورقة :

- دخلت مخدعك لأخذ عود الزنبق .

- سيدي . هذا اعتداء غير لائق على حرمة مخدعي . ! ولست أجد عذرا أبرر به فعلتك .

- أسالك الصفح يا أنسة . لقد أسعدني أن أراك احتفظت بعود الزنبق ..

وكان في قوله هذا إهانة جديدة .

وهزت "نيلي روز" كتفيها وقالت :

- احتفظت به مصادفة .. ومع ذلك فليست أسمح لك بأن تأخذه .

- أرجو أن تدعيه لي .

- مستحيل .. ارمه على الأرض .. إنني لا أسمح لك مطلقاً بأن تاخذ
عود الزنبق .

فقال "لوبيّن" متوسلاً في صوت رقيق :

- أرجوك ؟ ما قيمة هذا العود عندك ؟ لاشيء ! ! أما أنا
فسأحتفظ به إكراماً لذكرى رقصة الفالس التي رقصناها معا !..
أرجوك .

وأعاد عليها هذه الكلمات في صوت رقيق . مليء بالحنان . وكانت
عيناه تتوسلان إلى عيني الفتاة .
وذاب غضب "نيلي روز" .. ولم تزجره .. وغزا قلبها شعور
بالاستسلام .

وغضت بصرها وظلت صامته .

وسار "لوبيّن" إلى الباب وهو لا يرفع عينيه عن وجه الفتاة حتى
توارى .

* * *

استقل "لوبيّن" تاكسيا طار به إلى البنسيون الروسي في "أوتي".
وانزوى في ركن السيارة ومضى يدخن .. وكان سعيداً .. هاقد بدأت
مغامرة جديدة .. مغامرة مليئة بالحب والحياة .. ؟
حين احتواها بين ذراعيه وهو يراقصها رقصة الفالس شعر بالعطر
الذي يتضوع من شعرها يغزو قلبه وكيانه .. وشعر بأن عليه واجباً
حيال هذه الفتاة .. إنه مطالب بأن يحميها من الآخرين .. ومن
"باراتوف" على الأخص .

إن "نيلي روز" ليست بالفتاة المستهترّة الخليعة .. إنها طاهرة نقية
كالطفلة البريئة . فمن الإجماع إذن أن يدعها إلى الذئب الروسي
يلتهمها ويفترسها .

وحين بلغ البنسيون الروسي دعا إليه صاحبه - وكانت له به معرفة
وثيقة قديمة - وقال له :

- اسمع يا "إيجور" .. أريد منك أن تسدي إليّ خدمة .

- إنك تعلم يا "جيرار" أنني رهن إشارتك .. فلولاك لكنت الآن منفيًا

في 'سيبريا'. او لكنت بعبارة اخرى جثة هامدة .

- اليس في هذا البنسيون سائقو سيارات .. ؟

- بلى .. لدينا ثلاثة من سائقي التاكسي يشغلون الغرف الصغرى .

- اليس من بينهم من يمكن ان يكون اهلا للثقة .. ؟

- بلى إنهم جميعا اهل للثقة .. إنهم يعلمون انك انقذتني من النفي
وانك انقذت عشرات من الروسيين من الاتون البلشفي ، فهم يحبونك
ويحترمونك . ويمكنك ان تستخدم من بينهم 'ابراتيف' فهو مخلص
كتوم .

- ايعود في هذا المساء ياترى .. ؟

- إنه موجود الآن إذ إن نوبته لا تكون إلا ليلا .

- حسنا .. ادعه إلى مكتبك وسالقه عند نزولي بعد نصف الساعة ..

ولكن ما هذه الزينة .. اتنوي ان تقيم مائدة الليلة .. ؟

- نعم حفل راقص .

- هذا من حسن حظي .. لانه يتفق وخطتي .

وبعد نصف الساعة زایل 'لوبين' غرفته فوجد سائق التاكسي في
مكتب صاحب البنسيون فقال له :

- اسمع .. لن احتاج إليك إلا بعد الساعة التاسعة . فكن في هذا
الموعد امام فندق 'نوفو بالاس' .. فستذهب بي إلى دار الأوبرا . وفي
نحو الساعة العاشرة او العاشرة والنصف ساغادر الأوبرا وفي رفقتي
سيدة . فإذا ماركبنا سيارتك فاسرع بنا إلى هذا البنسيون .. ومهما
حدث فلا تكف عن السير .. إذا استنجدت السيدة أو نقرت على
الزجاج فلا تبال بها .. استمر في طريقك حتى تقف بباب هذا
البنسيون . أفهمت .. ؟

- فهمت !! إنني رهن أوامرك . !

- شكراً لك . واطنني ست في حاجة إلى إعادة هذه التعليمات عليك .

- كلا .

وقال صاحب البنسيون :

- يمكنك ان تركزن إليه .

- حسنا .

وغادر "لوبيين" البنسيون وهو يبتسم ابتهاجا .. لم يكن رايه قد استقر على خطة معينة ولكن الحديث الذي دار بين "نيلي روز" وصديقتها "فالنيه" اثار في ذهنه فكرة ما .. سيحاول ان يحمل الفتاة على مرافقتها إلى البنسيون فهل تراه سيخفق في مهمته او ينجح ؟!

ومضى إلى فندق "نوفو بالاس" فوجد "باراتوف" في انتظاره وهو يدخل ويجري بعينيه في صحف المساء .

وتبادل الرجلان التحية في حرارة .

وقال "لوبيين" يساله :

- ارجو ان تكون قد امضيت رحلة طيبة ؟ .

- نعم .. وانت ؟ هل اصبت من التسلية ما ترجوه ؟

- نعم .

- كعادتك بلاشك . ؟ النساء دائما .. ؟

فابتسم "لوبيين" وقال :

- اظن ذلك ! !

فضحك "باراتوف" وقال :

- يالك من "دون جوان" لايف لحظة عن إغواء النساء . ؟

ثم قال "لوبيين" في لهجة حاول أن يجعلها عادية :

- وبالمناسبة .. طلبتك سيدة في بالتليفون في الساعة الرابعة وكنت

في انتظارك هنا فلبيت النداء .

- ومن تكون هذه السيدة ؟

- فتاة عهدت إليها دار المعامل بالاتصال بك لأن الدار تريد أن تقيم

لك حفل تكريم .. ولا عجب .. فخمسه ملايين ليست بالتبرع الذي يقع

كل ساعة . ! والحق اني ما كنت اعتقد أنك شديد الاهتمام بالابحاث

العلمية والإنسانية إلى هذا الحد ! !

وكانت نبرات صوته وهو يلقي بهذه الكلمات عادية مجردة عن

التهكم وقال "باراتوف" في خشونة :

- وماذا قالت هذه السيدة . ؟

- قالت إنها ستحضر في صباح الغد لتتفاهم معك في شان حفل

التكريم ..

- في أية ساعة .. ؟
- الحادية عشرة . !
- حسنا ساكون في انتظارها إذن .
- وقد دار هذا الحديث بين الرجلين في لهجة عادية ، وكل منهما يحاول أن يجرد نبرات صوته مما قد يوحي بما في نفسه .
- وبعد لحظات قال "باراتوف" :
- ولكني أراك متأنقا فهل تنوي الخروج الليلة . ؟
- نعم .
- لقد ظننت أنك ستسافر الليلة إلى "نورماندي" لترى أمك . ؟
- لقد عدلت عن رأيي .. إنني ذاهب الليلة إلى المسرح مع بعض الأصدقاء .
- بعض الأصدقاء . ؟ أم بعض الصديقات كالعادة . ؟
- نعم .. صديقات كالعادة . !
- يالك من مغازل لبق . ! ما أحلى أن يكون المرء شابا . ! أما أنا
- فسألزم الفندق الليلة إذ أشعر بتعب من اثر رحلتي .. اتحب أن
- تتناول العشاء معي . ؟
- إذا شئت .
- ودق "باراتوف" الجرس وأمر بإعداد العشاء في جناحه الخاص .
- ولما فرغا من الطعام قال "باراتوف" :
- ما أجمل هذه الحياة البسيطة .. طعام ونوم ... ثم نوم وطعام .
- فقال "لويين" وهو ينهض واقفا :
- ألا ترغب حقيقة يا "باراتوف" في أن ترتدي ثيابك وترافقني إلى
- المسرح لأقدمك إلى صديقاتي . ؟
- شكراً .. ليس في هذه الليلة .. فإنني لا أنوي الخروج . !
- فضحك "لويين" وقال :
- كاني بك تدخر قواك لاستقبال الفتاة التي تحضر إليك في صباح
- الغد . !
- يجوز . ! وهانذا أكرر عليك القول يا صديقي بأنه لم يعد لي من
- الحياة مثل شبابك .

كانت في لهجة الروسي نبرة هازئة لم تغب عن "لوبيين" .. واخذ يتساءل عما يخفيه الروسي في صدره . ؟ وما الخطة التي ينتويها إزاء "نيلي روز" ؟ ومع ذلك ففي الوقت متسع لإنذار "نيلي روز" بما يتهددها حتى تكون من هذا الوحش الروسي على حذر .
وبعد قليل غادر "لوبيين" الفندق .. فالفى سيارة "إبراتييف" في انتظاره فاستقلها فطارت به إلى دار الأوبرا . !
وما كاد "لوبيين" ينصرف من جناح صديقه حتى بادر هذا إلى دق الجرس .. فلما جاءه الخادم صاح به :
- ابعث إلي على الفور برسول يحمل رسالة مستعجلة إلى منزل في ميدان "تروكاديرو" .. وأسرع ..
ثم فرك كفيه ابتهاجا .

الفصل الرابع

فجأة الفت "نيلي روز" نفسها فريسة للاضطراب .. أصبحت نهياً
لنزعات مختلفة متباينة .. كيف ولماذا يتجاسر هذا الغريب المجهول ،
فيقتحم حرمة مخدعها دون استئذان ؟

وأرادت أن تخلو إلى نفسها ، فمضت إلى مخدعها ، ودقت الجرس
تستدعي الوصيفة وقالت لها :

- قولي لامي إنني أشعر بصداق خفيف ، وإن النوم كفيف بإزالته ،
ولذلك لن أجلس إلى المائدة .. فعليك أن تاتيني بقدح من الشاي وبعض
قطع من السندوتش .. ويهمني ألا يزعجني أحد .. فلاتستدعوني إلا
عندما يهتمون بالخروج .

- سابلغها ذلك يا سيدتي .

ومضت "فيكتورين" ، وتنفست "نيلي روز" الصعداء ، إنها في حاجة
الآن إلى الوحدة لتدبر الأمر ولتدرس مشاعرها المختلفة .. ماذا يبغي
منها هذا الرجل ؟ ولماذا جاء يتعقبها بهذه الطريقة التي تنطوي
على جراءة نادرة .. كيف يطاردها بهذا الشكل ؟

وغشيها الانفعال من جديد .. بل استولى عليها الغضب .. لقد
نفضت الآن تأثيره عليها .. لم يعد متسلطاً على أعصابها كما كان منذ
لحظات .. إنها الآن تستطيع أن تفكر بحرية أكثر .. وساءها أنها
وقعت تحت تأثيره .. لقد هزم إرادتها ، وحرر مقاومتها ، وتركها
مستسلمة مذعنة .

وظلت تفكر في هذا ومثله ساعة كاملة ثم جرعت قدح الشاي المثلج
فرد عليها نشاطها وبعث فيها بعض حيويتها .

وإذ ذاك دق الباب :

- إنني "فيكتورين" جاء رسول برسالة مستعجلة باسمك .

- حسناً ادخلي .

وتناولت "نيلي روز" الرسالة ونظرت فيها . وداخلها شعور من القلق
والتوجس .. خيل إليها أن هناك شراً يكمن داخل هذا الغلاف .

وفضت الغلاف فوجدت فيه بطاقة . وعلى البطاقة سطور قليلة .
وقرات "نيلي روز" هذه السطور وارتعدت . وغمغت تقول :
- يا إلهي ! لقد نسيت هذا ! !

وكان هذاحقا ! ! لقد نسيت "إيفان باراتوف" ! ! نسيته إذ طغى عليها
الشعور بالآزمة المالية . وطغى عليها انفعالها الذي سببه هذا الغريب
المجهول . وإزاء هذه المشاعر المتضاربة كلها نسيت "باراتوف"
وملايينه الخمسة وشروطه القاسية . ولم تعد تذكر من أمره شيئا .
وتهالكت على المقعد وأفلتت أصابعها البطاقة فسقطت عند قدميها
وكانت عينها ناطقتين بالخوف والذعر . ووجهها شاحبا شديدا
الامتقاع وقد غاضت الدماء من وجنتيها المتضرجتين .
وإذ ذاك دخلت عليها أمها .

وقالت مدام "ديتول" :

- هيا يا "نيلي روز" فقد حان أوان الخروج . ولكن ماذا بك ؟ .

إنك شاحبة اللون ؟ . أمريضة أنت ؟ . أجيبني ؟ ماذا بك ؟ .

واقتربت مدام "ديتول" من ابنتها منزعة قلقة ، ووقعت عينها على
البطاقة الملقاة على الأرض فقالت وهي تلتقطها :
- ما هذا ؟ .

وقرات البطاقة واجفلت . ثم صاحت تقول :

- ما معنى هذا . "باراتوف" ؟ . الروسي الذي تبرع بخمسة ملايين
لماذا تطلبين منه أن يحضر إلى مخدعك عند منتصف الليل ؟ . لماذا .
أجيبني يا "نيلي روز" ! !

وكانت مدام "ديتول" في انفعالها تتكلم في صوت مرتفع حاد
النبرات تطاير صده حتى بلغ آذان الفرسان الأربعة الذين كانوا وقوا
في الدهليز فاقبلوا مسرعين يستفسرون عن الخبر .
وقالت مدام "ديتول" :

- الخبر ؟ . لقد وقع شيء عجيب . شيء لايمكن تصديقه ! ! هناك
روسي يدعى "باراتوف" . الروسي الذي تبرع لدار المعامل بخمسة ملايين
فرنك . لقد تجاسر وكتب إلى ابنتي هذه الرسالة .. اسمعوا .
وفي صوت يضطرب بالاستياء والامتعاض قرأت عليهم الرسالة

التالية :

"إني موقن يا أنسة من أنك لازلت تذكرين ما اتفقنا عليه . في منتصف الليل ساحضر لزيارتك وسادق الجرس وستكونين وحدك في مخدعك فقد قبلت ذلك . ولك تحياتي الخالصة مع احترامي".

واسترسلت الام تقول :

- هذه الكلمات مذيلة بتوقيع "باراتوف" . فما معنى هذا ؟ انظروا . وبسطة يدها بالبطاقة إلى الفرسان الاربعة فاخذ كل منهم يعلق على الامر بما يعن له :

- هذه حماقة لا نظير لها !.

- يكتب المجنون مثل هذه الرسالة إلى فتاة عذراء !.

- ياله من خليع متبذل !.

وقال "فالنيه" في غضب :

- كيف يبيع هذا الوضع لنفسه ان يكتب هذه الرسالة وإلى اية غاية يرمي ؟

فقالت مدام "ديتول" :

- هذا ما فتئت اسال ابنتي عنه وهي مطبقة فمها تابى ان تجيب! وكانت "نيلي روز" قد استردت ثباتها في خلال هذا الحوار ونقضت عنها آثار الاضطراب . وادارت بصرها في اصحابها فرأتهم حائرين مرتبكين فلم تملك إلا ان ضحكت وقالت :

- يا إلهي !.. ما أغرب أطواركم !. ابهذه النظرة التراجية تتناولون مسألة لا أهمية لها !.. بالله عليكم دعوني وشاني . اذهبوا إلى الأوبرا ودعوني وحدي ولا تهتموا بأمرى !.

وبسطة مدام "ديتول" نراعيها إلى السماء وهتفت :

- إنها مجنونة !. "نيلي روز" هل أصابك مس من الخبل ؟ بالتأكيد ليس في نيتك ان تستقبلي هذا المخلوق ؟

فهزت "نيلي روز" كتفيها وقالت في بساطة :

- ولم لا ؟

وارتفعت صيحات الاستنكار من كل ناحية .

ورأت "نيلي روز" نفسها مطالبة بأن تلقي شيئاً من الضوء على ما

حدث وفي كلمات موجزة قصت عليهم ما كان من امر 'باراتوف' وتبرعه وشروطه ومحاولتها أن تثني المدير عن صرف الشيك . وكيف صرفه على غير علم منها .. إلخ .

وصاح "فالنیه" في استياء :

- ولكن هذا التعهد من جانبك لا يعني شيئاً ! ورسالة هذا الرجل لا تستحق إلا أن تلقى في سلة المهملات ؟
وقالت مدام "ديتول" مؤمنة :

- بالتأكيد .. بالتأكيد .. ياله من رجل غريب الأطوار . إنه نذل وضع ! إنه .. لست أدري كيف أصفه . ألا تعرفين هذا الرجل يا "تيلي" روز ؟ وعلى أية حال لا تكثرني لشانه .
فقال الفتاة :

- كيف لا أكرث وقد قبلت شروطه ! حقيقة قبلتها مكرهه بحكم الظروف دون أن يكون لي رأي في الأمر . ولكنه قبول على أية حال .
فصاحت مدام "ديتول" :

- ولو ! هذا لا يعنيني في شيء ! إنك لن تقابلي هذا الخليع الفاجر اتظنين أنني أستطيع أن أغضي عن هذا التبذل .. كلا .. سابقي في البيت لا أبرحه ولن ..

فقال "فالنیه" مقاطعاً :

- بل سنبقى جميعاً .

غير أن "تيلي روز" كانت لا تزال مصرة على رأيها فقالت في هدوء :
- لقد قبلت شروطه . فإذا نكصت فمعنى ذلك أنني ابتززت منه الملايين الخمسة تبرعاً للدار دون أنفذ ما تعهدت به ! لا بد لي إذن من مقابله على انفراد . وإذا بقيتم تركتكم ونزلت انتظره في الطريق .

- ولكن ليس لك الحق يا ابنتي في قبول هذه الشروط ؟

- يجوز ولكني قبلت على أية حال فانهتى الأمر بذلك .

- ماذا قبلت ؟ اتعرفين بأي شيء تعهدت ؟

- تعهدت بمقابلة هذا السيد (الذي يحتمل ألا يكون فاجراً وضيعاً) في غرفتي بعد منتصف الليل .
- وإذا أصر ؟

- اصر على أي شيء ؟

فضربت مدام "ديتول" الأرض بقدميها وقالت :

- ماذا دهاك يا "نيلي روز" ؟ ابلغت بك السذاجة أن تتصورى أن هذا المخلوق طلب الانفراد بك في مخدعك في جوف الليل ليتحدث إليك عن الجو ؟

- إن هذا المخلوق يا أماء كان سخيا إلى درجة حملته على التبرع بخمسة ملايين فرنك للأبحاث العلمية التي تقوم بها دار المعامل . فالرجل الذي يقدم على مساعدة الأعمال الإنسانية بهذه الطريقة السخية الكريمة لابد أن يكون نبيلاً وأن يكون جديراً بأن يفهم . فإذا ما شرحت له ظروف تعهدي وملابساته والخطأ الذي وقع واستنجدت بشهامته ونبله فلا اشك ..

فقالت الأم مقاطعة :

- شهامته ونبله !! أيكون نبيلاً شهما الرجل الذي يكتب هذا الخطاب إلى فتاة ؟ إنه وحش على صورة إنسان . وهزت "نيلي روز" كتفيها وقالت :

- ومع ذلك فأين هو ذلك الخطر الذي ساستهدف له يا أماء ؟

- أين الخطر ؟

- الأتبالين .

- كلا !!

- يا لله اتظنين يا فتاتي أنه سينقض عليك ويحتويك بين ذراعيه ؟ إنه يعلم أنك لن تترددي في طرده لو أنه أقدم على هذه الطريقة الوحشية . ولكنه سيتقدم إليك بمعسول القول حتى تطمئني إليه وتنزلقى إلى الهاوية التي يحفرها لك في اللحظة التي تظنين فيها أنك نجوت .

فضحكت "نيلي روز" وقالت :

- كلا يا أماء . لن أنزلق . ولن تكون هناك هاوية على الإطلاق . لقد تعهدت بأن أستقبل هذا السيد فلا بد لي من استقباله . والأمر في ذلك متعلق بضميري وشرفي .

فسكتت مدام "ديتول" برهة ثم عادت تقول :

- وهبي انك كنت غير موجودة ساعة وصول الرسالة المستعجلة
فماذا يكون من امرك ؟

- هذه مسألة أخرى ! في هذه الحالة لابد من الخضوع لحكم القوة
القاهرة . ولكن لا مفر لي أيضا من أن القاه في الغد . لقد تعهدت
ويجب أن أبر بعهدي .

وكانت مدام "ديتول" عليمة بخلق ابنتها وما طبعت عليه من العناد
والتشبث فلم تر أن تستمر في الجدل والحوار . وقالت :

- فليكن إذن .. والآن هيا بنا إلى الأوبرا ولك أن تقابليه عقب عودتك .

- هيا بنا . ولكن ليكن معلوما أنني سأرجع عند منتصف الليل لأكون
في انتظاره .

واسرعت "نيلي روز" ترتدي معطفها على حين غادرت مدام "ديتول"
الغرفة وفي رفقتها فرسانها الأربعة .

وأومات إلى "فالنیه" تستدنيه منها وهمست في أذنه قائلة :

- أسيارتك موجودة ؟

- نعم .

- حسنا . طر بها إذن إلى منزلك في "دانين" واشعل المدفأة وانتظر
قدومنا إذ سنلحق بك بعد قليل . فهناك ستكون "نيلي روز" في مأمن من
هذا الروسي .

- فكرة بديعة !

وتحولت مدام "ديتول" إلى خدمها وقالت :

- إننا لن نعود إلا في صباح الغد . فالبثوا ساهرين إلى ما بعد
منتصف الليل .. وإذا فرض وحضر سيد بعد منتصف الليل ودق
الجرس فاصرفوه بمنتهى الخشونة والجفاء !

ثم لحقت بابنتها والفرسان إذ كانوا في انتظارها في الطابق
الأرضي واقتربت خفية من سائق سيارتها واسرت إليه بعض
الكلمات .

بعد لحظات كانت السيارة قد انطلقت بهم صوب فيلا "فالنیه" في
"دانين" . واخذت مدام "ديتول" تتحدث باهتمام طوال الطريق وتطرح
على ابنتها أسئلة سخيفة لا محل لها . وغايتها من ذلك أن تصرف

بالها فلا تتبين في اي طريق يسرون . ولكن "نيلي روز" فطنت إلى الامر وقالت :

- ولكن إلى اي مكان سنذهب يا اماء ! ليس هذا هو طريق الاوبرا ؟

- لسنا ذاهبين إلى الاوبرا !

- إذن إلى أين ؟

- إلى "دانيين" عند "فالنيه" !

وتوقعت مدام "ديتول" أن تثور ابنتها ويشتد غضبها . ولكن "نيلي روز" تلقت الامر في منتهى الهدوء وهزت كتفها في غير اكتراث واكتفت بأن تقول :

- إذن فقد أرغمتني يا اماء على أن أجلب بعهدي ؟ هذا شيء يؤسف

له !

- إنني متحملة كل المسؤولية .

- ولكنني تعهدت !

- لابد من الخضوع لحكم القوة القاهرة كما تقولين !

ولم تجب "نيلي روز" وظل الجميع ملتزمين الصمت طيلة الرحلة.

وحين انتهوا إلى الفيلا خف "فالنيه" إلى استقبالهم وقد حمل في يده شمعة صغيرة ذابلة تنذر بالانطفاء . وكانت عيناه دامعتين من اثر الدخان الذي مسهما وهو يحاول أن يشعل نار المدفأة . وقال معتذرا :

- اسالكم المعذرة عما سوف تجدون من نقص في أسباب الراحة فإنني لم اعتد أن أتردد على هذه الفيلا إلا صيفا . فهي كما ترون غير مزودة بالتيار الكهربائي أو المدافئ الصالحة . ولكنني اعتقد أن في غرفة الخدم مدفأة تشعل بزيت البترول ومصباحا صغيرا .

وكان البرد لانعا داخل الفيلا .. لا مدافئ ولا أضواء كهربية .. وكان الرجال يرتعدون . أما النساء فجمن فراءهن حول الاعناق.

وقال "فالنيه" وقد أدركه الخجل :

- هيا بنا إلى الطابق الأول فإنني اعتقد أن مدفأة مخدع النوم صالحة لإشعال النار فيها .

ودارت مدام "ديتول" بعينيها في المخدع وقالت :

- عال جداً .. إن "نيلي روز" تستطيع أن تنام في هذا المخدع.

فضحكت "نيلي روز" وقالت :

- إيه ..! لا حيلة لي في الأمر ولا يستطيع أحد أن ينحي علي باللوم ..! هانذا سجينه وحولي خمسة من السجنائين الساهرين ..! أما انا فأني متعبة جداً وأحب أن أنام على الفور .
فقال "فالنیه" في ارتباك :

- وهذا مستحيل بكل أسف ..! ليس في الغرفة أي غطاء .
- حسبي إذن أن أرقد على السرير . فأرجوك أن تشعل لي ناراً في المدفأة .

واشعل "فالنیه" النار مستعيناً بكومة من الصحف القديمة ملأت الغرفة دخاناً . وقبلت مدام "ديتول" ابتنتها وخرجت من المخدع في رفقتها فرسانها الأربعة .
وقال "فالنیه" :

- والآن ما العمل والغرف الأخرى مجرّدة من الأثاث والفراش ..؟
فألت مدام "ديتول" :

- لسنا في حاجة إلى غرف أخرى .. حسبي مقعد كبير أجلس عليه طوال الليل أمام باب ابنتي فإنها مأكرة عنيدة وقد تغتتم فرصة ذهابنا إلى الغرف الأخرى فتتسلل هاربة . ويمكنك يا "فالنیه" أن تضع عند قدمي المدفأة التي تشعل بزيت البترول .
- حسناً . أما نحن فسنلعب البريدج على مقربة منك .

وبعد ربع الساعة كانت مدام "ديتول" جالسة على مقعد "فوتيل" وضع لها عند باب المخدع وقد أخذها النوم . على حين جلس فرسانها الأربعة إلى مائدة قريبة يلعبون البريدج .

وارتمت "نيلي روز" على الفراش وراحت تفكر في هذا الروسي الذي ينشد مقابلتها في مخدعها على انفراد بعد منتصف الليل ثم انتقلت بخواطرها إلى ذلك الغريب المجهول الذي اعترض طريقها واقتحم مخدعها في جراءة واستولى على عود الزنبق .

ونزلت من الفراش وسارت إلى النافذة المطلة على الحديقة ووقفت عندها برهة .. كان الليل جميلاً فاتناً ، وقد انتشرت في رقعة السماء سحب خفيفة .

وفجأة طاف خاطر جريء بذهنها .. وترددت برهة ثم عولت على العمل .

ارتدت إلى الفراش وأخذت الملاءتين المبسوطتين عليه وعقدتهما معا ثم خرجت إلى الشرفة وأدلت الملاءة إلى الأرض بعد أن شدت طرفها الآخر إلى سياج الشرفة .

وإن هي إلا لحظات حتى كانت "نيلي روز" في الحديقة ..! وسارت إلى البحيرة فوجدت هناك قاربا صغيرا مشدودا إلى حلقة من الحديد . فاستوت جالسة فيه وتناولت المجذافين وشرعت تجدف متجهة صوب المرسى مسترشدة بضوء القمر الذي كان يبرز من بين السحب المتناثرة من حين لآخر ليبيد من الأرض بعض ظلمتها .

الفصل الخامس

انزلق القارب فوق الماء في سكون .. وكان الليل جميلاً والمغامرة شائقة ساحرة .

وفجأة ارتعدت "نيلي روز" .. على ضوء القمر الخافت رأت قارباً فيه رجلان يتجه إلى ناحيتها .

وخطر لها أن أصحابها شعروا بفرارها فتعقبوها . ولكن حين اقترب منها القارب وتجلّى الرجلان لعينيها فطنت إلى أنهما يلبسان قبعتين من طراز "الكاسكيت" .. إنهما إذن من النهابين الذين يردون البحيرات خلصة فيصطادون السمك بالوسائل المحرمة أو من اللصوص الذين يسطون على الفيلات الخالية فيسرقون ما فيها من اثاثيات المياها أو أسلاك الكهرباء .

واستولى الخوف على "نيلي روز" .. ترى أيتسع لها الوقت لبلوغ المرسى قبل أن يصل إليها النهابان ؟ وقاست بنظرها المسافة التي بينها وبين المرسى والمسافة التي بينها وبين القارب .. وأخذت تجدف بكل ما في وسعها من قوة وجلد .. كذلك ضاعف النهابان من سرعة تجديفهما !

وأخيراً وصلت الفتاة بقاربها إلى المرسى والنهابان لا يزالان على مسافة غير قصيرة منها .

ووثبت "نيلي روز" إلى المرسى .. وانطلقت تجري بملء سرعتها صوب الطريق العام !

وكانت الشوارع الجانبية مهجورة خالية من السابلة .

وبغلة أحست بيد توضع على كتفها .. وسمعت صوتاً يقول :

- إلى أين أنت ذاهبة أيتها الحسناء !

وأدارت رأسها ورات أمامها رجلاً يبتسم . ولم تكن هناك ريبة في أن الرجل ثمل كاد الشراب يذهب بصوابه .. وفزعته "نيلي روز" ورفعت يديها واستجمعت فيهما كل قوتها ودفعت السكران في صدره فترنح وسقط على الأرض .. ولم يحاول النهوض بعد ذلك !

وانطلقت "نيلي روز" تجري حتى انتهت إلى الطريق العام .. وهناك عاودها الاطمئنان إذ رأت حولها نفراً من المارة .
ولكن هذه الحوادث المتعاقبة احدثت في نفسها رد فعل شديد فظل قلبها يخفق ويضطرب .. وخيل إليها أن أعصابها قد تهدمت وان جلدها وشجاعته قد زايلاها .

* * *

بينما كانت هذه الحوادث تجري في "دانيين" كان "ارسين لوبين" يبحث في دار الأوبرا عن "نيلي روز" بلا جدوى .
بحث في المقاصير .. وفي المقصف .. وفي مقاعد الصالة .. ولم يجد لها أثراً .. وراح يبحث من جديد .. ولكن دون جدوى أيضاً .
واستغرب الأمر وراح يسائل نفسه عن السر في تخلفها .
واستقل سيارة التاكسي التي يقودها "إبراتييف" ، والتي كانت في انتظاره عند باب المسرح وطار بها إلى فندق "توفو بالاس" .. إذا كانت "نيلي روز" قد تخلفت عن الحضور إلى دار الأوبرا فإن من المحتمل جداً أن يكون "باراتوف" شأن في هذا التخلف ! من المحتمل أنها الآن تحت رحمة هذا الوحش !

وحين وقفت به السيارة أمام باب الفندق وثب منها وأقبل على الكاتب يسأله :

- هل مسيو "باراتوف" موجود ؟
- نعم يا سيدي .. إنه في الجناح المخصص له .
وبدل "لوبين" على "باراتوف" فراه مرتدياً بذلة الاسموكنج وقد صفف شعره وتعطر برائحة زكية .. ولم يكن هناك شك في أنه ينهيا للخروج .

وتبادل الرجلان نظرات صامتة .. ثم اتقدت منهما العيون وتطاير شرر الغضب والحقد .

وبعد لحظات قال "لوبين" وقد بدأ يتسلط على أعصابه :

- هيه ! إذن فانت تنوي الخروج ؟

- سأخرج إذا طلب إلي أن أخرج !

- لقد ظننت انك متعب منهوك القوى .. وان في نيتك ان تنام !
- وانا ظننت انك ستسافر إلى "نورماندي" لترى أمك ! لقد رجعت
انا أيضا عن رأيي ! اليس هذا من حقي يا ترى ؟
فضحك "لوبين" ضحكة ساخرة وقال :

- بلى ! إن من كان من رجال الأعمال مثلك يمكن أن يرتبط بموعد
فجائي في أية ساعة من ساعات الليل .. وهذا الموعد الذي ستذهب
إليه مرتبط بأعمالك بالتأكيد يا "باراتوف" !
كانا يتكلمان في صوت هادئ .. ولكن كلماتها كانت تحمل في
طياتها نذير العاصفة والشر .

وإمام هذا السؤال الذي القاه "لوبين" صاح "باراتوف" في حق:
- بالتأكيد متعلق بأعمالي . ومهما يكن من الأمر فليس لك أن تتدخل
في شؤوني .

فقال "لوبين" في هدوء :
- هل تجهل يا "باراتوف" اني اعتبر شؤون الغير كشأني الخاص
مادام ذلك يلز لي ؟ واني إذا تدخلت ..
فقال الروسي مقاطعا :
- جميل جدا .. إذن فخذها نصيحة خالصة .. إياك أن تتدخل في
شؤوني .

فضحك "لوبين" وقال :
- ما اعجب أمرك يا "باراتوف" .. تطلب مني وتتوسل إلي أن أتدخل
في شؤونك إذا كانت هذه الشؤون تجعلني أستهدف للأخطار والموت
في مجاهل روسيا .. شؤونك شؤوني إذا كنت تريد مني أن أجمع لك
الملايين ..

فقال "باراتوف" مقاطعا :
- أنسيت أننا نتقاسم هذه الملايين ؟
- نتقاسمها ؟ يلوح لي أن القسمة في نظرك معناها أن تستحوذ
على كل شيء دون غيرك .

- دك من هذا الكلام . أتريد أن تزعم أن جيوبك فارغة .
وضحك "باراتوف" هازئا . واثارت ضحكته "لوبين" فامسك بذراعه

وصاح به :

- اصمت .. امسك عن الضحك .. إنك تعلم اني لا ابالي بالمال ... لقد تركت لك المال تفعل به ما تشاء وقنعت من الغنيمة بالنساء والحب . فإذا كنت قد ظفرت بمساعدتي بالملايين فقد احتفظت انا لنفسي بالمغامرة . ولكل نصيبه .. ولكنك تريد الليلة يا "باراتوف" ان تعتدي على حقوقي . تريد ان تغزو الميدان الذي احتفظ به لنفسي .. لك المال ولي النساء . فلم تحاول ان تسلبني حقي .

فقال "باراتوف" في وحشية :

- اتريد ان تقول ان لك حقا على "نيلي روز" ؟

- إذن فانت تعرف إن للمسالة صلة بها .

- ولم لا ؟

فجمع "لويين" قبضته وقال :

- إذن فما تبرعت بالملايين الخمسة إلا لتشتريها .. هذا التبرع هو

ثمن الشراء ؟

- فليكن .. فماذا يعنك انت من هذا ؟

- إذن فانت تريد ان تستغل سذاجة هذه الفتاة وتعهدا الطائش ؟

- وبعد ..

وتقدم "لويين" إليه خطوة وقال :

- جبن ونذالة .. إنك تسعى إلى تحقيق غرضك بواسطة اموال

مسروقة .. نعم مسروقة .. ومن أجل هذه السرقات قررت ان اكف عن

الاشتراك معك بعد اليوم . فاعلم إذن اني لن اسمح لك بالاقتراب من

هذه الفتاة .

- فات الاوان ؟

- فات ؟

وهز "لويين" كتفيه وقال :

- إنك لن تذهب إليها الليلة . لن تقابلها إلا في الغد ..

فقالقت عينا "باراتوف" انحصاراً وقال :

- لن اقابلها إلا في الغد .. كلا يا بني .. سألهاها الليلة . وعند

منتصف الليل .

فصاح "لوبيـن" في انفعال :

- إنك تكذب .

- الليلة . عند منتصف الليل . وفي مخدعها . إنها تنتظرني .

- إنك تكذب . إنها لم تقبل ولا يمكن أن تقبل .

- بل قبلت فعلا .

فصاح "لوبيـن" وقد أخذته الحدة :

- قلت لك إنك تكذب . إنك لا تعرف حتى عنوانها ..

- لا اعرف عنوانها ؟ اتظن ذلك ؟ إنها تقيم يا صديقي في ميدان

"تروكاديرو" . وتشغل جناحا مستقلا عن الجناح الذي تشغله أمها ،

بالاستعانة بالدليل ودفتر التليفون يستطيع المرء أن يجمع معلومات

غير قليلة !

وقال "لوبيـن" في غضب :

- إنك تكذب ! يستحيل أن اصدقك ! إنك لن تراها إلا في الغد . وفي

هذا الفندق . إنك لم تتصل بها بعد - ؟

فهز "باراتوف" كتفيه وقال :

- كاني بك تريد أن تستفسر عن كل شيء ! ومع ذلك فلكي اشبع

فضولك وشماتتي فيك اصارك بانني كتبت إليها خطابا منذ فترة

وجيزة . وقد قبلت وسأذهب إليها .

- إنك لن تذهب ! لست ادعك ترتكب هذا الاعتداء الاثيم !

فصاح "باراتوف" :

- وانت ؟ الم ترتكب مثل هذا الاعتداء الاثيم ! دع الملق والمراوغة

ولنتحدث في صراحة ! الا تعتبر صلتك بالكونتس "فالين" نوعا من

الاعتداء الاثيم ! والفرق بيني وبينك اني صريح لا احب المواربة .

واني ادفع ملايين من الفرنكات لاصل إلى بغيتي بينما لا تدفع انت إلا

كلمات مزوقة وابتسامات زائفة . انا استخدم اموالي وانت تستخدم

دهاءك وشبابك !

فقال "لوبيـن" :

- انت تدفع المال وانا ادفع الحب !

- الحب ! اتريد أن تزعم أنك تحب "نيلي روز" ؟

- قد يكون حبا . وقد يكون اشتها . وقد يكون فضولا ! انا نفسي لا ادري والامر لا يعنك ! حسبك ان تعلم ان جميع النساء من نصيبي وانا احرم عليك ان ..

- ان اقترب منهن ؟

- ومن "نيلي روز" علي وجه الخصوص ..

- وما شانك انت بهذا ما دامت قد عرضت علي نفسها ؟

- واظننها عرضت عليك ايضا ثروتها . إنك تنوي بالتاكيد ان

تستولي على اسهم ينابيع البترول !

- الامر في هذا مرجعه إلي وحدي .

- انت مخطئ إن كنت تعتقد هذا !..

- حقا !.. إذن فانت مجنون !

- قلت لك لا تقرب "نيلي روز" . لا هذه الليلة ولا سواها !

وكان الرجلان يتبادلان نظرات تنطوي على الغضب وتنذر بالشر وكان كل منهما قد جمع قبضته استعداداً للنضال .

وقال "لوبين" في صوت صارم :

- لا هذه الليلة ولا سواها ! أفاهم أنت ؟ منذ زمن طويل وانا امقتك

وابغضك ! وهذه فرصة مناسبة اكاشفك فيها بما في نفسي ! نعم .

إنني ابغضك من كل قلبي لأنك حقير ونذل ! ولقد ارتكبت من وراء

ظهري أعمالا رابني أمرها وإن لم اتحقق منها . فحسبي هذا منك فقد

قاض الكاس !

فهز الروسي كتفيه وقال بلا مبالاة :

- لقد فات الاوان !

فات الاوان فيما يتعلق بالماضي . اما عن الحاضر والمستقبل فلا !

إنك لن تقرب "نيلي روز" ولن تتعرض لها بسوء . ولن اسمح لك

بالخروج مهما حدث ! والويل لك إذا حاولت ان تقاومني !

فقال الروسي في غضب :

- دعني امر !

- كلا !..

- إذن الويل لك !

وتراجع الروسي خطوة إلى الوراء كأنما يتأهب للوثوب على خصمه
وصاح به "لوبين" :

- إنك لن تمر أيها الشقي !! لا الليلة ولا غداً !.

- للمرة الثانية أقول ..

- لن تمر مهما حدث !.

وفي رشاقة الملاكم القدير تفادى "لوبين" الضربة التي سدها
"باراتوف" إلى فكه . وعاجله بضربة قوية أصابته بين عينيه .

والتحم الرجلان في معركة رهيبة . وكان كل منهما يحاول أن يصرع
خصمه بلا رحمة ولا هوادة .

ندع الرجلين في نضالهما ونرجع إلى "نيلي روز" .

كانت في القطار الذي غادر "دانين" متجها إلى باريس وقد انزوت
في ركن من المركبة مستسلمة لخواطرها .

وكانت المسكينة مهدمة الأعصاب منهكة النفس من أثر ما عانت
وكابدت في تلك الليلة . وكانت لا تنفك ترتعد من لحظة لأخرى . على أن
العزم الذي رسخ في نفسها - ولم يكن هناك رجاء في إرجاعها عنه -
هو أنها تعهدت فيجب أن تبر .

واجدت عليها رحلتها بالقطار إذ ردت إليها بعض ما فقدت من
نشاطها وثباتها . وبعد منتصف الحادية عشرة بقليل وصلت دارها
فاستنشقت بعض الأملاح المنعشة . وارتمت على الأريكة تصيب بعض
الراحة . وفي جناح أمها حمل إليها النسيم أنغام الموسيقى . هذي
"فيكتورين" وزوجها "دومينيك" يعزفان .

وراحت "نيلي روز" تفكر . وحاولت أن تقنع نفسها بأنها مستهدفة
لشيء من الخطر .. سيحضر هذا الرجل .. وستستقبله كما تستقبل
أي زائر . وستحدث إليه ، ستكاشفه بحقيقة الأمر .. إن مدير الدار
هو الذي صرف الشيك على غير علم منها . وإذ ذاك سيرحل الزائر ..
كما جاء !.

ولكن .. إذا لم يرحل ؟.

نعم .. ما العمل إذا لم يرحل !. أولى بها إذن ألا تفتح الباب ؟ .
ولكنها وعدت باستقباله . فلا مفر لها من أن تبر بهذا التعهد !.

وما عسى أن تكون العقابة ؟ وتذكرت السكران الذي التقت به في
"دانيين" .. أقضي عليها بأن تكون هدفا لاعتداء جديد ؟ وغشيتها
الرعدة .

ولكن أي خطر هناك . إنه لن يستطيع أن يكرها على شيء .
ولكن ألا يجوز أن يكون هذا الشخص وحشا في صورة إنسان كما
قالت أمها . ألا يجوز أن يكون نذلا . ووضيعا . وفاجرا .
رباه ..! ما العمل ..! كيف تقضي ليلة مع رجل ..! ليلة مع وحش في
صورة إنسان ..! وحش لن يستجيب إلى توسلاتها ولن تجد فيه ذرة
من الشهامة ..!

وارسلت بصرها إلى الساعة .. ولم يبق على انتصاف الليل إلا
دقائق معدودات .. من المحتمل ألا يحضر الزائر الروسي . ومن
المحتمل أن يحضر .. من المحتمل أن تستهدف للخطر .. ومن المحتمل
ألا تستهدف ..! وقد يفهمها .. وقد لا يفهم ..!

ها هي الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة بدقيقة .. ثم بدقيقتين .. ثم
بثلاث دقائق ، اتراه لن يحضر ..!

وتنفست "نيلي روز" الصعداء واشرق وجهها ..!
وفجأة خفق قلبها .. ها هو ذا جرس الباب يدق ..
إذن فقد حضر ..!

القسم الثالث

الفصل الأول

جمدت "نيلي روز" مكانها والذعر أخذ منها وعيناها ذاهلتان وشفاتها تختلجان .. وكان قلبها يخفق بشدة . وغزت ذهنها آلاف الخواطر .. وكانت أعصابها مهدمة من اثر ما كابدت ، فلم تقو على مغالبة انفعالها .

واخذت تسائل نفسها عما ينبغي ان تفعل ؟.. هل تفتح الباب ؟.. كلا . إنها لن تفتحه !.. ولن تستقبله ؟.. ولكن لا .. الم تعده باستقباله ؟ كيف تنكث وتنكص ؟.. كانت في "دانيين" أمنة مطمئنة .. كانت سجيئة فلا لوم عليها . فاية حماقة حملتها على أن تفر من بيت "قالبنيه" ؟.. لو أنها بقيت هناك لما الفت نفسها في مثل هذا الموقف الدقيق ؟

وفجأة طافت بذهنها بارقة من الامل ؟.. لا شك أن أمها واصحابها عرفوا بقرارها فخفوا إلى اللحاق بها .. الا ليت أمها تحضر الآن .. لتنقذها ؟.. و "قالبنيه" لماذا لم ترتضه زوجا لها ؟.. لو أنها فعلت لنجت من ملاحقة هذا الروسي ولما وجدت نفسها مكروهة على أن تمضي ليلة مع رجل لا تعرفه !..

ولكن ما الذي تخشاه ؟.. إن "باراتوف" - كما انبأها "زينيا" - شيخ مسن ، فهل تعجز عن الدفاع عن نفسها إزاء رجل طاعن في السن ؟.. هذا إلى أن "دومينيك" و "فيكتورين" في جناح أمها يعزفان الموسيقى فحسبها أن تدق الجرس ليخفا إلى نجدها .

الا إن من الحماسة أن يستولي عليها هذا الخوف !..

وللمرة الثانية دق جرس الباب .

وفي شجاعة وقلة اكتراث سارت "نيلي روز" إلى الباب لتفتحه . أدارت المفتاح ولم تنتظر لكي تستقبل الطارق وإنما انطلقت راجعة إلى مخدعها وهي تجري .

ولبثت هناك تنتظر أن يدخل الزائر عليها .
وسمعت وقع خطواته وهو يسير في الردهة .. وراته ولكنها لم
تتبين ملامحه إذ كانت حواف قبعته مرخية على جبينه .. ومشى
الرجل إلى الشماعة فعلق قبعته ومعطفه .
وبعد لحظات برز على عتبة مخدعها .

ورفعت إليه "نيلي روز" بصرها .. وشهقت مذهولة .
لم يكن زائرهما شيخا مسنا كما كانت تتوقع .. وإنما كان هو
بعينه... ذلك الغريب المجهول الذي أنقذها من سائق التاكسي...!
الغريب المجهول صاحب عود الزنبق ..! ذلك الشاب الذي راقصها
رقصة الفالس ... ذلك الشاب الممتلئ حيوية ... وشبابا ... والذي لا
ينفك يبتسم ... وإن له لابتسامة ساحرة ..!

وفجأة أحست "نيلي روز" بالخطر الذي يتهدها ..!
في أثناء حفل الاستقبال الذي أقامته أمها استطاع هذا الرجل في
سهولة تامة أن يتسلط على أعصابها ويحوو إرادتها ويهز كيانهما هذا
عنيفا ... والآن قد جاء إليها متسلحا بحقه في البقاء... البقاء حتى
الصباح ... في هذا الرجل يجتمع خطران : خطر الغريب المجهول الذي
اقتحم مخدعها واستولى على عود الزنبق وسيطر على إرادتها ..
وخطر الرجل الذي بعث بالشيك ..! كل منهما في ذاته خطر رهيب ...
فماذا يكون من حالها حين يجتمع الخطران ويندمجان ..!
وفجأة استولى عليها الخجل ... خجلت من نراعيها العاريتين...
ومن منكبيها المجردين ... وتناولت وشاحا من الحرير القته حول
عنقها ولفت به ساعديها .

وغمغت "نيلي روز" تقول :

- أهذا انت ..! أهذا انت ..! إذن فانت "إيفان باراتوف" ؟
فتردد "أرسين لوبين" برهة ... كان يكره أن يكذب ... ولكنه رأى من
الحكمة أن يجاريها فقال :

- "باراتوف" اسم روسي انتحلته هناك عقب الحرب .. إنني فرنسي .
وقالت الفتاة وهي لا تزال ترتعد :

- إذن فانت لم تصل إلى باريس هذا المساء ؟

- كلا ... نزلت في فندق "نوفو بالاس" في الساعة السابعة مساء
ولكنني وصلت إلى باريس في هذا الصباح .
فعادت تقول :

- إذن فانت ... إذن فانت ...
وسكنت ثم اردفت تقول :

- لماذا تعقبيني ؟.. ما الذي تبغيه مني ؟..
- اردت ان اتعرف إليك ... اردت ان انبهك إلى وجودي .. وقد اتاح
لي حادث السيارة هذه الفرصة ... لم أشأ أن اظل في نظرك غريباً
مجهولاً منك !..

وكان يتكلم في صوت هادئ . وعلى شفثيه ابتسامة خفيفة .
ولكن هذه الابتسامة اهاجت اعصاب "نيلي روز" واشاعت الاضطراب
في نفسها . فقالت في خشونة :

- انك لست عندي غريباً فحسب ... وإنما انت عدو لي !..
ولم يجب "لوبين" .. وإنما تقدم خطوة إلى ناحيتها وهو لا يزال
يبترسم . والتصقت الفتاة بالجدار وهتفت تقول :
- لا تتقدم !.. إني احرم عليك أن تقترب مني !..
وتبدلت ابتسامة "لوبين" . وغشيتها السخرية وقال :

- اسمعي يا أنسة .. اظن أنه ليس من المستطاع أن نستمر على هذه
الحال .. أنت لصق الجدار وأنا لصق الباب وبيننا نظرات متبادلة ..
نظرات الاعداء الاعداء من ناحيتك على الأقل !.. لقد رقصنا معا بعد ظهر
اليوم .. وفي هذا المساء كنت في انتظاري .. وهانذا قد حضرت .. وقد
فتحت لي الباب من تلقاء نفسك !..

- ما فتحت لك الباب إلا لاني تعهدت !..

- حسناً .. فلم الممانعة والصد الآن ؟..

وتقدم إليها خطوة أخرى فصاحت من جديد :

- لا تتقدم !..

واستولى عليها الفزع فمدت يدها المرتعدة إلى الجرس المثبت في
الجدار إلى جانبها وبقته .

فتصلبت ملامح "لوبين" وقست تعبيرات وجهه وقال :

- عال جدا !! إذن فقد اتخذت جميع الاحتياطات !! حسبك دقة على الجرس حتى ينقض علي خدمك ويقذفوا بي خارج الباب على الرغم من تعهدك !! فليطمئن بالك إذن فأني خارج من تلقاء نفسي!!

وفي هذه اللحظة دخلت "فيكتورين" وأمارات الدهش ظاهرة في ثنايا وجهها .. لم تكن تعرف أن "نيلي روز" قد عادت من الخارج .. لقد ظننتها ستمضي الليل كله مع أمها فلا تعود إلا في الصباح . على أن دهشتها تضاعفت حين رأت هذا الرجل الغريب في المخدع .. ولقد تذكرت أنها رآته من قبل في حفل الاستقبال الذي اقيم اليوم .

وقالت "فيكتورين" :

- هل دقت الأنسة الجرس ؟

وساد صمت قصير .. وكانت "نيلي روز" قد استعادت بعض ثباتها ، وكبر عليها أن تستعين بالخدم ، وألح عليها كبرياؤها وتحركت كرامتها !!

رفعت رأسها وقالت :

- دقت الجرس خطأ فارجو أن تتركينا .

ولما بان التردد على وجه الوصيصة عادت "نيلي روز" تقول :

- دعينا يا "فيكتورين" ولست في حاجة إليك أو إلى "دومينيك" فاصعدا إلى غرفتكما .

- حسنا يا أنسة .

وخرجت "فيكتورين" من المخدع على كره منها .. لقد ارتابت في الأمر ، وخيل إليها أن هذا الرجل ليس من الطراز الذي يؤمن جانبه وعولت على أن تبقى ساهرة لا تاوي إلى مخدعها .

وقالت "نيلي روز" حين خلت إلى "لوبين" :

- تفضل بالجلوس يا سيدي .. لقد أخطأت ولن استدعي الخدم مرة أخرى .. هذا إلى أنني نبهت عليهما بالصعود إلى مخدعهما فلن يلبي أحد ندائي حتى ولو استنجبت !!

وتظاهرت بالجلد والشجاعة .. وافتن "لوبين" بشجاعتها وصلابة أعصابها .. وطافت بذهنه فكرة ، فاستغرقه التفكير فيها ولبث صامتا وراحت الفتاة تحبجه بنظرة فاحصة وهي تتساعل عما يدور في

نفسه. وأخيراً تكلم "لوبيّن" قائلاً :

- اسمعي يا أنسة .. ألا ترين أنه من الخير لـكلينا أن نـفـصـح عما في نفوسنا فنـجـلـو حـقـيـقة هذا الارتباط الذي بيننا بدلا من هذه المحاورات والمحاولات العقيمة ؟ ليـكـاشـف كل منا صاحبه بما في نفسه في كلمات صريحة لا مواربة فيها .

فـقـالـت "نـيـلي رـوز" وهـي تـلـزم جـانـب الحـذر :

- فـلـيـكن .. تـكـلم انت يا سيدي !

- سـاتـكـلم .. لـقـد قـبـلـت حـضـوري إـلى مـخـدـعك ، و هذا القبول منك ينطوي على قبول آخر لكل النتائج التي تترتب على عملك ؟

فـقـالـت "نـيـلي رـوز" فـي هـدوء :

- هـذا صـحـيـح .

- و قد فهمت بطبيعة الحال معنى هذه الزيارة .. في مخدعك وفي

جوف الليل ؟

- نـعم .. فـهـمـت انـي سـاسـتـقـبـل رـجـلا في مـخـدـعي في جـوف اللـيل ، و أن من المحتمل جدا أن يحاول هذا الرجل استغلال ثقتي، ولذلك عولت في الوقت نفسه على أن أدافع عن نفسي ضد اعتدائه.

- و هل هذا منك يعتبر تنفيذا للتعهد . ؟

- التـعـهـد بـاي شـيء ؟

و لم يجد "لوبيّن" جوابا عن سؤالها .. إنه لا يعرف في الواقع كنه هذا التعهد القائم بينها وبين "باراتوف" .. كل ما يعرفه من الأمر أنها وعدت بأن تستقبل "باراتوف" في مخدعها عند انتصاف الليل .. بهذا حدثه "باراتوف" ..

و لما رآته صامتا لا يجيب استرسلت تقول :

- إنـي ما تـعـهـدت إـلا بـاسـتـقـبـالك . و هذا كل شيء !

- الـيـس هـناك شـيء آخـر . ؟

- نـعم لـيـس هـناك ... فـيـما عـدا انـي سـاسـتـقـبـلك في مـخـدـعي من نـصـف اللـيـل حـتى السـاعـة السـابـعة صـباحا ! و لـقـد اـرتـبـطـت بـهـذا التـعـهـد عـلى غـير إـرـادـة مـني و لـكـني اـرتـبـطـت عـلى أـيـة حـال فـلا مـجـال لـلـنـكـوص ! و هـانـذا و حـدي !

ولم يكن "لويين" في حاجة إلى الإصغاء إلى بقية كلماتها من نصف الليل إلى السابعة صباحاً .! يا لها من فتاة مضللة خادعة! ابلغت بها السذاجة أن تظن أن مثل هذه الزيارة لا ترمي إلا إلى التحدث عن الجو .! من نصف الليل إلى السابعة .! سبع ساعات كاملة فقيم يكون الحديث إذن ؟

ومع ذلك تمثل هذه المهزلة وتستنجد بالخدم .!
وتكلم "لويين" قائلاً :

- اسمعي يا أنسة . ألا تظنين أن سخائي لمشروعات المعامل يعطيني بعض الحق ؟ ولست أحاول الإسراف وإنما حسبي أن أقول إنه لا يعطيني حقاً بريئاً طاهراً كالاقتراب منك مثلاً .
وتقدم إليها في ببطء . وانكمشت الفتاة في نفسها وبان الخوف في عينيها ولكنها لبثت في مكانها لا تتراجع . وتقدم "لويين" خطوة أخرى حتى صار جسمها لصق جسمه . وهمت بأن تتراجع فامسك بيديها .
ومرت لحظة وهما صامتتان .

ثم تكلم "لويين" قائلاً :

- هيا دقي الجرس فإنني موقن من أن خادمك لم تصعد إلى مخدعها .! هيا دقي الجرس .!

وحاولت "نيلي روز" أن تتخلص من قبضته فعجزت .
وفجأة انفجرت تقول :

- أنت نذل .! نعم نذل لأنك تستخدم ثروتك في التسلط على فتاة لا تستطيع أن ترفض شروطك دون أن يكون في عملها هذا هدم لمشروع إنساني جليل .! نذل لأنك تحاول أن تبدو في نظر العالم محسناً كبيراً وإنك لست في الواقع إلا .. إلا .. وأنت نذل لأنك تحاول أن تستغل ثقتي وطهارتي لتحقيق مارك الوضيعة .!
وكانت في ثورتها أجمل منها في سكونها .

وغزت ذهن "لويين" فكرة جديدة .. كلا .. إن هذه الفتاة لا تمثل إنها تتكلم الحقيقة . إنها تصرخ من أعماق قلبها . ليس في كلماتها المتدفقة ، ولا في حرارة نبراتنا شيء من التمثيل . لقد أخطأ إذ ظننا خليعة تتظاهر بالطهارة .

وتكلم "لوبيين" وقد تغيرت ملامحه ولهجته :
- إنني أسف يا أنسة . وإنني اعتذر .. إنني اعتقد الآن أنك مخلصة .
فنمت ملامحها على الدهشة وقالت :
- مخلصة ! وهل كنت ترتاب في صدقي ؟
- نعم .. والحق اني ...

وصمت .. فقالت الفتاة :

- أصبت ! ولست الومك لريبتك في ! لقد ارتبطت على غير إرادة
مني بعهد ذي وجهين . عهد مبهم الحدود والتبعات ! وليس معنى
هذا اني اجهل ما ينطوي عليه استقبالي رجلا غريبا في مخدعي من
نصف الليل حتى الصباح ؟ كلا .. كنت اتوقع كل شيء وقد أعددت
العدة لكل شيء .. ساتحدث إليه .. ساوضح له الحقيقة . ساتوسل
إليه . ساستنجد بشهامته ونبله . رجل وفتاة بين جدران أربعة وفي
خلوة ! هذا شيء له معناه ! ولكنني كنت اعرف اني سانتصر . وبذلك
ابر بعهدي دون أن انحدر إلى الهاوية . ولكنني حين رايتك تدخل علي
تولاني الارتباك والاضطراب . حين رايت أن الغريب المجهول الذي
تعقبني وطاردني إنما هو "إيفان باراتوف" اضطربت وفقدت صوابي
ولم ادر ماذا ينبغي أن اصنع ونسيت تفاصيل الخطة التي وضعتها
للنجاة .

وامسكت عن الكلام . ونظر إليها "لوبيين" برهة ثم قال :

- أكرهينني ؟

فهزت رأسها وقالت :

- كلا .. لست أكرهك ! كل ما في الأمر اني ارتكبت حماقة .

- ندمت عليها ؟

- نعم .

- وإذا ارتدت الأمور إلى بدايتها من جديد فهل كنت حقيقة ترجعين
عن عهدك ؟

- لا .. مادام الشيك قد صرف .. وفي هذا المساء بالذات كنت بعيدة
عن باريس . ذهبوا بي إلى بيت في "دانيين" وحبسوني هناك حتى
يحولوا دوني ومقابلتك . ولكنني أبيت أن أرضخ .. لقد تعهدت فيجب

الا اخل بكلمتي . ولذلك هربت من النافذة . وطاردني لصان في قارب ..
ثم هاجمني سكران . ولكني احتملت هذا كله لكيلا اخل بشرفي !
- إذن فهم يعرفون انك على موعد معي .. واني ساحضر إلى مخدعك
عند منتصف الليل .

- نعم .. لقد قرأت امي بطاقتك إذ وجدتتها ملقاة على الارض فاصرت
مع اصدقائها على ضرورة تخلفي عن لقاءك فلما ابيت زعموا انهم
ذهبون إلى الاوبرا فلما ركبت معهم السيارة انطلقت بنا إلى "دانيين" .
ولكني هربت لأبر بعهدي .
فقال "لوبين" :

- للمرة الثانية اسالك الصفح يا أنسة . لقد أخطأت في حقك خطأ
شديداً وأسات السلوك .

وبعد سكتة قصيرة قال "لوبين" :

- اسمعي يا أنسة .. إنني أحب أن نتبادل بعض الحديث .. فهل لديك
مانع ؟ حسنا .. إنني لا أعرف عنك شيئاً وانت لا تعرفين واطنك
تعتقدين اني وحش قادم من روسيا لاغزو النساء ولاشتري بأموالي كل
امراة تروق في عيني . ؟ نعم .. هذا ظنك بي . ولكن من المحتمل جدا
انك مخطئة في هذا الظن . ربما لم أكن هذا الرجل .. هذا الوحش ..
كما انك لست هذه الفتاة التي ظننتها منذ لحظات . ومع ذلك فإنني
معذور فيما ظننت .. فتاة تتعهد بان تستقبل رجلا في منتصف الليل
حتى الصباح . وفي خلوة . بين جدران أربعة .. فما معنى هذا ؟ لقد
اعتقدت انك فتاة خليعة من هذا الطراز الذي لا يتحرج من شيء ولا
يتردد في أن يمنح أي شيء وكل شيء ! ولكني أدركت الحقيقة .
وهانذا اعتذر إليك مرة أخرى .. وأرجو أن تثقي بي .. أرجو أن
تطمئني .. انقضي الخوف عن نفسك .. قللي بانك لم تعودني تخافين
شيئاً .

ولكنها ظلت صامئة تتنازعها عوامل الشك واليقين .

واسترسل "لوبين" قائلا :

- اوه .. ما أشد حذرك وريبتك .. إنك لازلت خائفة متوجسة .. كم
يسعدني أن أراك مطمئنة راضية واثقة .. ليت شعري ما عساي

استطيع ان افعل لاعيد الثقة إلى نفسك ؟

وفكر برهة ثم قال :

- اسمعي يا أنسة .. لقد قلت منذ لحظات إن الشيء الذي يخيف ويريب هو هذه الخلوّة بين جدران أربعة فما راك في أن تغادر هذا المكان ؟ ما راك في أن نخرج ؟

فارسلت إليه نظرة دهشة وقالت :

- نخرج ؟

- نعم . لست أطمع منك إلا بأن أطيل جلستي معك . أريد أن أمتع عيني برؤيتك . ولكن ليس من الضروري أن تكون هذه الجلسة هنا بين هذه الجدران الأربعة . مادامت هذه الخلوّة تخيفك وتشيع في نفسك التوجس ! لنخرج معا .. لا كالاعداء وإنما كالأصدقاء.. لنذهب إلى مكان حافل بالناس :

وظلت "نيلي روز" صامئة برهة ثم قالت :

- وإلى أين نذهب ؟

- إلى أي مكان .. حسبي منك أن تكوني على مقربة مني وإن اشم عبيرك ! اسمعي .. إنك كنت تنوين أن تذهبي إلى المرقص الليلة في.. ولكنها قاطعته بقولها :

- كيف عرفت ؟

فضحك وقال :

- لقد رايت شابا يضع مونوكلا على عينيه يتحدث إليك في هذا .. فما راك في أن نذهب إلى حفل راقص .. في أي مكان تشائين .. "مونمارتر" ؟ "مونبارناس" ؟.. ولكن لا .. اسمعي .. إنني أعرف بنسيونا روسيا يجتفلون فيه الليلة بعيد روسي ، فما راك في أن نحضر هذا الاحتفال ! إن جميع من فيه من الروس بالتأكيد .. وللحفلات الروسية طابع جميل .. رقص قوقازي .. ودق على الدفوف .. فما راك في هذا ؟

- جميل جداً .. وبعد ذلك ؟

- بعد ذلك ؟.. ساعيدك إلى منزلك في سيارتي وأودعك عند الباب وانصرف ! وبذلك تكونين قد بررت بوعدك وينتهي كل شيء.. ولن اطالبك بشيء بعد هذا .

واقتربت منه نيلي روزّ ونظرت في وجهه باسمه وقالت :
- قبلت .. ! واني اشكرك .. ! ما أعظم نيلك وشهامتك في اول الامر
كان قلبي يفيض توجسا وريبة . اما الآن فكلي ثقة بك .. ! نعم .. إنني
اثق بك ثقة عمياء .. فهيا بنا .. !

الفصل الثاني

بعد منتصف الليل تحركت مدام "ديتول" في مقعدها الكبير الموضوع عند باب الغرفة التي تنام فيها ابتنتها في فيلا "فالنيه".
وتنهدت مدام "ديتول". وعلى صوت تنهدها التفت الفرسان الأربعة إليها وهم جالسون إلى مائدة البريدج.
وتكلمت مدام "ديتول" قائلة :

- اظننتم اني نمت ! في هذا المقعد الملعون الذي يقض الاعضاء !
ثم بسطت ساقيهما وحركتهما . ونهضت واقفة وهي تقول :
- سارى إذا كانت "نيلي روز" مستغرقة في النوم ؟
وفتحت باب المخدع وبخلت .. على أنها ما تقدمت فيه خطوة حتى
صرخة قائلة :

- لقد هربت .. هربت من النافذة ..!
وجرى إليها فرسانها الأربعة .. وراوا ملاعتي الفراش معقودتين
بالشرفة .

وهبط "فالنيه" إلى الحديقة ثم رجع بعد لحظات وهو يقول :
- لقد ركبت القارب الذي كان مشدودا إلى حلقة في الحديقة .
وصاحت مدام "ديتول" :

- إذن فقد رجعت إلى "باريس" لتستقبل هذا الرجل ..! لقد برت
بوعدها ..! هذه غلطتنا كان ينبغي أن نقيم معها في غرفتها فلا ندعها
تغيب عن بصرنا لحظة واحدة ..! ولكني لم أكن أعتقد أن الفرار من
الغرفة سهل إلى هذا الحد .. الا لعنة الله على (فيلتك) يا "فالنيه" ..!
والآن هيا بنا تطير إلى باريس .. واسأل الله أن نصل قبل قوات
الوقت مهما كان .. قبل أي ..

وسكتت دون أن تقول "قبل أي شيء" ولكن الفرسان الأربعة فهموا
على الفور ما ترمي إليه وما كانوا في حاجة إلى الإفصاح.
وبعد لحظات كانت السيارات تطير بهم صوب "باريس". وكانت
مدام "ديتول" لا تفتأ تصيح ما بين لحظة وأخرى :

- أسرع . أسرع .. يا إلهي .. الساعة الآن الواحدة إلا الثلث، وهذا الرجل هناك منذ ثلثي ساعة .. وحده مع ابنتي .. وبعد فترة من الوقت انفجر إطار من سيارة مدام "ديتول" وهتفت المرأة في جزع :

- يا إلهي ؟.. هل أبكي ؟.. ما العمل الآن ؟.. ونزلت من السيارة وصعدت إلى السيارة التي تحمل الفرسان الثلاثة وقالت :

- ساركب أنا و "قالبنيه" هذه السيارة أما انتم فيمكنكم أن تلتحقوا بنا بعد إصلاح سيارتي .

ورضخ الفرسان لأمرها ولم ينطقوا بكلمة واحدة تنم عن الاعتراض . والتفتت مدام "ديتول" إلى "قالبنيه" والسيارة تطوي بهما الطريق إلى باريس وقالت :

- يا إلهي ؟.. الساعة الآن الواحدة والثلث .. هذا معناه أن هذا الوحش قد أمضى مع ابنتي ساعة وثلث الساعة .. هذا فظيع ؟.. ما كنت أظن أن تبلي روزه" تقدم على هذه الفعلة .. يا لحماقتها وطيشها .. أه .. إن فتيات هذه الأيام مستهترات .. إن الفتيات على عهدي لم يكن ينشدين إلا الزواج ؟..

وأمسكت عن الكلام فجأة خشية أن ينزلق لسانها فتتحدث عن ماضيها يوم كانت فتاة لا تنشد إلا الزواج .. أو بعبارة أخرى يوم كانت لا تنشد الزواج ؟.. ثم أردفت تقول :

- اسمع يا "قالبنيه" .. ستنقذها وساعطيها لك .. خذها .. تزوجها .. أبسط عليها حمايتك .. احمها من النزوات والسقطات !. نعم .. تزوجها يا "قالبنيه" . فقال الشاب :

- هذي أمنيته الوحيدة في هذه الحياة !. وبعد فترة من الوقت هتف يقول :

- ها نحن قد بلغنا ضواحي باريس .

واجتازا طرقات باريس وهما صامتان لا يتكلمان وقد غرق كل منهما

في خواطره . ولما وقفت بهما السيارة ارتقيا الدرج على عجل وقالت
مدام "ديتول" :

- اقرع جرس بابي أنا .

وفتح الباب ورات على عتبته "فيكتورين" . وحين رات سيدتها قالت

في صوت يدل على الانزعاج :

- سيدتي .. سيدتي ..

- ماذا هناك ؟ ماذا جرى ؟

- الرجل يا سيدتي .. الرجل الذي كان سيحضر !

- ما شأنه ؟

- لقد حضر .. دخل عند الأنسة من بابها الخاص ؟

فصاحت مدام "ديتول" :

- يا إلهي .. يا للنكبة !

- لقد رأيته بعيني ! دقت الأنسة الجرس فلما دخلت عليها

صرفتني وامررتني بأن أنام .. ولكني ابيت أن أصعد إلى غرفتي . كنت
خائفة عليها .

- ولكن من هذا الرجل ؟

- لقد رأيته بين المدعوين إلى حفل الاستقبال اليوم .. طويل القامة

انيق الثياب لوحت الشمس بشرته .

- أه .. لقد رأيته . ذلك الشاب الاسمر الطويل . ولقد ظننت أنه

صديق لـ "نيلي روز" ! واين هو الآن ؟

- في مخدع الأنسة .

- في المخدع ! أه .. يا إلهي .. ترى أوقعت النكبة ؟

واسرعت مدام "ديتول" وفي أثرها "فالنية" و "فيكتورين" إلى باب

الدھليز الذي يقضي إلى جناح ابنتها وفتحته . ولشد ما دهشت حين

وجدت أنه غير مقفل بالمزلاج من الداخل . وكانت أبواب الغرف كلها

مفتوحة ولم يكن هناك أثر لـ "نيلي روز" ولا لصاحبها .

وقالت مدام "ديتول" وهي ترتعد :

- لقد خرجا معا . ليت شعري ما العمل ؟ لابد من إخطار البوليس ؟

فقال "فالنية" معترضا :

- كلا .. كلا .. إبلاغ البوليس يثير فضيحة لا داعي لها !. ويجب أن
نعمل بمفردنا دون أن نشرك البوليس معنا . لقد خرجت مع 'باراتوف'
فإلى أي مكان ذهبا ؟ أين يقيم 'باراتوف' هذا ؟
فقالت مدام 'ديتول' :

- أين البطاقة التي جاءت إلى ابنتي ؟
فقالت 'فيكتورين' :

- ها هي يا سيدتي .

وحملتها إليها . ونظرت مدام 'ديتول' في البطاقة وغلافها وقالت :
- ها هو ذا عنوانه مكتوب على الغلاف . إنه في فندق 'نوفوبالاس'
اتصل به تليفونيا يا 'فالنيه' .

وبعد ربع الساعة تم الاتصال بالفندق .

والثفت 'فالنيه' إلى مدام 'ديتول' وقال :

- يقولون إنه إما أن يكون نائما وإما أن يكون قد خرج لأنه لا يجيب
نداء التليفون في غرفته .

وفجأة استولى الغضب على 'فالنيه' فجمع قبضته وقال :

- يا للنذل !. يا للنذل !. ساحطم رأسه إذ أراه .

وقالت مدام 'ديتول' :

- ولكن ما يدريك أنه لا يجيب نداء التليفون لأنه الآن مع 'تيلي روز'
في المخدع ؟.

فصاح 'فالنيه' في غضب :

- لابد من إخطار البوليس !.

- والفضيحة !. ألم تقل أنت نفسك منذ لحظات إن في إبلاغ

البوليس إثارة للفضيحة ؟.

- لن تثار أية فضيحة فإن لي صديقا في إدارة البوليس يمكنني أن
اتصل به بصفة شخصية .. وأنت تعرفينه .. إنه يدعى 'تيرو' ، وهو

الساعد الأيمن للمدير العام ، ساذهب إليه على الفور !.

- وسارافك !. هيا بنا !.

ولم يكن العثور على 'تيرو' بالأمر الهين ، إذ كان أعزب غير متزوج ،
ولم يكن موجودا في داره ، وقالت بوابة الدار :

- عليك بالذهاب إلى إدارة البوليس ، إذ يحتمل أن يكون قد انبأهم بوجهته حتى إذا جد حادث خطير اتصلوا به .

وطارت السيارة إلى إدارة البوليس .. نعم .. لقد أخطرهم "تيرو" بمكانه .. إنه موجود الآن في مرقص "بوتيلييه" .. ومن جديد طارت السيارة إلى مرقص "بوتيلييه" .. وأرسل "فالنيه" مع أحد الجرسونات يستدعي صديقه . فلما جاء قص عليه تفاصيل الحادث في إيجاز . وقال "تيرو" بعد أن استمع إلى رواية صاحبه :

- تمردت عليكم الفتاة !

فصاح "فالنيه" :

- كلا .. إنها طفلة طائشة ! لك أن تعتبر الحادث اختطافا .. أو

إغواء .. أو ما شئت !

فضحك "تيرو" وقال :

- في مثل هذه الساعة أطرق باب الرجل في فندق "نوفو بالاس" وليس معي أمر من النيابة بالتفتيش ؟ ومع ذلك فهيأ بنا إكراما لك ! سأتحمل كل المسؤولية .

وبعد دقائق قليلة وقفت بهم السيارة أمام باب الفندق !

وقال المفتش "تيرو" يخاطب البواب :

- إني من البوليس .. أين مدير الفندق ؟ استدعه ..

- ولكنه نائم يا سيدي .

- قلت لك استدعه .

وبعد فترة وجيزة جاء المدير وقد أيقظوه من نومه ، وكان بادي الامتعاض ، ولكنه كتم ما في صدره وحاول أن يبتسم .

وأفضى إليه "تيرو" بخلاصة وجيزة للأمر دون أن يذكر اسم "نيلي روز" صراحة وقال :

- فلا بد من دخول مخدع "باراتوف" هذا .

- ولكن إذا لم يلب النداء ، أو إذا كان قد خرج ؟

- لديكم مفتاح إضافي لكل غرفة .. فلنستعمله .

وقالت مدام "ديتول" وقد اشتد جزعها :

- فلنسرع !

ودق "تيرو" على باب "باراتوف" مراراً دون أن يلبي احد النداء..

قال "تيرو" مخاطباً المدير :

- افتح الباب .

وما فتح الباب حتى كانت مدام "ديتول" اول الداخلين . على انها ما تقدمت خطوات حتى جمعت مكانها وارسلت صرخة مليئة بالرعب والغزع .

على الضوء الخافت الضئيل الذي ينبعث من الدهليز إلى الغرفة رأت مدام "ديتول" جثة رجل ممددة على الأرض بلا حراك . واضيء النور الكهربائي ، والتف الحاضرون حول الجثة . وقال المدير :

- هذا هو مسيو "باراتوف" بعينه !

ومال فوكة "تيرو" يفحصه ثم رفع رأسه وقال :

- لقد مات .. وكان الموت منذ بضع ساعات ، فقد بدأت الجثة تتصلب .. ثم انظروا إلى هذا الدم المتجمع على الأرض ، وعلى القميص وعلى العنق ! لقد مات مقتولاً ! اتصل يا حضرة المدير بمركز البوليس من طرفي .. من طرف المفتش "تيرو" ، واطلب إلى "القوميسير" أن يحضر على الفور ومعه الطبيب .

وأثار الحادث من في الفندق .. وتنبه النزلاء من نومهم على حركات الشرطة وهم يروحون ويغدون .. والمحادثات التليفونية الكثيرة ، وتوالت الاستفهامات وكلمات الاستغراب .

اما مدام "ديتول" فغادرت الغرفة على عجل ووقفت في الردهة حتى لا تقع عيناها على الجثة مرة أخرى وأنشأت تقول مخاطبة "قالبنيه" :

- هذا فظيع ! هذا مخيف ! ولكن أين "نيلي روز" ؟ ومن المؤكد أن هذا الرجل ليس هو الذي جاء يزورها في مخدعها مادام قد مات منذ بضع ساعات . قبل منتصف الليل ؟ هذا إلى أنه ليس الرجل الاسمر الطويل الذي رأيته في حفلة الاستقبال في داري اليوم . كان ذاك في عنقوان الشباب .

وتنهد "قالبنيه" وقال :

- حادث غامض ! ولكن "نيلي روز" ؟ ليت شعري أين هي الآن ؟ ومع

من هي ؟

ونقلت الجثة إلى مخدع النوم المجاور للغرفة التي وجدت فيها ووضعت على الفراش . فرجعت مدام "ديتول" و "فالنيه" إلى قاعة الاستقبال حيث كان التحقيق الأولي يجري بمعرفة "القوميسير" وبحضور الطبيب والمفتش "تيرو" .
وقال الخادم المراقب الموكل بمراقبة الطابق الذي تقع فيه غرفة القتل :

- الواقع يا سيدي "القوميسير" أنه ليس في وسعي أن أذكر لكم حادثاً معيناً . توليت المراقبة كما هي عادتي في كل ليلة . واعتقد أن النوم غلبني وأنا جالس على مقعدي . ولكن من المؤكد أنه لا يدخل أحد إلى الغرفة أو يخرج منها إلا رأيته . فإن فتح الباب كفيلاً بإيقاظي من نومي .

- إذن فانت تعتقد أن مسيو "باراتوف" لم يغادر غرفته ؟
- نعم يا سيدي .

- ألم يحضر أحد لزيارته في هذا المساء ؟

- بلى .. حضر أحد أصدقائه لزيارته وتناولوا العشاء معا في قاعة الاستقبال ورئيس الخدم "روبرت" هو الذي تولى خدمتهما بنفسه .
وقد انصرف صديق "باراتوف" في الساعة التاسعة . ولكنه رجع مرة أخرى في الساعة الحادية عشرة . وقد انتهى إلى سمعي من حديثهما كلمات غاضبة ثائرة . كانما ثارت بينهما مناقشة حادة . وقد سمع الخادم "لويس" هذه الأصوات الغاضبة فقال لي : "يظهر أن براكانا ثار عند الروسي" . وفي الساعة الحادية عشرة والنصف تقريبا خرج صديق مسيو "باراتوف" . أما مسيو "باراتوف" نفسه فلزم غرفته .
- ألم يره أحد بعد ذلك ؟

- نعم لم يره أحد يا سيدي . وفي وسعي أن أقسم على ذلك . لقد أخذتني سنة من النوم كما قلت لكم ولكن فتح الباب كان كفيلاً بإيقاظي . - صف لنا هذا الصديق ؟

- طويل القامة عريض المنكبين شديد التأنق وله بشرة لونها
الشمس .

- فالتفت "قوميسير" البوليس إلى "تيرو" وقال :
- لابد إذن من العثور على هذا الشاب الأسمر الوجه . إن كل القرائن توحى بأنه القاتل .
- فقال "تيرو" :
- هذا أمر لأشك فيه فيما اعتقد .
- يا إلهي !، وابتعتي المسكينة "نيلي روز" !.
- وترنحت وسقطت بين ذراعي "فالنيه" غائبة عن صوابها .

الفصل الثالث

كانت المسافة بين "تروكاديرو" و "اوتي" قصيرة قطعتها سيارة التاكسي التي يتولى "إبراتييف" قيادتها في وقت وجيز .

واراد "لوبين" أن يشغل "نيلي روز" عن التفكير فيما ارتكبت من حماقة بمرافقتها له فأنشأ يتحدث إليها بلا انقطاع عن البنسيون الروسي الذي سيذهب إليه . على أن جهده كان ضائعا لا داعي له . فما خطر لـ "نيلي روز" لحظة واحدة أن تنكص وتراجع . لقد اطمأنت إلى صاحبها ووثقت به فلماذا لا تخرج في رفقته ؟

ولكن ما إن وقفت بهما السيارة امام البنسيون الروسي حتى داخلها شيء من الشك وراحت تقول لنفسها : وما يديرني أنه كذب عليّ فذهب بي إلى مسكنه الخاص لا إلى مرقص روسي ؟ ..
ولكن انغام الموسيقى وصلت إلى أذنيها قبل أن تنزل من السيارة فاطمأنت ونفضت عنها هواجسها .

وتخطى "لوبين" عتبة البنسيون وفي رفقته "نيلي روز" ودخلا إلى قاعة الرقص .

وكانت القاعة تشيع الابتهاج في النفس : في أرجائها انتشرت الثريات الكهربائية الملونة وتدلّت من السقف البالونات الحمراء والزرقاء والخضراء . وهنا وهناك امتدت حبال من الورق ذي الألوان الزاهية وكان المكان مكتظا بالحاضرين وقد انتظموا حول المقاعد في ثيابهم الأنيقة وكان جلهم من الروس والأجانب .

وبدا الجمهور مندمجا في جو العيد الذي يسود المكان .. ابتسامات وضحكات ومزاح ..! نفص الناس عنهم أحزانهم وهمومهم ولم يعودوا يفكرون إلا في أن يمضوا بضع ساعات هانئين سعداء .

وسار "لوبين" بصاحبته إلى مائدة منعزلة في أحد الأركان وتشرف على ساحة الرقص .

وأخذت "نيلي روز" تدور بعينيها فيما حولها وقد أخذتها نشوة من السرور .. وسط هذا الجمع الحاشد لا يمكن أن تخاف شيئا .. وها

هوذا صاحبها أمين مخلص في حديثه وفي سلوكه .. فما الداعي للقلق..؟ وهذه الحياة ..؟ إنها جديدة عليها .. لاعهد لها بمثلها من قبل .. لقد درجت على حياة هادئة ساكنة خالية من المسرات .. نعم .. إنها تردت على مرقص "بوتيلييه" أكثر من مرة ، ولكن هذا المرقص الروسي من طراز آخر مختلف .. في مرقص "بوتيلييه" وجوه رزينة .. وابتسامات بحساب وقدر .. وخطوات متزنة ومحتشمة .. أما هنا .. في هذا المرقص الروسي .. فلا تقع العين إلا على حياة دافقة .. ابتسامات وضحكات صادرة من أعماق القلوب .. بلا حساب ولا تكلف .. ولا تصنع .. كلمات تهتز منها الأرواح .. لا قيود ولا أغلال !.. هنا الحياة التي تفجرت .. وتدفقت واكتسحت السدود وجرفت كل ماتواضع عليه الناس .

تريد أن ترقص .. تريد أن تضحك .. تريد أن تبتسم .. إذن فارقص كما تشاء واطحك كما تشاء .. وابتسم كما تشاء .. لا تحرك قدميك على وضع معين وإنما حركهما على أي وضع تشاء .. حطم القيود واهدم الأغلال واسلم نفسك مرة إلى الطبيعة المطلقة من كل قيد !..

واندمجت "نيلي روز" في هذا الجو السعيد الهائى .

والتفت إليها "لويين" وقال :

- ما أسعدني بأن أراك مبتهجة راضية . الآن للمرة الأولى أرى لوجهك تعبيراته المألوفة .. وهذه هي ابتسامة الطفولة ..

فأرسلت إليه بصرها في استغراب وقالت :

- ابتسامة الطفولة .. ؟ من يسمع كلامك يعتقد أن لك بي معرفة

قديمة ..؟

فضحك وقال :

- وهذا صحيح !.. إنني أعرفك وانت طفلة .. !

- أنا .. !

- نعم .. أو على الأقل صورتك الفوتوغرافية .. عندما كنت في العاشرة من عمرك .

- هذا عجيب ..! حدثني بتفاصيل الأمر إذن .
 - فيما بعد .. فيما بعد .. أما الآن فدعيني أسالك عما إذا كنت
 تحبين أن تراقصيني ..!
 فهزت رأسها وقالت :
 - كلا .. لا أحب أن أرقص في هذا المكان ..! إن الزحام شديد في
 ساحة الرقص كما ترى .. وأرجوك ألا تملأ كأسى بالشراب .
 فابتسم وقال :
 - إني أعرف .. إنه يدير رأسك ..!
 - عجباً .. وكيف عرفت هذا ..؟ أسبق أن رأيتني من قبل ..!
 فمال إليها وهو يقول :
 - أتذكرين يا أنسة سوقاً خيرية أقيمت في الشتاء الماضي ؟ لقد
 تحدثت أثناء هذه السوق مع سيد متقدم في السن بدين الجسم . وقد
 طلب إليك مرافقته إلى المقصف ليقيم إليك قدحا من الشراب فرفضت
 محتجة بأن الشراب يدير رأسك ؟..
 - نعم .. إني أذكر هذا الحادث تماما ، وقد بعث له برنامج الحفل
 فنقدني ألف فرنك .
 - إن لك ذاكرة طيبة يا صديقتي .
 - ولكنك لست هذا السيد ؟
 - هذا صحيح ، ولكنه صديق لي ، وقد حدثني عنك واطرى محاسنك .
 وذكر لي اسمك .. ولطالما رددت هذا الاسم وأنا في روسيا أثناء مغامرة
 محفوفة بالمخاطر انسقت إليها ، وإنه ليخيل إلي أن اسمك وصورتك
 يجلبان إلي السعادة وحسن الحظ .. قد يكون هذا الاعتقاد مني جنونا ،
 ولكنني أحب في بعض الأحيان أن أكون مجنونا .. ومهما يكن من الأمر
 فالشيء الذي لاشك فيه هو أن اسمك الجميل "نيلي روز" .. يمهّد أمامي
 العقبات ويخفف من متاعبي وهمومي ..
 وهكذا أخذ "أرسين لوبين" يمزج الخيال بالحقيقة ويحور في بعض
 الوقائع بما يتفق وظروف الموقف .. لم يكن في نيته أن يكشفها
 بمسألة الوثائق والأسهم التي عثر عليها مدفونة في باطن الأرض ..
 نعم .. إن الوقت لم يحن بعد .. حسبه أن يوقع في روعها أن هناك

صلة وثيقة تجمع بينهما .. صلة تمت إلى الماضي.. إلى عهد الطفولة.. بسبب متين فذلك ادعى إلى زيادة ثقتهما به ، وادعى إلى إثارة مشاعرها الكامنة وتسلسل على أعصابها ، وقد أصاب "لوبين" في هذه الخطة .

اضطربت الفتاة وعراها الانفعال ، وبدأت تفقد سيطرتها على أعصابها ، وعلى غير وعي منها مدت يدها وتناولت قدح الشراب ورفعته إلى شفثتها ورشفت منه جرعتين .

واسترسل "لوبين" يقول :

- وأنجزت مهمتي المحفوفة بالمهالك ، واستطعت أن أخرج حياً من الجحيم الروسي ، وأرادت الأقدار أن تقع بين يدي مجلة "فرنسا في بولندا" قرأت فيها صورك الثلاث . وأخيراً هانذا تعرفت إلى "نيلي روز" وبدأت حياتي من جديد ! .

وغمغمت الفتاة تقول :

- وقد كتبت إلي ..

وتردد "لوبين" . كانت الأكاذيب التي يلقيها إليها تعذبه . لقد زعم في أول الأمر أنه "باراتوف" صاحب خمسة الملايين فلا مجال إذن للتراجع وإلا فسدت الأمور . ولكنه لم يشأ أن يكذب إلا فيما تدعو إليه الضرورة القصوى . فلم يجب عن سؤالها وقال :

- ثم بادرت بالمجيء إليك ! كان تعهدك غريباً .. وجريئاً .. ولكنني استعنت به للوصول إليك . أردت أن أعرف .

أردت أن أراك . أن أتبين السر في هذا العرض الجريء - هذه فتاة تعلن في غير تردد أنها على استعداد لأن تمنح من نفسها كل من يتبرع بخمسة ملايين ما يطلب . فما السر في هذا التعهد . وهناك عندما احتواني مخدعك . عندما وقفت أنظر إليك وأحاورك.. انبعث صوت من أعماق نفسي يناديني : «إنها فتاة طاهرة .. إنها فتاة طاهرة !» وأسعدني أن أراك تثورين وتغضبين .

وكان "لوبين" يتكلم في صوت حلو النبرات يوحي بالإخلاص . وقالت "نيلي روز" :

- وبعد ظهر اليوم ؟ لماذا جئت إلى المعمل ووقفت على الإفريز ؟

- أردت أن أراك . أردت أن اتزود منك بنظرة تملأ القلب .
- وعندما جئت حفل الاستقبال ؟ وكيف عرفت أولا أن في دارنا حفل استقبال ؟

- البواب هو الذي أنبأني بذلك وما جئت لكي أراك فقد رايتك عند
المعمل . وإنما جئت لأزداد معرفة بك . عندما وقع بصري عليك رايتك
فاتنة . جميلة .. كل ما فيك يوحى بانوثة ناضجة انوثة خلابة طاغية.
فأردت أن أراك مرة أخرى . أردت أن المسك .. وعندما عزفت الموسيقى
نشيد الفالس لم أتردد في أن أتقدم إليك واحتويك بين ذراعي . وإذ ذاك
امتزجت روحي بروحك . إذ ذاك جمعت الأقدار بيننا كما تجمع دائما
بين كل امرأة وكل رجل ! ليس هذا صحيحا ؟
وقالت "نيلي روز" :

- ما كان ينبغي لك أن تقتحم مخدعي ؟
- أردت أن أرى المكان الذي تعيشين فيه . أردت أن أرى المخدع الذي
تنامين فيه .. وقد تمثلت راقدة في الفراش وفاضت بنفسي السعادة ..
- ولكنك لم تكن موقنا من مقابلي هذا المساء . كان من الممكن أن
أتخلف ..

- من كانت مثلك لا يمكن أن تخل بوعده قطعه على نفسها .
وساد الصمت برهة . واستغرقت الأحلام "نيلي روز" . وكانت
الموسيقى تعزف نشيد «ملاحى الفولجا» . وملاً "لوبين" قدها بالشراب
من جديد وشربت . وجعلت تصغي إلى الإنشودة والحاضرون
يرددونها في إيقاع جميل . وشربت مرة أخرى . وابتسمت وأخذت
تنقر على المنضدة وفق النغم الموسيقي .
وكان "لوبين" يرقبها . واستدعى رئيس الخدم وأسر إليه كلاما حملة
هذا إلى رئيس فرقة الموسيقى .

وانتهى نشيد الفولجا . وقال "لوبين" :

- إنك لم تشربي ؟

وشربت من جديد !

ونظر إليها "لوبين" . لم تعد هي "نيلي روز" المتوجسة القلقة ..
المستريبة . لقد ارتدت فتاة أخرى . فرحة . طروبا . متوثبة . في

عينها شباب . وفي جسمها شباب . فيها حياة تتدفق وتتفجر . !
وبدأت الموسيقى تعزف . عزفت نشيد الفالس . النشيد الذي راقصها
لوبيّن على انغامه في حفل الاستقبال . النشيد الذي اتاح له ان
يحتويها بين ذراعيه لأول مرة .

ومال إليها لوبيّن وقال :

- نيلي روز !

وكانت هذه أول مرة نطق فيها باسمها مجردا .

- نيلي روز . ! اتحبين ان تراقصيني ؟

فلم ترفض كما فعلت في المرة الاولى . ولم تتردد . وإنما اجابت على
الفور :

- نعم هيا بنا نرقص هذا هو نشيدنا . !

واحتواها بين ذراعيه واندمجا في غمار الجماهير . !

لقد أصبحت له . !

الفصل الرابع

أخذت "نيلي روز" تحرك قدميها على نغم الموسيقى وقد أغمضت عينيها نصف إغماضة . كانت مأخوذة مفتونة هذا السحر الذي يغمرها . هذه الموسيقى الحلوة . الناعمة الخلابة هذه البالونات الملونة هذه . الحياة الصاخبة المتدفقة التي تفيض نارا ونورا . هذه الدنيا التي اجتمعت في هذا المرقص الروسي !

لقد أخذتها النشوة فلم تعد تدري ما هي صانعة ! ! وهذا الذي يضمها إلى صدره . ؟ إنه ساحر عجيب الشأن . ! في أول الأمر كانت تنظر إليه نظرة العداء . استرايت فيه وصدته عن نفسها وطردته من دارها ! ! والآن . هاهي ذي بين ذراعيه . في مرقص روسي .. وقد صحبته إليه من تلقاء نفسها وبمحض اختيارها . استحالت الريبة المطلقة ثقة مطلقة . !

ومع ذلك فما الذي يمكن أن تخشاه وسط هذا الجمع الحاشد؟
ومهما يكن من الأمر فما الداعي إلى هذه الخواطر ؟
إنها سعيدة . هائلة وحسبها ذلك . !

كان "لويين" ينظر إليها . ويتأمل عينيها . هاهي بين ذراعيه . فريسة سهلة . راضية . مستسلمة . ! وعطرها الشذي .. الذي يملأ خياشيمه ويسكره . ويفقده الصواب .

وجسمها اللدن . جسمها الذي يتدفق حرارة . حرارة الشباب والحياة . كل مافيها يتفجر بالشباب ؟ إنه ما اشتهاها أكثر مما يشتهيها الآن . إنه ما تمنى أن ينتصر عليها ويتغلب على عنادها كما يتمنى الآن ! !

وانتهت رقصة الفالس . ورجعا إلى مائدتهما .
وكان على مقربة منهما جماعة من الروس أخذوا يقذفون الفتاة بالبالونات والأوراق الطائرة الملونة .

وشربت "نيلي روز" قدحا جديدا من الشراب والتفتت إليه قائلة :

- ما اسمك ؟

واخذه الاضطراب عند سماعه هذا السؤال . وظل صامتا .
واسترسلت "تيلي روز" تقول :

- الم تقل لي إن "إيفان باراتوف" اسم مستعار وإنك فرنسي
الجنسية ما اسمك إذن ؟

فنظر إليها باسماء وقال :

- "جيرار" أيعجبك هذا الاسم . ؟

فارتسمت على شفيتها ابتسامة خفيفة وقالت :

- اسم جميل .

وقدم إليها سيجارة فقبلتها واشعلها لها .

وقالت الفتاة كأنما قد استفاقت من نشوتها :

- لقد تأخرنا . ؟ يجب أن تعيدني إلى البيت . ؟ الم نتفق على هذا . ؟

- بلى . بلى . ولكن بعد قليل . "تيلي روز" . إنني سعيد جدا بأن أراك

إلى جانبي . سعيد بأن أعتقد ولو للحظة خاطفة أنك أصبحت لي -

سعيد بأن أستطيع أن أكشفك بأنني أحبك . !

فقال كأنما تحاول أن تفهم :

- هل تحبني ؟

- نعم .. ! يغضبك هذا ؟

فنظرت إليه برهة ثم أجابت وعلى شفيتها ابتسامة مضطربة :

- لا أدري .. !

وقاما يرقصان من جديد .. ولما رجعا قذفهما جيرانهما الروس

بالأوراق الملونة . ووجها إليهما - في هذه المرة - كلمات باللغة

الروسية لم تفهمها "تيلي روز" لحسن الحظ وإن كان "لويين" قد فهمها .

وبدا الجمهور في الانصراف تدريجيا ، وقالت "تيلي روز" :

- يجب أن ننصرف .

- بالتأكيد .. سننصرف حالا .

ونظر في ساعته .. الرابعة صباحا .

ولم يكن ينوي أن يمضي بها إلى مخدعها وإنما إلى مخدعه .. ! نعم

سيخرج إلى الفناء . وفي نهاية الفناء سلم .. وهذا السلم يقضي إلى

الغرفة التي يشغلها في هذا البنسيون الروسي .

وأرسل بصره إلى الفتاة .. أتراها حقيقة بأن تثور مرة أخرى ؟
إذا حاول أن يصعد بها إلى مخدعه . ترى أحانت الساعة
المناسبة ..

والقى "لوبيّن" بذراعه على مسند المقعد خلف ظهرها .. ولبثت مكانها
لاتراجع ولا تتباعد ..! افعلت هذا استجابة ورضاء أم أنها لم تشعر
بذراعه .. ؟ لقد شربت كثيرا .. واسكرتها الموسيقى وفنتتها نبرات
صوته وهو يتحدث إليها .. فهل تراها أصبحت الآن تلتف إلى أن تجد
نفسها بين ذراعي هذا الرجل ؟ ..

وللمرة الثالثة رماهما جيرانهما الروس بالورق الملون وصاح
أحدهم في فرنسية ركيكة :

- هيه .. انظروا العاشقين ! ..

ولحسن الحظ لم تسمع "نيلي روز" هذا التعريض ..! ولم يكن مما
يتفق مع خطة "لوبيّن" أن يثير جدلا فيوقف الفتاة من نشوتها . ولهذا
اكتفى بأن أدار راسه ونظر إلى الروسي نظرة تنطوي على الغضب
والعتاب .

ولم يسكت الروسي ولم يشأ أن يفهم وإنما قال بفرنسيته الركيكة:
- هيه !.. لماذا تحتفظ لنفسك بهذه اليمامة أيها الاخ ؟ كلنا إخوة
ورفقاء . فهاتها وتعال اجلس معنا !..

وقال "لوبيّن" يجيبه في خشونة :

- أرجوك أن تسكت ..

فصاح الروسي :

- أنا اسكت .. ! من أنت حتى تأمرني بالسكوت .. ؟ ألا تعرفني ؟ ..
إنني "نيكولاس تشيبين" .. ! فهل تظن أنك تستطيع أن تخيفني ..
حسنا مادامت هذه اليمامة الصغيرة لا تريد أن تحضر إلى مائدتنا
فساحضر أنا إليها !..

ونهب الروسي واقفا فإذا هو عملاق ضخم . وتقدم إلى مائدة
"نيلي روز" و"لوبيّن" .. ولم يكن ثملا وإن كان واضحا أنه احتسى بعض
أقداح من الشراب .. وكان يحمل قدحا مملوءا بالفودكا فبسط يده إلى
الفتاة وهو يقول :

- تذوقي هذا الشراب الروسي يايمامتي .

وإدنى الكأس من شفتي الفتاة .

وصرخت "نيلي روز" في فزع وردت رأسها إلى الخلف .

ولم ير "لوبين" محبلاً لأن ينتظر أكثر من هذا . أمسك بقدر الفودكا وقذف بمحتوياته إلى وجه العملاق . وقبل أن يتهيا هذا للنضال كان "لوبين" قد عاجله بضربة في فكه جعلته يترنح ويسقط أرضاً .

وصاح رفاق الروسي الأربعة صيحات الغضب وانقضوا جميعاً على "لوبين" .

ووثب "لوبين" إلى اليسار خطوتين حتى لا تدور المعركة بالقرب من الفتاة خشية أن تصيبها ضربة طائشة .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة . ولكنها كانت في هدوئها أشبه بالسيف المصلت على الأعناق . أما عيناه فتالقتا . وتطائرا منهُما الشرر . هذا هو "لوبين" رجل النضال والعمل !

وسدد بقبضته الفولاذية أربع لكمات . لكل خصم من خصومه الأربعة لكمة . وردتهم اللكمات على الأعقاب مذهولين . حائرين .. ولكن العملاق انبعث واقفا وهم بالنضال من جديد وتسليح زملاؤه بزجاجات الشراب .

وبدأت المعركة من جديد .

واحتشد الحاضرون حول المتعاركين . وكان المشهد فريداً مشوقاً خمسة من العمالقة الروس يتضافرون على مهاجمة شاب أنيق مترف .

وفجأة . تراجع المتفرجون إلى الخلف وفر بعضهم هارباً .

أخرج "لوبين" مسدسه من جيبيه وشهره متوعداً .

وفي هذه اللحظة وصل "بيجور" صاحب البنسيون فالقى بنفسه بين "لوبين" والمعتدين .

وبعد لحظات رجع "لوبين" إلى "نيلي روز" فالفأها شاحبة اللون ممتلئة فالقى معطفها على كتفها . وحملها بين ذراعيه كأنها طفلة صغيرة وسار بها ومسدسه لا يزال في يده يتوعد به خصومه .

وتركته "نيلي روز" يفعل ما يشاء . إنها معه تشعر بالاطمئنان إلى جانبه .

مشى "لوبيين" إلى الفناء . وفي صدر الفناء السلم المفضي إلى
مخدعه . وصعد "لوبيين" إلى المخدع . و"نيلي روز" صامتة لا تتكلم . لم
تعارض ولم تمنع لقد ظن ان هذا الحادث سينبئها من نشوتها
ويبعث في نفسها روح التمرد ولكنه الفأها على العكس مستسلمة
مذعنة .

وارقدها "لوبيين" على الأريكة واضاء النور وأسدل الستائر ثم رجع
إليها .

وجالت الفتاة ببصرها في الغرفة . ورات على رف المدفأة إناء رشق
فيه عود من الزنبق .

وغمغمت تقول في صوت متهدج خافت :

- زنبقي . ؟

فحنى رأسه إيجابا ..

مال فوقها . ومضى ينظر في عينيها . ! وايقظت نظرتة ما كان كامنا
فيها من بقايا القوة والجلد والشجاعة . وتحركت على الأريكة حركة
خفيفة ..

أترى عاودها الخوف ؟ ربما . ولكنها في إعيائها لم تكن تفهم حقيقة
الموقف . كانت منهوكة القوى . متعبة . خائفة . ! لقد أدار الشراب
رأسها وبدد قواها .

وتكلمت "نيلي روز" وكان صوتها خافتا .

قالت :

- لا تقبلني . ؟ يجب الا تقبلني . ؟ يا إلهي لقد أخطأت لقد أنذرتني

ماما . !

وبدت كأنها طفلة تشكو .

بدت صغيرة ضئيلة الحجم ضعيفة . ولكنها في الوقت نفسه بدت
مثيرة للرجبة .

وفتحت عينيها ونظرت إلى الرجل . نظرت إلى ذلك الرجل الذي
لا يزال ماثلا فوقها . ورات النظرة الهائلة في عينيهِ .

وعادت تقول وهي ترتعد :

- أرجوك . أريد أن أعود إلى داري . ساعدني على العودة .. ثم ألقت
براسها على الوسادة . واغمضت عينيها متعبة منهوكة القوى .
ونامت .
ومال لوبين فوقها . وراجت شفاه الملتهبتان تسعيان إلى شفتيها .

الفصل الخامس

حين هوت مدام "ديتول" بين ذراعي "فالنيه" غائبة عن الصواب خف المفتش "تيرو" إلى نجدتها وتعاون الرجلان على نقلها إلى أحد المقاعد والعمل على إنعاشها . أخذا يدلكان يديها وساقيه . نشقاها قليلا من الأثير . نضحا وجهها بمنشفة مبللة بماء الكولونيا .

وكان لهذه الجهود اثران : أولا أن المنشفة المبللة بالكولونيا أزالته كل ما بوجهها من زينة ومساحيق فأنكشف للعيون على حقيقته خاليا من التزييق "الرتوش" واختلطت المساحيق بعضها ببعض : طلاء الشفاه والوجنات الأحمر ومسحوق البودرة الأبيض وطلاء الحواجب الأسود وطلاء الأهداب الأزرق . ! اختلطت هذه الألوان كلها فخرج من الأحمر والأبيض والأسود والأزرق لون جديد عجيب لا اسم له بين الألوان . ! لون لايمك من يراه على وجهها إلا أن يغرق في الضحك . !

أما الأثر الثاني فهو أنها بدات تنتعش وتستفيق ففتحت عينيها وتحركت في مقعدها .

وفي خلال ذلك كان "قوميسير" البوليس ماضيا في الاستجواب والتحقيق ، وبعد أن فرغ من استجواب الخادم المراقب الذي قرر أن الشاب الأسمر الطويل كان آخر من زار القاتل . وبعد أن استجوب الخادم الذي ذكر لزميله «أن بركانا ثار عند الروسي» أمر باستدعاء رئيس الخدم الذي تولى إعداد المائدة لـ "باراتوف" وصديقه

وقرر هذا الرجل أنه لم يلاحظ أثناء العشاء أن بين الرجلين شيئا من سوء التفاهم ، بل هو يعتقد على النقيض أن العلاقات بينهما ودية بدليل أنهما كانا في حديثهما لا يستعملان إلا الاسم مجردا من اللقب . "باراتوف" و"جيرار" .

وصاح القوميسير حانقا :

- تبا لك ! لماذا لم تقل من أول الأمر أنه يدعى "جيرار" هذا أمر له أهميته القصوى .

على أنه ما نطق بهذه الكلمات حتى أدرك سخافة ما قال . إن "جيرار" اسم مجرد من اللقب فما قيمته ؟ وكيف يمكنه هذا من الاهتمام إلى صاحبه ؟

ولم يكن لدى القوميسير ذرة من الشك في أن هذا الشاب الأسمر الطويل هو الجاني وكانت كل القرائن التي تكشف عنها التحقيق تشير إلى ذلك حيث حدثت مشاحنة فجائية بين الرجلين . ثم ارتكب الجريمة . فهل هي جريمة متعمدة ناشئة عن سبق الإصرار أم جاءت عفوا ؟ وما الدافع إلى ارتكابها ؟ الانتقام أم المنافسة أم السرقة ؟ وتحول البحث إلى حقائق القتل . كانت على عهدها مليئة منسقة كأنما لم تمسسها يد . فهل هي جريمة المصادفة ؟ أم جريمة عاطفية ؟ أم الأمران معا ؟

حقا إنه لغز محير معقد .
وثمة لغز آخر .. ما شأن هذه المرأة التي اغمي عليها ونطقت اسما لم يتبينه جيداً ؟ ما شأنها في هذه الجريمة وما صلتها بها؟ وما الداعي إلى وجودها في هذا المكان ؟
واقتربت القوميسير من "تيرو" الذي كان ملازما الصمت لا يتدخل في التحقيق وقال له :

- مسألة معقدة ياسيدي المفتش . ولابد من الحصول على معلومات جديدة قبل الإدلاء برأي قاطع . هذا وإن كنت اعتقد أن السرقة هي الدافع إلى الجريمة . ولكن لابد من معلومات جديدة .
- أعتقد ذلك ؟

وحده "تيرو" بنظرة فاحصة ذات معنى وقال مسترسلا :
- سيكون الحصول على هذه المعلومات الجديدة من شأن قاضي التحقيق الذي سيحضر في الصباح ، وسأخطر المدير العام بالأمر في الصباح فأرجوك أن ترسل إلي على الفور تقريرك .
ولم يكن القوميسير بالرجل الغبي .. ولم يكن يجهل أن لـ "تيرو" نفوذاً كبيراً عند المدير العام .. ولقد فهم من نظرة "تيرو" أنه يريد أن يقف التحقيق عند هذا الحد ولا يتعرض القوميسير بكلمة واحدة لهذه السيدة التي اغمي عليها .. فليكن إذن .. فما الداعي إلى أن يثير عليه غضب "تيرو" بالتالي سخط المدير العام ..
واستهل "تيرو" يقول :

- وعليك أن تبذل جهدك في الكشف عن شخصية الشاب الأسمر

الطويل . وإذا استطعت أن تقبض عليه قبل طلوع النهار كان ذلك منك عملا مجيدا .

ثم لحق بمدام "ديتول" وهي لا تزال متهاكة على مقعدها وقال لها :
- لقد أوفت الساعة ياسيديتي العزيزة على الرابعة صباحا ولاشك أنك خائفة منهوكة القوى فيجب أن تعودي إلى دارك وأنت على يقين تام من أننا لن نقصر في جهودنا وابعائنا ..! إن الأمر الآن بين يدي البوليس ولن تنقضي بضع ساعات حتى ينجلي كل شيء . فليطمئن بالك .

وغمغمت مدام "ديتول" تقول في إيجاز :

- أصبت ..! سأرجع ..!

واسر "تيرو" إلى صاحبه "فالنیه" بكلمات قليلة ثم مضى إلى الغرفة المجاورة . واقترب "فالنیه" من مدام "ديتول" وقال :

- والآن هيا بنا يا صديقتي العزيزة .. يجب أن ننصرف ..؟

وقالت مدام "ديتول" في صوت مضطرب ضعيف :

- نعم .. لابد من الانصراف . ولكن تصور نكبتی ..! لابد من أن انتظر ساعات طويلة . ساعات حافلة بالهواجس والألم وأنا أعلم أن "نيلى روز" مع هذا اللص ..! مع هذا القاتل ..! آه .. يا إلهي ..! لم تعد مدام "ديتول" تلك المرأة المرحمة المستهتره ..! لم تعد الأرملة الطروب ..! وإنما عادت في هذه اللحظة مثالا للام .. الأم القلقة .. المضطربة ، المتلهفة ، الجزعة . عادت الأم التي تعرف أن ابنتها مستهدفة لخطر محقق وهي مكتوفة اليدين عاجزة عن أن تخف إلى نجدتها . لقد تقدمت بها الأعوام عشرين سنة على الأقل . وشعر "فالنیه" بالرتاء لها . وفجأة قالت الأم المسكينة :

- اسمع يا "فالنیه" . لقد لمحت الآن اثناء التفتيش فكرة "باراتوف" موضوعة في درج هذه المنضدة . نعم .. هذه المنضدة الصغيرة . ومن المحتمل جدا أن يكون في هذه المفكرة عنوان هذا النذل المدعو "جيرار" أو بيانات أخرى ترشدنا إليه .

فقال "فالنیه" :

- ولكن البوليس ..؟

- لاتبال .. استول على هذه المفكرة . قلب صفحاتها . ! اسرع! ولكن إياك أن يفطن إلى أمرك أحد .

واقترب "فالنيه" من المنضدة كأنه يتمشى بلاغاية معينة . وعلى عجل مد يده ففتح الدرج وأخذ المفكرة . ثم مضى يقلب صفحاتها . وبغته أفلتت شفتاه آهة تدل على الاستغراب . وتحول إلى مدام "ديتول" وهو يقول :

- ها هو ذا العنوان .. لقد وجدته مكتوباً فيها : «في يوم ٨ مايو يجب أن أبرق إلى "جيرار" بموعد وصولي - العنوان : البنسيون الروسي في "أوتي" .
فهتفت مدام "ديتول" :

- عال جداً .. لابد أن هذا النذل قد ذهب بابنتي إلى هذا البنسيون الروسي . هيا بنا .
- ولكن إلى أين ؟

- إلى البنسيون الروسي لننقذ "نيلي روز" .
وغادرت الغرفة وفي أثرها "فالنيه" . ولكنه حين بلغ رأس الدرج قال معترضا :

- ولكن ألا يحسن بنا أن نخطر "تيرو" أو القوميسير؟
فقال في حزم :

- كلا .. يجب ألا يعرفوا شيئاً سنعمل بمفردنا .
ومرت بغرفة البواب وألقت نظرة على دليل التليفون وقالت :
- ها هو عنوان البنسيون الروسي . هيا بنا .
وتجدد نشاط الأم المسكينة ، على الرغم مما عانت في تلك الليلة من متاعب وانفعالات كانت لاتزال متوثبة متحفزة لإنقاذ ابنتها من براثن هذا القاتل .

وفي الساعة الرابعة والثلاث صباحاً وقفت بهما السيارة أمام البنسيون الروسي .

وكان الظلام يسود الفندق لولا مصباح ضئيل الضوء ينير الردهة . وكان هناك نفر من السكارى مهالكين على المقاعد وعلى الأرض . ورات مدام "ديتول" من بينهم عملاقاً يلوح عليه أنه دون أصحابه سكران

فاقتربت منه وقالت :

- ألم تر هنا شابا طويل القامة أسمر اللون شديد التانق ؟
ورفع العملاق رأسه حين طرحت عليه هذا السؤال .
- شاب أسمر طويل القامة شديد التانق ؟ نعم .. لقد كان هنا طوال
السهرة .

- وحده ؟

- كلا .. في رفقته فتاة .

فصاحت مدام "ديتول" :

- فتاة !..

- نعم .

وانبرى روسي آخر من السكارى يقول :

- وهي فتاة حسناء .. حسناء جدا . وكانت ترتدي ثوبا ابيض
اللون يسفر عن ذراعيها ومنكبيها . ومعطفا أحمر اللون .
فغمغمت مدام "ديتول" وقد اختنق صوتها انفعالا :

- إنها هي ! إنها هي !

واسترسل الروسي الثاني مشيرا إلى المائدة التي كان "لوبيين"
يشغلها مع "تيلي روز" :

- وكانا جالسين إلى هذه المائدة .. وقد حضرا في نحو الساعة
العاشرة .. ورقصا معا .. وكانا جالسين معا جلسة العشاق .

- أه يا إلهي ! وأين ذهبنا ؟

فهز الرجل كتفيه هزة من لا يدري جواب هذا السؤال ، ولم يشأ أن
يقص على المرأة كيف أن رجلا واحدا استطاع بمفرده أن يطرح أرضا
خمسمة من العمالقة !

واردف يقول :

- لقد انصرفا .. كانت الفتاة شبه مريضة فحملها الرجل بين ذراعيه
ومضى بها .

- إلى أين ؟

- لا أدري .

فصاحت مدام "ديتول" في إلحاح :

- بل تدري ! ! ويجب أن تدري ! ! ويجب أن تذكر . ! انعش ذاكرتك ..
أرجوك أن تذكر ! !

وتحرك روسي ثالث كان يصغي إلى هذا الحديث .. هذه المرأة فيما يلوح يهيمها أن تعرف مصير الفتاة وصاحبها ، وأمارات الثراء ظاهرة على المرأة فلم لا يحاول أن يستغل الموقف ؟
وتكلم الرجل قائلاً :

- في وسعي أن أزودك ببعض المعلومات .. ولكننا فقراء ولا نحب أن نحشر أنفسنا فيما لا شأن لنا به .
فقالت مدام "ديتول" مخاطبة "فالنیه" :
- اعطه مالا .

وأخرج "فالنیه" من محفظته خمس ورقات مالية من فئة المائة فرنك ،
ناولها إلى الروسي فقال هذا :

- حسناً ! لقد راقبتهما وهما يبتعدان .. ظل هذا السيد يحمل الفتاة وبخل إلى هذا الفناء ، ثم صعد السلم ، والسلم يقضي إلى مخدعه ، وقد رايتهما وهما يدخلان المخدع .
وارتعدت مدام "ديتول" وقالت :

- إذن فهو لا يزال هناك الآن ؟ والفتاة معه ؟
- هذا لا شك فيه .

وقالت مدام "ديتول" مخاطبة الروسي :

- اذهب بنا إلى مخدعه إذن ! !

فقال الروسي مخاطباً رفاقه :

- سنثار لأنفسنا أيها الرفاق من هذا الغر المفتون .

وسار الروسي إلى الفناء الذي يسوده الظلام وفي اثره مدام "ديتول" و"فالنیه" .

وفجأة سمع "فالنیه" صوت تكة ، فالتفت إلى صاحبه وقال :

- ما هذا ؟ ماذا تفعلين ؟

كانت مدام "ديتول" ممسكة بمسدسها الصغير الذي أخرجته من حقيبتها ولم تجب عن سؤال "فالنیه" ، ولكن وجهها كان منقلب السحنة وفي ثناياه ما ينم في جلاء عن ما عولت عليه ، ورأى "فالنیه" المأساة التي توشك أن تتكشف ! أم ذهب الحزن برشدها فعولت على أن تنثار لفقاتها ، وفي سبيل الثأر لن تتردد حتى عن ارتكاب جريمة القتل .
كانت مدام "ديتول" تسير في المقدمة وخلفها "فالنیه" ووراءهما

الروس الخمسة ، وهم يترنحون ثملين ، وقد عقدوا العزم على أن يحطموا باب الشاب الأسمر الطويل القائمة إن أبى أن يفتحه .
واعترض طريقهم حين بلغوا السلم "بيجور" صاحب الفندق وهو يقول :

- إلى أين تذهبن يا سيدتي ؟

لقد رأى المسدس في يدها وأدرك أن هناك خطراً يندر بالوقوع . واعد "بيجور" سؤاله :

- إلى أين يا سيدتي ؟

وقالت مدام "ديتول" تحييه في صوت صارم :

- إننا صاعدون إلى نزيل يدعى "جيرار" وهو الآن في مخدعه مع فتاة فدعنا نمر .

ولكن "بيجور" لم يدعها تمر .. لم يكن يريد أن يقع في فندقه حادث دموي حتى لا يوقظ شبّهات البوليس إلى ما يجري في الخفاء بين جدران هذا البنسيون .. وكان لابد له أن ينقذ "لوبين" .. ينقذ ذلك الرجل الذي ساعده على الفرار من روسيا فصان حياته من الدمار .

وتحول "بيجور" إلى الروس الخمسة وقال :

- وإلى أين تذهبون أنتم .. ؟

فاجابه أحدهم :

- إننا نتولى إرشاد السيدة إلى مخدع الشاب .

- انصرفوا أنتم .. لضرورة لبائكم .

ولما راهم في مكانهم جامدين عاد يقول في صرامة :

- قلت لكم انصرفوا ... !

ورجع الروس إلى البهو إذ خشوا أن يغضبوا صاحب الفندق وهم في حاجة إلى معونته وصبره عليهم إذ أبطنوا في سداد أجر غرفهم .
وتحول "بيجور" إلى مدام "ديتول" وصاحبها وقال :

- إن مسيو "جيرار" حقيقة نزيل عندي . ولكنه ليس موجوداً الآن ..
لقد صعد مع الفتاة إلى غرفته ولكنهما لم يلبثا فيها إلا خمس دقائق .
وأنا الذي استدعيت لهما سيارة التاكسي بنفسى .. وغمغت مدام "ديتول" دون أن يخالجها شك في صدقه :

- أه .. يا إلهي ..! ما العمل ..؟

وقال "فالنية" :

- ليس أمامنا الآن إلا أن ننصرف .

واخذ بذراع مدام "ديتول" وسار بها إلى السيارة . وتهالكت الام
المسكينة على المقعد وهي تقول :

- فلنرجع إلى البيت .. وقد نجدها هناك ..!

وراحت السيارة تطوي الطريق وقد بدأ نور الفجر يبدد الظلمات
وتنهدت مدام "ديتول" وقالت :

- ما أكثر الهموم يا صديقي "فالنية" ..! ليت شعري لماذا لم تتزوج
"نيلي روز" قبل اليوم . لو أنك تزوجتها لما حدثت هذه النكبة ..! أه ..
ابنتي المسكينة مع هذا الوحش ..! اليس هناك رجاء في ألا يكون قد
جرى بينهما شيء ..! من نصف الليل إلى الساعة الثانية كانا في
مخدع "نيلي روز" .. وبطبيعة الحال لم يقع بينهما أمر خطير .. وبعد
ذلك حضرا إلى هذه الحفلة الراقصة .. وبالتأكيد ليس هناك أيضا
شيء خطير .. ولم يلبثا في مخدع "جيرار" إلا خمس دقائق كما قال
صاحب البنسيون فإذا وجدنا "نيلي روز" الآن في البيت فمعنى ذلك أنه
لم يحدث شيء .. إنك فاهم ما أعني يا "فالنية" .

- بالتأكيد .. ولكن هبي أننا لم نجدها في البيت الآن ..؟ وقضلا عن
ذلك فقد أمضت ساعتين على الأقل في خلوة مع هذا الرجل ..! وكأننا
جالسين في المرقص جلسة العشاق كما قال هؤلاء الروس ..!

نطق "فالنية" بهذه الكلمات في حسرة ظاهرة .. وقد شعر بان كرامته
جرحت كزوجها المستقبل .

وقالت مدام "ديتول" :

- اسمع يا "فالنية" ..! إنني أرى من الحكمة ألا تفتاح "نيلي روز"
بشيء عندما نجدها بالمخزل ..! ستعلم الحقيقة فيما بعد وعاجلا ..
الست معي في هذا الرأي ..؟

فاجاب "فالنية" في حزن :

- بلى .

ولكن "نيلي روز" لم تكن موجودة في غرفتها .. إنها لم تعد من
الخارج بعد .

قالت مدام ديتول وقد عراها يا

- أه يا إلهي ..! هذا فظيع ..!

وتهاكت على الأريكة إعياء .

وليث الإثنان ينتظران ويترقبان .. الساعة الخامسة .. ثم السادسة
ومع ذلك لم تحضر "نيلي روز" ، وأخيرا بقت الساعة سبع دقائق . وأن
ذاك سمع صرير مفتاح يدور في القفل وهتفت مدام ديتول

- لقد جاءت "نيلي روز" .. وكانت شاحبة الوجه تسير في خطوات آلية

كانها لا تشعر ولا تحس

ووقفت مدام ديتول تنظر إلى ابنتها . وودت لو طرحت عليها مئات

من الأسئلة . أرادت أن تسالها عما حدث . ولكنها كانت قد عولت على

الآثار الموضوعة كما قالت - "قالبني" - غير أن الانفعال كان قد طغى

عليها فلم تملك إلا أن تقول

- إنه قاتل

فقالت "نيلي روز" تسالها في صوت أحوف لا يبدل على دهشة أو خوف

أو قلق . صوت كأنه صاير من أعماق القبور

- من هو ؟ ماذا تقولين ؟

- هو ! الرجل الذي زارك واستصحبك معه . ! الرجل الذي أمضيت

معه الليل ! "جيرار" إنه قاتل ! إنه يصر ! لقد قتل "باراتوف" بدافع

السرقه . !

- ولكنه هو "باراتوف" !

- كلا ؟ ! انحل اسم "باراتوف" وقتل "باراتوف" الحقيقي ! أقتله في

فندق "توفو" .. قبل أن يحضر لزيارتك عند منتصف الليل ! لقد رأيت

الجنة بعيني . إنه قاتل ! والبوليس يبحث عنه الآن !

وساد الصمت

وكان صمتا خافلا بالترعب والقرع .. وفي حركة آلية مدت "نيلي روز"

يدها وأخذت بذراع أمها وأخرجتها من الغرفة . وفي حركة آلية أيضا

أخرجت "قالبني" . كان يبدو عليها أن شعورها مات وتخبّر بظنرات

متحجرة ومشية آلية .

أغلقت الباب على نفسها . ثم ارتفعت على الفراش .

وبعد لحظات تعالى صوت نشيجها وبكاؤها .

القسم الرابع

الفصل الأول

قال مسيو ليستاي قاضي التحقيق مخاطبا سكرتيه وهما
يجازان غيبة فندق توفو بالاس في الساعة الثامنة من صباح اليوم
التالي لوقوع الجريمة

وجازاتوف هذا طبقا للبيانات الواردة بسجلات إدارة الأمن العام
شخص مشبوه تحوطة الظلمات . إنه غني جدا ولكن لا يعلم أحد من
اين هبط عليه هذا الثراء .. ولا يكاد يحف عن الترحال والطواف
بمختلف البلدان . اما الاسباب فمجهولة . ولكنه لا يتخل بلدا إلا راقبه
بوليسها .. في روسيا يراقبونه . وفي بولونيا . وفي النمسا وفي
إيطاليا .. ففي حياته كما ترى نواح عديدة يمكن أن تكون ذات صلة
بمصرعه . أما تبرعه بخمسة ملايين فرنك لدار العامل فعمل إنساني
جليل لا يمكن أن يقدم عليه من كان مذهبا إلا إذا كانت له من وراء هذا
التبرع غاية خفية يرمي إليها . ولست أشك في أن القاتل شريك قديم
تقم عليه لسبب من الاسباب .

فقال السكرتير : نعم هذا طبعه .

أو ضحية قديمة أرادت أن تثار لنفسها

وأفسك الرجلان عن الحديث عند هذا إن كانا قد بلغا جحاح باراتوف
وتخلاه . وكان قوميسر البوليس غير موجود . ولكن كان هناك رجل
طويل القامة يروح ويجيء في أرجاء الغرفة فرسلا بضره إلى كل شيء
وله عينا حادتان كعيني النسر .

ولم يكن هذا الرجل سوى المفتش تاناس الذي عهدت إليه إدارة
الأمن العام بأن يتولى تحقيق القضية وجلاء غوامضها .
وتاناس شرطي بارع موقر الذكاء عظيم الدهاء ما تولى جريمة
إلا كشف أسرارها وهتك أسرارها .

وقال قاضي التحقيق يسالة : نعم

- هيه ؟ ما وراءك يا "نانتاس" ؟
وكان من عادة "نانتاس" أن يكرر الكلمات الأخيرة من الأسئلة التي
تطرح عليه فقال مسرورا :

- ماذا ورائي ؟ هيه ؟ فلنفحص أولا هذه الحقائق يا سيدي
القاضي . إنها مفتوحة . انظر . وهذه الحقيقة بالذات . تأملها . هناك
يد عبثت بقفلهما . إذن فقد وقعت سرقة . هذا مؤكد . أوه إن الملابس
بالتاكيد بقيت على حالها لم تمس . ولكنني اعلم مما لدي من البيانات
أن "باراتوف" اعتاد أن يحمل جواهر وأشياء نفيسة . أشياء يأتي بها
من روسيا . اليس كذلك ؟ وهذا القفل مهشم . إذن فقد كان هناك شيء
في الحقيقة وسرق . والآن أتحب يا سيدي القاضي أن نفحص الجثة
فإنني لم أشأ أن أقربها إلا في حضورك .

فقال مسيو "ليسناي" :

- هيا بنا . !

وانتقلأ إلى مخدع النوم وشرع "نانتاس" يفحص جثة "باراتوف" .
- عال .. عال .. عال .. لقد فكت أزرار الصديري . وفكت بوحشية
وعنف . انظر .. لقد انفصل زر منها . ليس للصديري جيب داخلي .
عال .. عال .. انظر .. إلى هذا الجيب الأيمن . إن فيه مميزات ظاهرة .
وقد تمزقت البطانة . انظر يا سيدي القاضي . ألا ترى أن الجيب
منتفخ ؟ فلماذا كان منتفخا ؟ لا شك أنه كان يحتوي على شيء ضخم ..
شيء كبير الحجم ، كبير جدا .. وإلا فلماذا انتفخ بهذا الشكل ؟ وقد
انتزع هذا الشيء من الجيب في عنف . فمن الذي انتزعه ؟ اللص
بالتاكيد .. أعني القاتل .. ولكن ما هذا الشيء .. أوراق بنكنوت ؟ هذا
جائز . ولكنه غير محتمل . والآن فلنفحص المحفظة . وأخرج المحفظة
من جيب البذلة وفحص محتوياتها :

- ليس فيها نقود .. ليس فيها أوراق بنكنوت . لقد وقعت سرقة
حتما . كان مرتديا (الاسموكنج) ومعتزما الخروج ، والإنسان لا يخرج
إلا إذا تزود بقدر من المال . وهذا القدر لابد أن يكون كبيرا ما دام الرجل
هو "باراتوف" . ودفتر الشيكات سليم لم يمس . وهذا طبيعي فإن
استعمال القاتل للشيكات كفيل بأن يوقعه في التهلكة . ولكن ما هذا

الشيء الذي كان يخفيه في جيب صدريته ؟ اوراق بنكنوت غير محتمل . إذ لماذا يتزود بقدر كبير من البنكنوت؟ مادام معه دفتر شيكات وفي وسعه أن يبدل أي نوع من النقود ؟

واخذ مسيو "ليسناي" يفحص الأوراق التي وجدت داخل المحفظة على حين اتجه "نانتاس" إلى المنضدة واخذ من درجها المفكرة التي وجد فيها "قائنيه" في الليلة السابقة عنوان "جيرار". وقال المفتش وهو يقلب صفحات المفكرة :

- عال .. عال .. هذا بديع اقرا هذه الصحيفة ياسيدي القاضي . إن فيها قائمة بالأوراق التي كان يحملها .. هيه ؟ ما رايك في هذا ؟ الق بالك بنوع خاص إلى ماسطر تحته خط بالحبر الأحمر ملف اوراق للجيب ! اين هو إذن هذا الملف ؟ لست أدري . ولكني أدري على الأقل اين كان هذا الملف ؟ كان في جيب الصديري ! ولا بد انه كان يحتوي على اوراق خطيرة وإلا لما حفل "باراتوف" بأن يحتفظ بها لصق صدره ومن أجل هذه الوثائق قتل "باراتوف" يا سيدي القاضي ! والآن اسمح لي بأن ألقى نظرة أخرى على هذه المفكرة يا سيدي . إنها حافلة بالمعلومات . لو لم يكن القاتل غيبا لسرق هذه المفكرة . نعم كان ينبغي أن يسرقها .

ومضى "نانتاس" يقلب المفكرة . وقاضي التحقيق ينظر إليه في إعجاب وقال المفتش :

- عال .. عال .. عال .. هذه بيانات تتعلق بصديق "باراتوف" الذي تناول معه العشاء .. الشاب الأسمر الطويل القامة .. مكتوب فيها انه يقيم في البنسيون الروسي في "اوتي" .. وان "باراتوف" سيخطره برقيا يوم ٨ مايو بقدمه .. إنني اعرف هذا البنسيون الروسي .. إنه بؤرة تدور بين جدرانها أعمال تستدعي اهتمام البوليس .

وهتف مسيو "ليسناي" قاضي التحقيق يقول :

- "نانتاس" .. إنك أعجوبة زمانك .. ! هيا اسرع بالذهاب إلى البنسيون الروسي و .. فقال "نانتاس" :

- واقبض على السيد "جيرار" . ثم أتيك به في هدوء يا سيدي

أن ترسلها إلى العنوان الذي تجده على الغلاف

- يمكنك أن تعتمد علي ياسيدي

- أشكرك كثيراً

وتناول "بيجور" اللقافة وبسها في حيب سترته وانصرف

وعند أسفل الدرج وجد امراته وفي رفقته رجلان .

وقالت المرأة :

- يريد السيدان أن يقابلا مسيو "جيرار"

- حسنا .. ساخطره أولا .

فقال أحد الرجلين :

- لاداعي لذلك .. إننا صديقان قديمان ونحن على موعد معه .. يمكنك

أن ترشدنا إلى غرفته .

ولم يكن لدى "بيجور" شك في أن هذين الرجلين من البوليس كما

تدل على ذلك سحتنهما ولهجتهم . فلم ير ما يدعو إلى التحرش بهما

وإثارة سخطهما فأرشدتهما إلى رقم الغرفة ومضى إلى مكتبه على حين

ارتقى الرجلان السلم

وعندما فتح "لويين" باب غرفته ألقى الرجلين على عتبها

وقال أحدهما :

- هل أنت مسيو "جيرار" ؟

- نعم . ماذا تبغيان ؟

- أتعرف شخصاً يدعى "باراتوف" ؟

- نعم . ولكن لماذا تسال ؟

- مجرد فضول . إنني المفتش "نانتاس" من رجال البوليس القضائي

لقد وجد مسيو "باراتوف" مقتولا في الليلة الماضية . فاجفل "لويين"

وهتف يقول :

- مقتولا . ! "باراتوف" وجد مقتولا . !

- نعم .. وجد مقتولا .

- هذا مخيف . ! ! رجل مثله شجاع قوي يقتل . !

وكان وجهه ممتقعاً وسحتنه منقلبة .

ويعد سكتة قصيرة قال :

- واين قتل ؟ اعرفتم القاتل ؟

- سنعرف عاجلا . ! اما الجثة فوجدت في غرفته في فندق "نوفو بالاس" ونحن في حاجة إلى بعض البيانات والمعلومات عن القاتل .
ولما كنا نعرف انك من اعز اصدقائه راينا ان نلجا إليك . فهل لك ان تتفضل بمرافقتنا ؟

فقال "لوبين" متسائلا :

- وهل من الضروري ان ارافقكم إلى الفندق ؟ الا يمكن ان .. فقال

"نانتاس" مقاطعا :

- إننا في حاجة إلى معلومات تنقصنا ، فلا بد من حضورك معنا .

- فليكن إذن . ! ياللسقي المسكين . ! قتل !

- هيا بنا . !

اما "فيكتور" فتخلف عنهما ، إذ كان "نانتاس" قد اصدر إليه أمراً بتفتيش غرفة "جيرار" بعد خروجه .

وفي الطريق إلى الفندق لم يكف "نانتاس" لحظة واحدة عن طرح عشرات من الاسئلة على "لوبين" فيما يتعلق بـ "باراتوف" ، وكان يلقي هذه الاسئلة تباعا ، وبلا توقف . وقد اجاب عنها "لوبين" في حيطة وحذر ، ولم يرغب ان "نانتاس" إنما يواليه بهذه الاسئلة حتى لا يدع له فرصة يفكر فيها ويدبر امره .

الفصل الثاني

وصل المفتش نانثاس إلى فندق توفو بالاس وفي رفقته "ارسين لوبين" فلما دخلا على القاضي انتحى المفتش بمسيو "ليسناي" ركنا قصياً من الغرفة واسر إليه بعض الكلمات .

وتحول "ليسناي" إلى "لوبين" وقال في لهجة مهذبة :

- تفضل بالجلوس يا مسيو "جيرار" .. إنك صديق حميم لمسيو "باراتوف" .. اليس كذلك ؟

- صديق ؟ كلا .. إنني لست صديقاً له ، ولكن جمعت بيننا أواصر العمل ! .

- إن أعماله كثيرة في بولونيا .. وأظنك قد جئت أخيراً من بولونيا ؟
- نعم .

- هل "جيرار" هو اسمك الحقيقي ؟ وهل هو لقب خاص أم لقب الأسرة ؟

- إنه لقب أسرتي .

- لقد جئت إلى هذا الفندق بالأمس تنشد مقابلة مسيو "باراتوف" فهل أفهم من ذلك أنكما لم تكونا معاً أثناء الرحلة ؟

- كلا .. لم نكن معاً .. وقد تعشيت معه في هذه الغرفة مساء الأمس .

- لقد كنت أنوي أن أذكر لك ذلك ، وفي أية ساعة انصرفت يامسيو "جيرار" ؟

- في الساعة التاسعة مساء ، أو قبلها بقليل .

- ثم عذت في الساعة الحادية عشرة ؟

- نعم ، إذ لم نكن قد فرغنا من الموضوع الذي طرqnاه .. وكنت مرتبطاً بموعد آخر فيما بين التاسعة والحادية عشرة .

- ألم تلاحظ على مسيو "باراتوف" شيئاً يثير الريبة . ! ألم يكن

بادي القلق والاضطراب ؟

- نعم لم يكن قلقاً .

- عندما كنتما تتناولان العشاء كان مرتدياً سترة ، وعند العثور على

- ليس في وسعي أن أجيب عن هذا السؤال !
- هذا حقل الذي لا يمتازك فيه منازع . إذن فقد انصرفت من الفندق في الساعة الحادية عشرة والنصف ؟
- نعم يا سيدي القاضي
- واستربيل القاضي يقول :
- وعندما انصرفت . هل كان الشجار قد انتهى وعاد الصفاء بينكما كما كان ؟
- فقال "لوبين" بعد شيء من التردد :
- كلا . كانت أسباب الشجار خطيرة
- إذن فقد انصرفت وأسباب النزاع قائمة بينكما ؟
- نعم .
- بعد معركة ؟ فقد شهد ..
- فقال "لوبين" مقاطعا :
- نعم . لك أن تصف ماجرى بيننا بأنه معركة
- وإلى أي مكان قصدت بعد ذلك ؟
- فاجاب "لوبين" بعد تردد جديد :
- إلى فندقي . إلى البنسيون الروسي .
- وفي أية ساعة وصلت إلى البنسيون الروسي ؟
- لست أعرف على وجه التأكيد . حوالي نصف سبع . وربما بعد نصف الليل بربع ساعة . لقد ذهبت سيرا على الأقدام لأهبط من ثورة أعصابي
- وتحول القاضي نحو "نانتاس" وقال :
- هل تحررت عن ذلك يا سيدي المفتش ؟
- فتناول "نانتاس" سماعة التليفون وهو يقول :
- أسمح لي يا سيدي القاضي بأن استعلم ؟ الو . اعطيني البنسيون الروسي من فضلك . في "أوتي" نعم . "أوتي" يا أنيسة . وبعد لحظات قال "نانتاس" :
- البنسيون الروسي ؟ من فضلك أريد أن أخطب المفتش "فيكتور" .
- وبعد سكتة قصيرة عاد يقول :

- اهذا انت يا "فيكتور" ؟ في اية ساعة رجع مسيو "جيرار" إلى البنسيون مساء الامس ؟

واصغى إلى إجابة "فيكتور" ثم رد السماعه مكانها وقال :

- كانت هناك حفلة راقصة في البنسيون ولم يصل مسيو "جيرار" إلى البنسيون إلا في الساعة الثانية بعد منتصف الليل . وكانت في رففته إحدى الغانيات . غانية ترغدي فستانا ابيض ومعطفا احمر . وكانت لهما جلسة العشاق .

فقال القاضي يساله :

- ومن هذه السيدة ذات الفستان الابيض والمعطف الاحمر ؟

فاجابه "لوبين" في إصرار :

- لا أستطيع ان اجيب عن هذا السؤال .

فقال "نانتاس" :

- دائما إقصاء الشبهة عن المرأة ! هذه والله شهامة اهل فرنسا!

وقال مسيو "ليسناي" :

- تركت مسيو "باراتوف" في الساعة الحادية عشرة والنصف ولكنك

لم تصل إلى البنسيون إلا في الساعة الثانية بعد منتصف الليل . أي

انك تخلفت أكثر من ساعتين . فكيف أمضيت هاتين الساعتين ؟

وللمرة الثالثة هز "لوبين" راسه وقال في إصرار :

- لا أستطيع ان اجيب عن هذا السؤال .

وفكر القاضي هنيهة ثم قال في تودة :

- اجوبتك مبهمة يا مسيو "جيرار" وموقفك يكتنفه الظلام .. وإني

من ناحيتي احب ان انبهك إلى نقطة يحتمل انها غابت عنك . إنك آخر

شخص رأى مسيو "باراتوف" على قيد الحياة . والخادم المراقب

يستطيع ان يشهد بذلك فهو يكاد يكون موقنا من الأمر .. كان جالسا

في غرفة المراقبة ولكنه يستطيع من مكانه ان يرى باب جناح "باراتوف"

وهو يفتح او يقفل عند دخول او خروج أي إنسان . كما انه راك عند

انصرافك عقب الشجار الذي ثار بينكما .

ولبت "لوبين" صامتا برهة ثم قال في هدوء :

- هل افهم من ذلك يا سيدي القاضي انك تريد ان تقول إنني قتلت

‘باراتوف’ قبل ان انصرف في الساعة الحادية عشرة والنصف ؟
فقال القاضي في هدوء ايضا :

- ‘إني لم اقل هذا والواقع اني لم اقطع برأي نهائي في الحادث.. كل ما هنالك اني انشد الحقيقة وقد أردت أن أبين لك خطورة مركزك .. حدثت بينك وبين ‘باراتوف’ مشاحنة حامية قبل انصرافك .. ولم يزره احد بعد خروجك . وبعد بضع ساعات وجد ‘باراتوف’ قتيلا ! فما الذي يمكن أن يستنتجه المرء من هذا ؟ يضاف إلى هذا أنك ترفض في إصرار أن تبين لنا على أي وجه أمضيت الساعتين اللتين انقضتا بين انصرافك ووصولك إلى فندقك ؟ إن المسافة بين الفندقين لايمكن أن تستغرق أكثر من ربع الساعة . ولكنك استنفدت للوصول إلى البنسيون الروسي ساعتين ونصف . فإين كنت في خلال ذلك ؟
- ‘إني اصر على الامتناع عن الإجابة !
وساد الصمت .

ونفض ‘نانتاس’ واقفا واقترب من ‘لوبين’ ووضع يده على كتفه وجعل يحده بنظرة فاحصة ثم قال :

- اسمع . ! الملف الصغير الذي أخذته من جيب الصديري .. واوراق البنكنوت التي أخذتها من المحفظة والجواهر التي أخذتها من الحقائق .. ألا تريد أن تذكر لنا أين أودعتها وخبأتها ؟ إنك لم تكن من التغفيل بحيث تودعها غرفتك . ولكنك أخفيتها في مكان أمين بلا شك . ولقد كانت الساعتان كافيتين لذهابك إلى هذا المخبأ ثم ذهابك إلى البنسيون . اليس كذلك ؟

وقد القى ‘نانتاس’ هذه الأسئلة في صوت يفيض اتهاما وشكا.. ولهجة قاسية مرة . ولم يحاول ‘لوبين’ أن يجيب عن هذه الأسئلة وإنما أرسل بصره إلى قاضي التحقيق وقال :

- أرجوك ياسيدي القاضي أن تامر هذا الرجل بأن يكف عن إيذائي وإهانتي . !

ورفع ‘نانتاس’ راسه وقال :

- إذا كنت قد أبحث لنفسي أن اتحدث إليك في صراحة فما فعلت ذلك إلا حرصا على مصلحتك أنت . ! ألا تعلم أن المحاكم تراعي

التخفيف في أحكامها ضد المتهمين الذين يعترفون في الحال . الذين يعترفون عقب ارتكاب الجريمة مباشرة ؟

ورأى القاضي أن التحقيق قد طال فأرجأ الاستجواب إلى ما بعد الفراغ من الطعام وقال :

- سارجع في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر لمتابعة التحقيق وسأوجه إليك أسئلة جديدة يا مسيو "جيرار" فأرجو أن تكون قد تدبرت موقفك وترويت في الأمر

وليث لوين صامتا لأجيب ولما انصرف القاضي أمر "تانتاس" بمساعدة "فكتور" (الذي كان قد رجع من النسيون) بأن يأمر بطعام ثلاثة أشخاص وهو يقول :

- إننا سنناول الغداء هنا وكانت هذه أغرب مائدة مرت بـ "لوين" : يجلس إلى مائدة ينتظمها

قبالته شرطيان يرميانه بأشنع التهم .. جريمة القتل ! وأخذ يفكر في أمره وقد استغرقته الخواطر فلم يمد إلى الطعام بدأ ، فقال له "تانتاس" :

- ماذا ؟ الاتريد أن تأكل ؟ فجز لوين كنفه وليث صامتا

- إيه مادميت ليست جائعا فلنتحدث على الأقل .. أنني اعتقد يا مسيو "جيرار" أنك رجل كريم السحابا طيب القلب .. وليست أكتفك أنني أشعر بميل إليك وشيقة عليك ، فدعني أنصحك بأن تعترف .. إن الاعتراف العاجل كفيل بأن يكون سببا في تخفيف الحكم الذي سيصدر

ضدك .. والإنكار لن يجديك شيئا .. ! فما الداعي إلى إنكار أمر سيظهر إن عاجلا وإن آجلا .. !

وأفرغ في جوفه كأسا من الشراب وقال مستطردا :

- لإفادة إن من الإنكار .. بل سيكون الإنكار سببا في تشديد العقوبة .. فانت أولا لاتدعي "جيرار" .. هذا أسم مستعار بلا شك .. ولن يصعب علينا أن نعرف اسمك الحقيقي حتى ولو لم تكن لك قبشة في

مصلحة تحقيق الشخصية .. ماذا ؟ هل ساءك قلبي ؟ حسنا .. لنفرض إذن أنه ليست لك قبشة تشبهه .. إن هذا لن يحول

دون معرفة اسمك الحقيقي .. صورتك تنشر في الصحف فيتكلم
عشرات ممن يعرفونك ويفضون بما يعلمون عنك ؟ على أن مسألة الاسم
ثانوية لأهمية لها .. إن الشيء الذي أريده منك هو أن تكاشفني
بالباعث الذي دفعك إلى قتل "إيفان باراتوف" ؟

وظل "لويين" صامتا لأجيب .. واستطرد "نانتاس" يقول :
- أنتي أسالك : لماذا قتلت "باراتوف" ؟
فاجابه "لويين" في خشونة :

- إنني لم أقتله .. وفي الوقت الذي تزعجني فيه بهذه الأسئلة
العقيمة سيكون القاتل الحقيقي قد تمكن من الفرار .
فتابع "نانتاس" الحديث كأنما لم يسمع قول "لويين" :

- اسمع .. إنني لم أقل إنك ارتكبت جريمة عثا .. لابد أن يكون
هناك دافع قوي .. كما أن من المحتمل أن يفقد الإنسان السيطرة على
أعصابه فيقتل خصمه أثناء مشاحنة عنيفة دون أن يعي ما فعل ..
لاسيما إذا كانت هذه المشاحنة بشأن امرأة . ! هذه المرأة ذات الثوب
الابيض والمعطف الأحمر . ! اليس كذلك ؟ والمثل الفرنسي يقول : "فتش
عن المرأة".

فهر "لويين" كتفيه ، وليث صامتا فاستطرد "نانتاس" :
- لاداعي للمرأة . ! إنها لن تحديك ولن تنقذك . ! لقد تلطفنا معك
ولم نشأ أن ..

فقال "فيكتور" مقاطعا :
- إن التلطف لايجدي مع القتلة . أولى بنا أن نحرق أصابعه على
لهيب الشموع حتى نحمله على الإفضاء بما لديه . !
ونهب "لويين" واقفا وتحول إلى "فيكتور" وجعل يقيسته ببصره ثم
قال :

- في وسعي أن ادق عنقك ولكنني لن افعل حتى لا ألوث يدي فقال
"نانتاس" :

- اطبق فمك يا "فيكتور" ودعنا نتحدث .. والآن لعلك قد فهمت
تأعزيري "جيرار" أنه لأمهروب لك .. فاستمع إلى نصيحتي حتى نقتذ
راسك من يد الجلاذ . ! من الحماقة أن تصر على الإنكار .. قل لي : لماذا

قتلت "باراتوف" ؟ بدافع الانتقام ؟ هيه ؟ ثم سـ قته حتى تلقى في روع البوليس أن السرقة هي الدافع ؟ اليس كذلك ؟ قل لي أين أوراق البنكنوت والوثائق والجواهر ؟ في أي مكان خبأتها ؟ هيا تكلم يا صديقي !

ولكن "لوبيـن" ظل على عناده وإصراره يابى أن يعترف بشيء وقال :
- لافائدة من الإلحاح علي بالأسئلة . إنني أعلم أنك شرطي بارع ولكن هذه البراعة لاتجدي ولاتؤدي إلى أية نتيجة إلا إذا ابديتها مع من ارتكب الجريمة فعلا .

فهز "نانتاس" كتفيه وقد ادركه اليأس وقال :
- إيه .. هذا شأنك ! تنكر أو تعترف فإن الحقيقة لابد أن تظهر !
فقال "لوبيـن" :

- وظهورها يهمني !
وبعد فترة من الوقت جاء قاضي التحقيق . وقال مخاطبا "نانتاس" :
- ما وراءك ؟

- لاشيء . ! إنه يابى أن يعترف أو يتكلم . !
فقال مسيو "ليسناي" مخاطبا "لوبيـن" :
- إذن فانت مصرّ على الامتناع عن الإجابة يا مسيو "جيرار" ؟ ألا تريد أن تذكر لنا الكيفية التي أمضيت بها وقتك فيما بين الساعة الحادية عشرة والنصف والساعة الثانية بعد منتصف الليل ؟

فقال "لوبيـن" في إصرار :
- إنني أرفض أن أجيب . !
- حتى في وجود محاميك ؟
- نعم .. لن أتكلم حتى في حضرة محام . !
- وهل تترك عاقبة هذا الإصرار ؟
- نعم .

- إذن لم يبق أمامي إلا أن اصدر أمراً باعتقالك ؟
- فليكن . !

وبعد سكتة قصيرة تناول القاضي قلما ووقع أمراً بالقبض على "جيرار" .

وفي هذه اللحظة قرع الباب ودخل شرطي يحمل رسالة قدمها إلى مسيو "ليسناي".

فص القاضي الرسالة وتلاها وقال مخاطبا الشرطي :

- وهل يريد هذا الشخص ان يقابلني الآن ؟

- نعم يا سيدي القاضي .

فقال "نانتاس" :

- اتحب ان انسحب ؟

- كلا ! . بل ابق يا "نانتاس" .

فقال "نانتاس" :

- هل يذهب "فيكتور بـ"جيرار" إلى الغرفة الأخرى ؟

فهز القاضي رأسه وقال :

- لاداعي لذلك .. فليبق .

ثم التفت إلى الشرطي وقال :

- فليدخل هذا الشخص .

وتحولت الانتظار إلى الباب .

ووثب "لوبيين" واقفا وقد افلقت شفتاه صرخة حادة وبسط يديه

كانما يريد ان يرد هذا الشخص عن الدخول .

اما هذا الشخص فلم يكن إلا "نيلي روز" . !

الفصل الثالث

بعد ان رجعت نيلي روز إلى مخدعها في الساعة السابعة صباحا وبعد ان كاشفتها امها بالحقيقة انكفات على فراشها و اجذت تبكي بكاء مريراً ملحا .

ثم غلبها النوم لشدة إعيائها . ولكنه كان نوماً مضطرباً حافلاً بالأحلام المزعجة . وكمن مرة صرخت فزعة وهي غارقة في سباتها وقد سمعت باب غرفتها يثق أكثر من مرة غير انها أبت أن تجيب . لم تكن تريد أن ترى مخلوقاً ! حتى ولا امها . ! ولم تكن تريد أن تتناول طعاماً .. كانت تريد أن تخلو إلى نفسها ، وإلى خواطرها . !

ورويداً رويداً حاولت أن تسترد سكونها .. حاولت أن تجمع أفكارها وتنسق خواطرها وتتدبر أمرها . ! إنها تذكر كل ما حدث في تلك الليلة . ليس في ذهنها فراغ على الإطلاق . ! كل شيء ماثل في ذاكرتها . وأمام عينيها كأنه جرى منذ دقائق . وتتابع ساعات النهار وهي تلزم مخدعها تآني أن تغادره فلما انتصف اليوم لم تر بداً من الخروج .. إنها لاتستطيع أن تبقى في هذه الغرفة التي استقبلت في الليلة الماضية ذلك الرجل .. لابد أن يتعد عن هذا المكان .. ! إن الذكرى قاسية لاتحتمل .. ! وهي تريد أن تنسى .. ! تريد أن ترى الحياة .. ! بل تريد أن تقرأ الصحف لكي تفهم .. ! لابد أن هناك جريمة ارتكبت .. ! فما معنى هذه الجريمة ؟ .. ومن هو القاتل ؟ .. ومن هو القاتل ؟ ..

وارتدت ثوبها وغادرت غرفتها في نحو الساعة الثالثة وكانت صف مابعد الظهر قد ظهرت :

واقتربت نيلي روز من أحد الأكشاك وأرسلت بصرها إلى الصحف المعلقة .

واخذت عينيها هذه العناوين مكتوبة بحروف كبيرة :

مصرع مسيو "باراتوف"

الذي تبرع بخمسة ملايين فرنك

لدار المعامل

واشتريت "نيلي روز" إحدى الصحف وهي ترتعد .. ! وجرت بعينها على المقال !

وكانت هناك فقرة أثارت انتباهها

"وقد قبض البوليس على أحد أصدقاء مسيو "باراتوف" وهو شاب يدعى "جيرار" وقد نقل إلى فندق "توفو بالاس" حيث يتولي مسيو "ليسناي" قاضي التحقيق استجوابه .. ومن رأي البوليس أن التهمة ثابتة على هذا المتهم .."

واخذتها الرعدة وهي تقرأ هذه الكلمات .. جمدت في مكانها لا تتحرك وقد انتهبتها الخواطر .. ! ما العمل الآن ؟ .. وفي ثورة مماطاف بذهنها استوقفت تاكسيا وامرت السائق بأن يمضي بها إلى فندق "توفو بالاس" .

وهناك عرفت أن التحقيق يدور في غرفة الروسي ، فصعدت إليها وتحدثت إلى أحد رجال الشرطة فطلب إليها أن تكتب كلمة على ورقة حملها إلى القاضي .. لقد طلبت إلى القاضي أن يسمح بدخولها لتفضي إليه باقوالها .. ولكن ماعساها تنوي أن تقول .. ؟ إنها لم تكن تدري .. !

وبخلت "نيلي روز" .. وفزع "لوبين" إذ راها .. لماذا جاءت ؟ .. وهب واقفا وهو ممتقع الوجه وهتف بها :
- كلا .. كلا .. ! سيدي القاضي .. ليس هناك سبب يدعو إلى وجود هذه الأنسة .. أرجوك أن تامرها بالانصراف .. إنني احتج على ماسوف تقول .. ! إنني أنكر مقدما ما ستدلي به .. فقال القاضي في خشونة :
- الزم الصمت وإلا أمرت بإخراجك .. ثم التفت إلى "نيلي روز" وقال :
- تفضلي بالجلوس يا أنسة .. غير أن "لوبين" أبى أن يلزم الصمت فراح يقول :
- إنني احتج ياسيدي القاضي .. هذه مناورة من البوليس احتج عليها بكل شدة .. ؟

- اية مناورة .. ؟ لقد جاءت الأنسة الآن ومن تلقاء نفسها ودون أن يدعوها أحد .. وهذا كتابها إلي : "نيلي روز" التي أرسل مسيو "باراتوف" إليها شيكا بخمسة الملائين فرك داخل ظرف باسمها ترجو أن تاذن لها بمقابلتك .. فإين هي هذه المناورة يا مسيو "جيرار" .. ؟
فقال "لوبين" دون أن يتراجع :

- لكن ليس لهذا أية علاقة بالجريمة .. إن الأنسة تحشر نفسها فيما لاشان لها به .. إني لاأعرف هذه الأنسة ..

وتحول القاضي نحو الفتاة وقال :

- الاعترفين هذا السيد يا آنسة ..

فاجابت في هدوء :

- بل أعرفه ياسيدي القاضي .

- وهو .. هل يعرفك .. ؟

- إنه يعرفني .. ؟

فالتفت القاضي إلى "لوبين" وقال :

- أرايت يا سيدي .. إن الوقائع الثابتة قد هدمت أقوالك مرة

أخرى .. ؟

ثم قال مخاطباً "نيلي روز" :

- اجلسي يا آنسة ، وكاشفيني بما جئت من أجله . !

ولم ير "لوبين" بدأ من الإنعان ، فارتد إلى مقعده وعقد ذراعيه على

صدره وأصاخ السمع .

وكانت "نيلي روز" ممتعة الوجه ، كانت تشعر بالخجل ، لم تكن

تجهل أن اعترافها ينطوي على عار يلصق بها ، ولكن لامفر من

الاعتراف . وتكلمت والحياء يكاد يخنقها قائلة :

- سيدي القاضي . ! من منتصف الليل إلى الساعة السابعة صباحا

لم أفارق هذا السيد لحظة واحدة . !

وأشارت إلى "لوبين" دون أن ترفع بصرها عن الأرض .

وأدهش قولها القاضي والمفتش "نانتاس" ..

وبعد سكتة قصيرة قال مسيو "ليسناي" :

- هل لك يا آنسة أن تزيديني إيضاحا ؟ كيف عرفت هذا السيد؟

- أجب أن أوجز في إجاباتي يا سيدي القاضي ؟
- كلا .. أبسطي الأمر بإسهاب تام .. حدثيني بالتفاصيل .
واستهلت "نيلي روز" حديثها بقولها :

- هذه هي الحكاية يا سيدي القاضي .. منذ بضعة أسابيع عقد مجلس إدارة دار المعامل اجتماعا وقد خطبت فيه بصفتي سكرتيرة الدار واقترحت إجراء يا نصيب يخصص دخله لمساعدة الدار على القيام بأبحاثها العلمية الجليلة الشأن ، وقلت أثناء خطبتي إن على كل إنسان أن يتبرع للدار بأي شيء وبكل شيء ، على أن تمنح هذه التبرعات العينية لأصحاب الجوائز ، وقد سئلت إذ ذاك عما أنوي أن أتبرع به أنا نفسي فقلت في لحظة من لحظات الحماسة إنني على استعداد لأن أعطي أي شيء يطلب مني . ! وقد نطقت بهذه العبارة دون أن أدرك المرامي الخفية التي تنطوي عليها الكلمات ، ولي صديقة بولونية ترأس إحدى المجالات في بلادها ، فحملت كلامي على محمل الجد وأرسلت كلمة إلى مجلتها «فرنسا في بولندا» بهذا المعنى وارفقت بها ثلاث صور ، وذكرت رقماً معيناً .. خمسة ملايين فرنك .. وقد عرفت هذا فيما بعد .. وقرأ الروسي "إيفان باراتوف" هذا المقال فكتب إلي من بولونيا .. طلب مني أن استقبله في مخدعي على انفراد من نصف الليل إلى الساعة السابعة صباحاً ، وارفق بخطابه شيكاً بخمسة الملايين ، واشترط إذا صرفت الشيك أن يعتبر هذا قبولا مني لرجائه .

وصمتت "نيلي روز" برهة ثم استرسلت تقول :

- وبسبب غلطة غير مقصودة صرف مدير الدار الشيك وبذلك أصبحت - على غير إرادة مني - مرتبطة بهذا القعهد .. لا بد أن أمضي مع مسيو "باراتوف" سبع ساعات من نصف الليل حتى الصباح وقد علمت بالأمس أن مسيو "باراتوف" وصل باريس فأردت أن أقابله لأحدث إليه في الأمر حديثاً لحمته الصراحة ، فاتصلت بغرفته تليفونيا لأخطره بانني سأحضر لمقابلته في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي .. ولكنني علمت أنه غير موجود في الفندق . وقد أجاب ندائي التليفوني صديق له كان في انتظاره في غرفته ، فرجوته

ان ينقل إليه رسالتي . وفي الساعة التاسعة من مساء الـامس تسلمت رسالة من مسيو "باراتوف" يقتضيني فيها تنفيذ تعهدي بان استقبله في مخدعي من نصف الليل حتى الصباح .. وقد فزعبت واضطربت .. لم يكن في وسعي ان انفذ هذا التعهد الذي ارتبطت به على غير إرادة مني ، وفي الوقت ذاته لم اشأ ان أدنو في عيني الرجل على صورة فتاة افاقة تعهدت لكي تسلبه لدار المعامل خمسة ملايين ثم أخلت بعهدهما .. ولقد حاولت أمني وأصداؤها ان يننوني عن البر بكلمتي وحبسوني في غرفة في مكان بعيد ، ولكني هربت منهم لكي أوفي بعهدي .. وكان الحاضرون يصغفون إلى الفتاة في الاهتمام الشديد .. وبعد سبعة قصيرة استرسلت تقول : .. هذا السيد .. وبالإميس أيضا ظهر في غمار حياتي شخص جديد .. هذا السيد (واومات إلى لوبين) . وقف ينتظرني على الإفريز على مقربة من دار المعامل دون ان اكون على علم بوجوده ! واصطدمت بسيارتي بتاكسي فتدخل في الأمر وانقذني من تهجم السائق ثم تعقبني إلى الجراج الذي أودع فيه سيارتي . وبعد ظهر الـامس كانت أمني قد اقامت حفل استقبال في الدار فاجاج لنفسه ان يغشي الحفلة وهو ليس من المدعوين . وقدم إلي نفسه وراقصني . وفي المساء .. فقال القاضي مثلها :
 - وفي المساء ..
 - في المساء هربت من الغرفة التي حبسني فيها أهلي وعدت إلى غرفتي وقد عولت على ان استقبل مسيو "باراتوف" برا بعهدي .. وعندما انتصف الليل دق جرس الباب : فإذا بي وجها لوجه أمام هذا السيد .. وانحائي أنه يدعى "إيفان باراتوف" ولكنه عقب علي تلك بانه اسم مستعار وأنه فرنسي الجنسية ويدعى "جيزار" . وقد ذكر لي أيضا أنه رأى صورتي في المجلة ففتنته وأراد ان يتعرف بي ويراني فانتظرني عند باب المعمل وحضر حفل الاستقبال حتى لا يكون غريبا عني إذا ما حضر إلى مخدعي عند منتصف الليل . ولما امرك ان وجوده في مخدعي في مثل هذه الساعة من الليل ينطوي علي خدش السمعتي اشتهر علي في شهامة ونبل بان اخرج معه . وقد قبلت ذلك في الارتياح ..

تام فذهبنا إلى مرقص روسي .

فقال القاضي :

- إذن فانت السيدة ذات الثوب الأبيض والمعطف الأحمر ؟

- نعم .. أنا تلك السيدة .. وهناك سقاني بضلع كؤوس من الشراب وهو يعلم أنه يدير رأسي .. ثم دعاني إلى مراقبته .. واستطاع بكلماته الحلوة المنمقة المعسولة أن يدفع بي زويدا زويدا إلى الغاية التي ينشدها .. وحين أدرك أنني أصبحت مسلووبة الإرادة حين أدرك أنه لم يعد لي سلطان على نفسي ولا قدرة على المقاومة .. اغتيم فرصة تهجم بعض السكرى علي فحملني على ذراعيه ومضى بي إلى مخدعه !
وامسكت تبلي روز عن الحديث .. وغض لوبين من بصره أمام هذه الإفتراءات الصريحة الجريئة عن حوادث الليلة المعهودة

وقطب القاضي حينه وقال في صوت جاف :

- وهذه المهزلة لا يقدم عليها إلا رجل ارتكب في الغالب جريمة قتل
وارتعدت تبلي روز وقالت في صوت متهدج :

- ارتكب جريمة قتل . !

- نعم يا أنسة .. فإن جميع القرائن تشير إلى أن

فقال تبلي روز مقاطعة :

- إني أعرف .. إني أعرف .. لقد قرأت الصحف .. ومن أجل هذا

حضرت إليه .. إن ..

وسكت فقال مسيو ليسناي :

- تكلمي ..

- سيدي القاضي .. عندما جئت إليك لم أكن أدري على وجه التحقيق

الأسباب التي حفزني إلى الحضور .. لقد انسقت مع شعور مفاجئ لا

أدري له كنها .. أما الآن فقد تبينت السبب الذي دفعني إلى المجيء ..

لقد جئت يا سيدي القاضي لأحتج من كل قلبي على توجيه هذه التهمة

الشنيعة إلى هذا السيد .. ! حيث لأعلن بأعلى صوتي أن هذا الرجل

بريء !

وبدت الدهشة على وجه القاضي ومفتش البوليس

وقال مسيو ليسناي :

- إني لاثم يا أنسة

فقالَت "نيلي روز" في يقين :

- إنه لم يقتل "باراتوف" ! ! إني واثقة من هذا . ! فمهما كان الرجل قوي الأعصاب . مهما كان صلب الإرادة مهما كانت له السيطرة على أعصابه وإرادته . فهو لا يستطيع أن يمضي الساعات التي أعقبت الجريمة في تدبير مؤامرة غرامية يحاول بها أن يسعى إلى اقتناص فتاة عنيدة ! لم يخلق الله بعد رجلا أوتي مثل هذه الجراءة . ومثل هذا الثبات . أيقفل ثم يمضي ويداه لاتزالان ملوثتين بالدم إلى فتاة يشتهيها ويحوك خيوط هذه المؤامرة ؟ كلا أيها السادة . ! ليس في الدنيا مخلوق له من رباطة الجأش ما يمكنه من هذا . ! لقد كان هو معي طيلة الليل مثالا للرجل الذي ركز جهوده كلها في الإغواء والإغراء ! ! لم أره يشرد إلا مرتين اثنتين . وكان شروداً خاطفاً لم يستمر إلا ثواني قليلة . ولكنه ظل دائماً يقظ الذهن حاضر البديهة . ينسج حولي شبাকে في لباقة ودهاء فهل يكون على هذه الحال إذا كان قد ارتكب جريمة قتل منذ ساعة أو ساعتين ؟

فقال القاضي في لهجة ذات مغزى :

- وهل جئت تدافعين عن هذا المغوي وتحاولين أن تبرري تصرفه .. ؟
- لست أبرر تصرفه وسلوكه معي . فهو لكي يصل إلى إغوائي انتحل شخصية أخرى .. لكي يوقعني تحت سلطانه وسيطرته أخذ يلعب بعواطفى .. بالدهاء بعث الخوف في نفسي .. ثم أخذ يهدئ من مخاوفي فبعث الثقة في قلبي .. من الخوف إلى الثقة .. من الريبة إلى الاطمئنان ، لقد تسلط عليّ وعرف كيف يفقدني الجلد والشجاعة .. ثم سقاني شراباً أفقدني رشدي .. لقد استطاع أن يجعل مني ما يشاء .. !
وهانذا أكرر عليك القول يا سيدي القاضي بأن من المستحيل إذا كان هو المجرم أن يسلك هذا السبيل المنطوي على المكر والدهاء مهما بلغ من تسلط على أعصابه .. المجرم لن يفكر في أن يكرس وقته لإغواء فتاة ونصب الشراك لها . المجرم لن يفكر إلا في تدبير وسائل الفرار . ! أو على الأقل اتخاذ الحيطة لدرء الشبهات عنه في خلال الساعات التي تعقب الجريمة .. ! لو أنه هو القاتل لما جاء إليّ يقول : « أنا إيفان باراتوف » عقب قتله بربع الساعة .. ! كلا يا سيدي القاضي ! إن

جيران لا يمكن أن يكون القاتل مهما أدانته القرائن ...
- حتى ولو عرفت أن مشاحنة عنيفة وقعت بينه وبين باراتوف ؟
- حتى على الرغم من ذلك . وإنني اعتقد أن هذه المشاحنة إنما وقعت بسببي .

فالتفت القاضي إلى "لويين" وقال :

- أصبح هذا يا مسيو "جيران" ؟

- نعم .

فقال مسيو "ليسناي" :

- ومع ذلك فهذا لا يمنع من ارتكابه جريمة القتل .

فصاحت "نيلي روز" :

- كلا .. إنه لم يقتل .. ! لو أنه قتل لما جاء يزورني كما فعل .. ! فكر

في الأمر يا سيدي القاضي . !

- قلت يا أنسة إنه جاء إليك عند منتصف الليل فهل أنت موقنة من

هذا ؟ .

- كل اليقين .. فقد كنت أقرب مرور الدقائق في جزع .

ولم تكن هناك ريبة في أن الفتاة تتكلم في إخلاص وإيمان . وكان القاضي ميالا إلى الأخذ بنظريتها ، ولكن ما هو رأي "نانتاس" يا ترى ؟
كان "نانتاس" منزويا في أحد الأركان ينصت دون أن يفتح فمه بكلمة واحدة ..

وقال القاضي :

- وفي أية ساعة تركت مسيو "جيران" . !

- في الساعة السادسة والنصف صباحا ولكن ..

وامسكت عن الكلام .

- ولكن ؟

وكان وجهها ممتعقا وعيناها مرسلتين إلى الأرض . وبعد لحظات

قالت :

- لقد كاشفتك ياسيدي القاضي بكل ما أعرف . ولست أعلم شيئا

أكثر مما قلت .. لقد صارحتك رأيي فلك أن تتصرف في الأمر بما ترى ..

ولكن مسيو "ليسناي" ما كان ليؤخذ بمثل هذه السهولة .. لقد أدرك

أن في نفسها كلاما تحاول أن تكتمه فقال في إلحاح :

- يجب أن تتكلمي يا أنسة .. قد تكتمين شيئا تعتقدين أن لا فائدة

من الإدلاء به .. وهذا خطأ .. لأن العدالة قد تستفيد من اتفه الأمور ..
لقد أمضى هذا الرجل معك .. في مخدعه ساعاتين أو ثلاثا عقب
انصرافكما من المرقص الروسي .. أمضى هذه الساعات معك بين
جدران أربعة فيجب أن نعلم ..

وأخذت الفتاة فجأة تبكي في هدوء وقالت :
- أرجو ألا تلح علي بالسؤال ! إنك ستضبطني أن أكشف لك عن
عاري .. ستطرنني إلى أن افضح نفسي أمامك !
وقال لوبين متوسلا :

- لا تتكلمي يا أنسة .. لا تجيبي عن هذا السؤال ..
ورفعت الفتاة رأسها وقالت :
- اليس فيما أفصيت به حتى الآن ما يساعدك على أن تقطع برأي
في الأمر ؟

- كل ما أفصيت به لا يخرج عن كونه مجرد إحساسات وظنون ..
مجرد أدلة أخلاقية ونفسية .. فلا بد أن تكاشفني بكل ما لديك
فتنهت الفتاة وقالت :
- أصبت .. يجب أن أمضي في اعترافي حتى النهاية .. يجب أن
أتكلم حتى ولو فضحت نفسي والصقت العار باسمي .. أرجو يا
سيدي القاضي أن تلتمس لي عذرا عن ترددي فإن هناك أشياء قاسية
لا يقوى المرء على الحديث عنها بسهولة
وصمتت برهة ثم قالت :

- ساكاشفك بكل شيء .. وأمامه .. بالأمس .. قد رايت هذا الرجل لأول
مرة عند باب المعمل .. منذ راقصني في حفل الاستقبال .. منذ اللحظات
الأولى شعرت بأن له تأثيرا عجيبا في نفسي فكان يهزني ويلعب
بعواظي .. نظراته نقادة توقف الشعور ولا يقوى الإنسان على
احتمالها طويلا .. بسببها اعترتني هزات عنيفة .. فلما جاء الليل
ومضى بي إلى المرقص الروسي كنت إذ ذاك قد أصبحت قريبة
سهلة .. كان قد استطاع أن يقهر نفسي ويلخر إرادتي .. ثم حملني
إلى مخدعه .. أوفي هذه اللحظة كنت مسئولة الإزادة .. كنت تحت
رحمته ! كان في وسعه أن يفعل بي ما يشاء .. دون أن أعارضه بل

بموافقتي ورضائي .. نعم .. إنني خجلة من هذا الاعتراف يا سيدي القاضي ولكن تلك هي الحقيقة نعم كنت راضية موافقة على كل شيء .. وكان يعرف ذلك .. كان يعرف أنني تمنيت في هذه اللحظات قربته .. تمنيت أن يحترمني بقبولته .. وفي الوقت الذي رجوته فيه أن يحترمني وابتعد عني كنت كاني أتوسل إليه أن يقربني ويقبلني .. ! كانت نظراتي .. وإشاراتي .. عاطفة بضعفي وزغبتي نعم لقد انهزمت يا سيدي القاضي .. وأصبحت رهن إشارة منه .. وكان هو يعلم ذلك حق العلم .. ولكنه لم يقربني .. لم يحاول أن يقبلني ويضممني إلى صدره .. لقد خلق الموقف ووبره ولكنه لم يحاول أن يستغله ويستفيد منه .. ! كنت راقدة على الأريكة : عيناى تتوسلان إلى عيني .. وجسمي ينادي جسمه .. ولكنه أبى .. تباعد عني .. نظر إلي طويلا .. ورأيت ملامحه تتغير .. ورأيت في عيني معنى غير الذي كان فيهما منذ لحظات .. وفجأة رأيت يبتعد يا سيدي القاضي .. ابتعد عني .. أبقي علي وما كنت أريد في اللحظة أن أبقي علي نفسي .. ودون أن يلقي إلي نظرة أخرى جلس على مقعد وأسند مرفقه إلى المنضدة واعتمد رأسه على كتفه .. !

ولبتك انظر إليه وأنا راقدة على الأريكة ثم غلبني النوم .. وبعد ساعة أو أكثر استيقظت فرأيت أنه مازال جالسا على مقعده معتذرا رأسه على كفه غارقا في النوم .. وهذا النوم يا سيدي القاضي .. تقومه وتومي .. جعلنا أشبه بالأطفال على رغم ما فعلت وعلى الرغم مما فعل .. ! زابلت الأريكة في هدوء وخرجت من الغرفة دون أن أوقظه .. هذه هي الحقيقة يا سيدي القاضي .. فعلى الرغم من متاوراته ومؤامراته لا أستطيع أن أنسى أنه احترمني .. ! نعم .. مخال أن أنسى أنه أحترمني ولم يلوث شرفي .. !

وسكتت الفتاة وقال القاضي بعد صمت قصير :

- أهذا كل شيء يا أنسة .. ؟ اليست لديك أقوال أخرى

- كلا يا سيدي القاضي ..

هذا هو اعترافي الكامل ..

تكلمت حتى .. فصحت نفسي لاتيح لك أن تكون رأيا عادلا في القضية ..

وتحول ليشتاي تكو لوبين وقال

- ليست لديك يا مسيو "جيرار" اقوال ترد بها على الأنسة ؟..
- ليس لدي إلا ان أقسم بشرفي على أنني لن أحاول بعد إطلاق
سراحي أن أراها وأقابلها .
وارسل بصره إلى الفتاة ولكنها كانت مشيخة بوجهها فاسترسل
يقول :

- وثمة مسألة أخرى .. إنني أرجو يا سيدي القاضي أن تكتم اقوال
الأنسة فلا تذيعها درءاً للشبهات عنها .. سينكشف عاجلاً أمر القاتل
الحقيقي فليس من الإنصاف أن تمرغ سمعة الأنسة في الأوحال .
وقال القاضي مخاطباً الفتاة :
- يمكنك أن تنصرفي يا أنسة .
ولكن "لوبين" استبقاها بقوله :

- هناك كلمة أخرى أحب أن أفضي بها قبل انصراف الأنسة
"ديتول" .. لقد كدت أنسى يا سيدي القاضي شيئاً له خطورته .. أثناء
رحلتي الأخيرة إلى روسيا كنت أبحث عن أوراق تخص مدام "ديتول"
وابنتها ..

- أية أوراق ؟..
- أسهم ووثائق .. أسهم ملكية بعض ينابيع البترول في رومانيا ..
وقد عثرت على إيصال يمثل مبلغاً جسيماً .
- كم المبلغ ؟..
- لست أدري على وجه التحقيق .. عشرة ملايين .. عشرون .. بل
ربما أكثر من ذلك .

- إنه مبلغ جسيم حقاً ..
وهنا تدخل مسيو "نانتاس" قائلاً :
- اسمح لي يا سيدي أن أوجه إليه سؤالاً .. في أي شيء كانت هذه
الأوراق مودعة ؟..

فقال "لوبين" مجيباً :
- في ملف صغير للجيب .
- في ملف للجيب !! هذا ما توقعت !! ومع ذلك أبيت أن تجيبني
بكلمة واحدة عندما سألت عن هذا الملف منذ ساعة !! ألا ما أشد
عنادك !!

- لم أشأ أن أتكلم عن هذه الأوراق إلا في وجود الأنسة أو أمها ..

لأعيدها إليهما . ولقد أخذ مني 'باراتوف' هذه الوثائق . وتوقعت أن في نيته الاستيلاء عليها أو على جزء منها على الأقل فسالته في الأمر ليلة مصرعه فكان هذا سببا في الخلاف الذي شجر بيننا . وقد انتزعت منه الأوراق قسرا عنه في أثناء هذه المشاحنة .

- أكانت هذه الوثائق هي السبب الوحيد لهذا الشجار ؟..

- لا .. بل كان هناك سبب آخر .

- أكان عزمك على أن تمنع 'باراتوف' من زيارة الأنسة ؟..

- نعم .

- وكان في نيتك أن تحل مكانه ؟..

- كلا .. في هذه اللحظة لم يطف هذا خاطر في ذهني .. عندما

استوليت على الوثائق أخذت أسائل نفسي عن الوسيلة التي أتمكن بها من مقابلة مدام 'ديتول' لأعيد إليها الأوراق . وإذا ذلك فقط خطر لي أن أحل محل 'باراتوف' كما أنباني هو نفسه بذلك .

- إذن فلماذا لم تعطها الوثائق وأنت في دارها ؟..

- لم أعطها الوثائق بدافع من الاحترام لها .

- ماذا تعني ؟..

- لقد تقدمت إليها منتحلا اسم 'باراتوف' .. الرجل الذي تبرع لدار

المعامل بخمسة ملايين فرنك تحت الشروط التي تعرفونها .. فإذا أنا أعطيتها الوثائق التي ستأتيها ببضع عشرات من الملايين فمعنى ذلك أنني أريد أن أوقعها تحت سلطاتي عن طريق المال .. أريد أن أشتريها كما تشتري السلع .. فرايت احتراما لها وإبقاء على كرامتها ألا أعطيها الوثائق إذ ذاك .

فقال القاضي :

- إن لك ضميرا حيا .. وإن كنت لا أفهم كيف حاولت بعد ذلك

إغواها ؟..

- هذه مسألة أخرى يا سيدي القاضي .. أردت أن أغويها بحديثي

وتوددي وإثارتي عواطفها . ولكنني كرهت أن أشتريها بمالي كالسلع .

وهذا الضمير الحي نفسه الذي منعني من الاقتراب منها عندما كانت

في مخدعي في البنسيون الروسي .. كانت طريحة على الأريكة منهوكة

القوى .. مستسلمة .. راضخة .. فكيف أقربها وهي لن تستجيب إلى

قبلائي ؟ كانت إذ ذاك أشبه بالطفلة المتعبة ... وهذا لا يرضيني ..

إني أريد امرأة تجيب على قبلاتي بقبلات أخرى . أريد المرأة لها إرادة
تطيع لإرادتي وتلبي رغباتها . لا امرأة لا إرادة لها على الإطلاق .
كانت قد اطمأنت إلي ووثقت بي فكيف أفسد ثقتها واستغلها لمأرجي
الشخصية .. لقد كانت في نظري مقدسة لا يجوز لي أن أمتسها أو
أقربها .

- والوثائق ؟ أين هي ؟

- أودعتها عند صاحب البنسيون الروسي . وأمرته بأن يذهب بها
بعد ثمانية أيام (إن لم استردها منه قبل ذلك) إلى العنوان الذي كتبت
على الغلاف . وسترى يا سيدي القاضي أنه عفو عن الأنثى . فيقول :
لن تناول ثوبين من محفظته بطاقة كتب عليها توقعه وقدمها إلى
القاضي . وهو يقول :

إذ أعطيت هذه البطاقة إلى صاحب البنسيون يستلمك الوثائق
والتفت القاضي إلى الأنثى فيقول وقال :
- يمكنك أن تنصرفي يا أنيسة .

ومشت تبلي روز إلى الباب دون أن تلقي على ثوبين حتى ولا نظرة
واحدة .

* * *

وهناك على الإفريز تريكت برهة . إلى أين تذهب ؟ إلى دارها .
كلما لو أنها ذهبت لأرهمقتها أنها بضائع من الأسئلة . وهي الآن
ليست على استعداد لأن تجابه نظرات أمها الفاحضة أو نظرات
قالمية الحريفة . كلما إذا لن تذهب إلى دارها . وإنما ستقضي
إلى بنسيون تعرفه منذ عهد التلمذة فتقضي فيه أياما .

وكتبت إلى أمها رسالة في هذا المعنى ختمتها بقولها :

وسأعود بعد ظهر يوم الاثنين وسأجاسفك بالحقيقة بخذافيرها .
وارجو أن أنيك أيضا بان الدلائل تدل على أننا أصبحنا على أبواب
الزواج .

واستقلت تبلي روز سيارة طارت بها إلى هذا المغزل الذي تعرفه
منذ عهد التلمذة . وهناك تقضت عندها هجوع الحياة . وهبطت إلى
التحفة تجري فيها وتثب في أرجائها وتلسق الأشجار . كما كانت
تفعل وهي طفلة في عفو عن الحقيقة .

الفصل الرابع

عقب انصراف نيلي روز ساد الغرفة جو من الصمت واخيرا تكلم المفتش نانثاس قائلا :

- كل هذا جميل .. ولكنه لا يعدو ان يكون مشاعر فتاة .. ولست اعني بهذا ان اقوالها تافهة من القيمة .. انه لم يقتل .. هذا جليل .. وقد يبدو معقولا .. ولكنه لا يمنع انك ارتكبت جريمة القتل بلا سبق إصرار .. ثارت بينكما مشاحنة .. واثناء المشاحنة هجمت على باراتوف وقتلته دون ان تقصدا .
فقال لوبين :

- اني اكرر عليك القول مرة اخرى بانني تركته حيا .. وفضلا عن ذلك فقد وجد جريحا .. وانا لا احمل سلاحا .
ومسددك الذي شوهد في يدك في المرقص الروسي ؟ ومع ذلك فحدثنا يا صاح بنبا ما حدث

- حسنا .. قلت لكم ان باراتوف كان يحتفظ بالوثائق الخاصة ببياناتي اليشبول . وعندما جئت ازره في الساعة الحادية عشرة الفية مرتديا الاسموكنج متاهبا للخروج ، فاردت ان احول دونه والذهاب إلى مقابلة نيلي روز . ثم اخذت الومه على احتفاظه بالوثائق ومحاولته الاستيلاء على ثروته مدام نيلول وابنتها . وقد تحرش بي واثار انصائي فاشتبكنا في عراك ولكمته لكمه القته على الارض صريعا فاوثقت قياده وشددته إلى قائمة السرير . ثم انزعجت ملف الوثائق من جيبه . وغادرت الغرفة وانا مطمئن إلى انه لن يذهب إلى الموعد المتفق عليه مادام مشدودا إلى القائمة موثقا . وإذا ما تخلف في تلك الليلة أصبحت نيلي روز في غل من البر بعهدا . وقبل خروجي استفاق باراتوف من غشيقته ونظر إلي نظرة تنطوي على الحقد والبغضاء . وعقب خروجي بقليل خطر لي ان استفيد من الموقف فذهبت إلى لقاء الأسيه متاخلا شخصية باراتوف .
فقال مسديو اليساني :

- الم تسلب 'باراتوف' شيئا آخر عدا الوثائق ؟

- أقسم لك يا سيدي القاضي اني لم آخذ منه إلا الوثائق . وما دمتم تقولون إن تقوده وجواهره سرقت فمعنى ذلك ان السارق هو الرجل الذي قتله .

وهنا تدخل 'نانتاس' قائلا :

- إذا كان هذا صحيحا فيجب ان تدرك انك هونت مهمة القاتل بشدك 'باراتوف' إلى قائمة السرير وجعله عاجزا عن الدفاع عن نفسه .

فقال 'لوبين' في الم :

- وهذه هي الفكرة التي تزعجني .! إنني ما فتئت أقول لنفسي إنني كنت شريكا للقاتل ولو على غير قصد مني .

وتحول 'لوبين' إلى القاضي :

- سيدي القاضي .. إنني بريء . وإنني أقسم على ذلك . واعتقد انك تؤمن ببراءتي . ولكن لابد لكي يؤمن الناس جميعا بهذه البراءة من ظهور المجرم الحقيقي .

فانبرى 'نانتاس' يقول :

- هذا كلام طيب . ولكن كيف السبيل إلى المجرم الحقيقي . ؟ فكر

معي .

فهز 'لوبين' كتفيه وقال :

- إن اعتقال المجرم الحقيقي ليس من شأني يا سيدي .! هذه مهمة موكولة إلى ابرع شرطي في فرنسا مسيو 'نانتاس' . وإنني موقن انه سيحققها على الوجه الاكمل . فارجو ان تبادر إلى العمل يا سيدي .

فقال 'نانتاس' مزهوا وهو يمد يده إلى مصافحة 'لوبين' :

- ساعمل فكن مطمئنا . ودعنا نتصاف . ومما يؤسف له اننا

اضعنا وقتا اتاح للقاتل الحقيقي فرصة للفرار . والآن فلنحاول ان نلخص الموقف . انت متهم بالجريمة .. لماذا ؟ بسبب مشاحنتك مع

'باراتوف' ولكنك اوضحت الامر بما فيه الكفاية . اردت أن تمنعه من مقابلة الأنسة فمنعته .. واردت أن تسترد الوثائق فاستردتها فلماذا

تقتله إذن ؟ لا داعي للقتل بالتأكيد .. تبقى بعد ذلك أوراق البكنوت والجواهر .!

- فتش غرفتي . إذا شئت .

- فتشناها فلم نجد فيها شيئا . وبذلك تكون هذه المسألة أيضا قد انتهت بالنسبة لك . ولكن هناك الدليل المهم .. في الفترة بين خروجك من غرفة "باراتوف" وبين العثور على جثته لم يدخل غرفته أحد .

- من الذي قال هذا يا سيدي المفتش ؟

- الخادم المراقب "مانويل" .

فقال "لوبين" :

- ربما كان مخدوعا .. ولكن من يدري .. ربما كان كاذبا ! ربما كذب

عن عمد !

فهتف "نانتاس" :

- ربما كذب عن عمد ؟ أه يا إلهي ! لماذا لم تخطر هذه الفكرة ببالي

من قبل ! نعم .. ربما كذب عن عمد ! أصبت يا مسيو "جيرار" أصبت ..

ولماذا يكذب عن عمد ؟ لماذا يحاول أن يلصق التهمة بشخص بريء

مثلك ؟ لابد أن له مصلحة في ذلك ! ربما كان هو القاتل ؟ سمعك

تتشاحن مع "باراتوف" فاغتنم هذه الفرصة وقتله عقب انصرافك

وسرق أمواله وجواهره وهو يعلم أن الشبهات ستوجه إليك أنت دون

سواك بسبب المشاحنة .

فقال القاضي :

- مما يؤسف له أنك لم تراقب هذا الخادم "مانويل" ؟

فقال "نانتاس" باسم :

- لم أراقبه . لقد علمتني التجارب أن أراقب كل من له صلة بالقضية

التي أحققها سواء كان متهما أو شاهدا إذ طالما انقلب الشاهد متهما

والمتهم شاهدا . وقد أمرت بمراقبة "مانويل" ابتداء من الساعة

العاشرة من صباح اليوم . لقد أخطأت يا سيدي القاضي في الخطأ

التي اتبعتها في التحقيق .. اتهمت البريء ووثقت بالمجرم وعولت

على شهادته ولكني ساتلافى الخطأ .

وبعد سكتة قصيرة عاد يقول :

- ولكنني في حاجة إلى زميل يساعدني يا سيدي القاضي .. زميل

مخلص حاد الذكاء ، موفور الدهاء .

- انتق من شئت من رجال البوليس .

- لا اريد احدا من رجال البوليس .

- من تريد إذن ؟

- مسيو "جيرار" ! انت مقتنع ببراءته ، وانا ايضا مقتنع ببراءته
فمر بالإفراج عنه يا سيدي القاضي . فإني لن أجد زميلا أصلح منه .

* * *

ومنذ هذه اللحظة اشترك "لوبيين" و "نانتاس" في البحث معا
ومحاولة إماطة اللثام عن سر هذه الجريمة ! كان "نانتاس" قد امر
رجاله بمراقبة "مانويل" ، ولكن "مانويل" لم يكن بالمجرم الساذج .. لقد
شعر بهذه المراقبة واستطاع ان يضلل مطارديه وفر هاربا .

ومرت ثلاثة ايام ورجال الشرطة يبحثون عنه .. أين ذهب ؟ وفي أي
مكان اختبأ ؟ وماذا فعل بما سرق ؟ اسئلة لا جواب لها .
وقال "نانتاس" مخاطبا "لوبيين" :

- اسمع يا عزيزي "جيرار" .. الامر المؤكد هو ان "مانويل" ما كان
ليهرب إلا لانه القاتل . او لأن له صلة بالجريمة على الأقل .. والامر
الثاني أننا عرفنا من التحريات التي قمنا بها أنه أحد أفراد عصابة
كبيرة وأن هذه السرقة ليست أول سرقة أقدم عليها في هذا الفندق ،
وقد عرفنا أيضا أن أحد أفراد العصابة التي ينتمي إليها "مانويل"
يقيم في شارع "بوكير" ، وأنه قد باع أخيرا بعض الجواهر الروسية ،
وقد استصدرت أمراً بالقبض عليه ، وفي الساعة السادسة مساء
سنقتحم غرفته ، وسنظفر به .. وما يدرينا أنه ..

- ماذا ؟

- إن هذا الرجل هو "مانويل" نفسه .. فإن المعلومات التي لدي عن
شخصية هذا اللص ليست دقيقة ، قد يكون "مانويل" وقد يكون سواه ..
والآن إلى اللقاء في الساعة السادسة مساء .

وما كاد "نانتاس" ينصرف حتى لمح "لوبيين" من نافذة غرفته رجلا
يتسلل إلى الطريق من الفندق من سلم الخدم ، وكانت لهذا الرجل هيئة
"مانويل" القاتل الهارب .. وكان يحمل حقيبتين .

وقال "لوبيين" في نفسه : لابد من التعجيل وإلا افلقت الفرصة ..

ونزل من السلم يجري ، وانتهى إلى الطريق في اللحظة التي صعد فيها "مانويل" إلى إحدى سيارات التاكسي أمرا السائق بأن يسرع به إلى محطة الشمال .

وقبل أن تتحرك السيارة كان "لوبيين" قد فتح بابها ووثب إلى الداخل وانقض على "مانويل" فامسك بذراعه بيد قدت من الفولاذ ولواها إلى الخلف .

حاول "مانويل" أن يتملص من هذه القبضة الفولاذية ، ولكن "لوبيين" أنذره في صوت صارم :

- إذا قاومت كسرت ذراعك .

واشتد ضغطه على الذراع .. ورضخ "مانويل" وهو يصرخ المأ . وقال "لوبيين" للسائق :

- اذهب بنا إلى إدارة البوليس .

وبعد ربع الساعة كان "مانويل" ماثلا أمام المفتش "نانتاس" .

وقال "مانويل" يعترف :

- نعم .. أنا القاتل .. كنت أعلم أن "باراتوف" يحمل معه مجموعة من الجواهر وقدرًا كبيرًا من المال ، وكنت أتحين الفرصة للإيقاع به ، فما رأيت هذا السيد (وأشار إلى "جيرار") يغادر الغرفة حتى دخلت وكنت أتوقع أن أجد "باراتوف" مستغرقًا في النوم ، ولكنني وجدته في غرفة الاستقبال موثق اليدين ، وكان منهما في تقطيع الوثائق المشدود إلى قدميه ، فما رأيته حتى هب واقفا وقد أدرك غرضي وانقض علي فالقاني أرضا وكاد يسحقني بجسمه الضخم ، فما كان مني إلا أن استللت مديتي وطعنته بها ، ولما رأيته جثة هامدة سلبت أوراق البنكنوت والجواهر وحللت وثائق يديه حتى لا يبدو غريبًا في نظر البوليس أن يوثق أولاً ثم يقتل .. وكنت متأكدًا من أن الشبهة لن تتطرق إلي وإنما إلى صديقه لأنهما تشاحنا .

- وأين كنت مختبئًا ؟ .

- في إحدى غرف الفندق الخالية في الطابق الأخير لعلمي بانكم لن تبحثوا عني إلا خارج الفندق إذ ليس معقولًا بعد أن أضللت من كان يراقبني أن أرجع ثانيًا إلى الفندق !

- يالك من داهية .

وتحول "نانتاس" إلى "لوبين" يقول :

- ولكن كيف عثرت عليه . ؟

وبينما كان "لوبين" ماضيا في جوابه اغتنم "مانويل" هذه الفرصة وأخرج مسدسه من جيبه وأطلق الرصاص على راسه فخر صريعا .

وقال "نانتاس" بعد أن فحص الجثة وتأكد من موت "مانويل" :

- إن انتحاره سيؤدي إلى حفظ القضية . وبذلك لن يذكر اسمك علنا في معرض القضية . ولا اسم الأنسة "ديتول" أيضا .

ونهب "لوبين" وأقفا فقال له "نانتاس" :

- إلى أين ..

- سأسافر إلى "نورماندي" لأرى أمي .

فمد "نانتاس" يده يصافحه وهو يقول :

- إنك داهية أريب .. وأمك يجب أن تكون فخورة بك !

وانصرف "لوبين" و "نانتاس" يشيعه بنظرات الإعجاب .

* * *

برئت ساحة "أرسين لوبين" وانتفت عنه ظنون الريب . ولكنه بر بوعده فلم يحاول أن يسعى إلى مقابلة "تيلي روز" .

اكتفى بأن مر بميدان "تروكاديرو" وأرسل نظرة قريبة إلى نافذة الفتاة . وغمغم يودعها في أسى . وحسرات الحزن تمزق فؤاده .

وكان سعيداً بهذا الوداع . لأنه كان يحس بانها في هذه اللحظة كانت تستمع إلى وداعه وتذكره وإن كانت بينهما جدران قائمة .

وبعد ساعتين كان القطار يطوي به الأرض صوب "نورماندي" . ذهب إلى لقاء أمه . تلك الأم التي لم يرها منذ كان في الرابعة من عمره . تلك الأم التي لم يكن يعرف لها مقراً ولا اسماً . إلى أن عثر أخيراً على مستندات انكشفت معها الحقيقة .

طار به القطار إلى نورماندي .

وفي القطار كان "لوبين" يفكر في أمه المحبوبة .

وكان يفكر أيضاً .. وبنوع خاص .. في "تيلي روز" !

الفصل الخامس

في الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الاثنين كانت مدام "ديتول" وصديقتها "فالنية" في مخدع "نيلي روز" يترقبان عودتها في لهفة وجزع.

وتنهدت الام وقالت :

- "فالنية" ! ليت شعري هل تعود "نيلي روز" كما ذكرت في رسالتها .. قالت إنها في حاجة إلى الوحدة .. في حاجة إلى أن تخلو بنفسها .. فما معنى ذلك ؟ هل هناك غاية خفية مبيتة ؟ فقال "فالنية" الطيب القلب الذي كان لا يزال مقيما على حبه للفتاة راعبا في الزواج منها على الرغم من زلتها :

- ليس غريبا أن تنشد "نيلي روز" الوحدة بعد هذه الانفعالات القاسية التي هزت كيائها هزاً عنيفاً . إنها لا تلبث أن تحضر الآن فتستغفرك نادمة عما بدر منها . وتكاشفك بكل ما حدث كما وعدت في خطابها .

واسترسلت مدام "ديتول" تقول :

- إنني أسأل نفسي في كثير من الاحيان عما إذا كان لغيبتها تفسير آخر ؟

- أي تفسير ؟

- ما يدرينا أن "نيلي روز" لحقت بهذا الوغد "جيران" وامضت معه هذه الأيام !

فصاح "فالنية" على الرغم منه :

- امجنونة أنت حتى يطوف هذا خاطر بذهنك !

فتنهدت الام وقالت :

- نعم .. إنني مجنونة ! لقد ارتبك ذهني يا "فالنية" ! ولم أعد أفهم شيئا .. وما معنى قولها في خطابها إننا أصبحنا على أبواب الثراء ؟ - معناه جلي جدا .. لقد أرادت أن تقول إن عزمها صح على الزواج بي .. وبذلك نعيش معاً أسرة هائلة وأضع ثروتي تحت قدميها .. هذا

هو التفسير الوحيد ..

واخذ يضرب على هذه النغمة ويقول إنه على استعداد لأن يصفح عنها وينسى هو زلتها .. وقالت مدام "ديتول" :

- اصبت يا "قالبنيه" .. إنها تستحق الرحمة .. إنها طائشة ساذجة فإذا كانت قد زلت فهي تستحق منك المغفرة .. وستكون هذه الزلة درسا ينفعها مدى الحياة ويصونها من عبث الاشرار .

وارسلت مدام "ديتول" بصرها إلى الساعة وقالت :

- لقد أوفت الساعة على الرابعة ..! ولم تحضر "نيلي روز" بعد!! إن قلبي يحدثني بشر مستطير ..! ليت شعري هل ..

وأمسكت عن الكلام .. دار مفتاح في ثقب القفل وانفتح الباب!! وعلى العتبة وقفت "نيلي روز" .

وهتفت مدام "ديتول" :

- أه ..! ابنتي ..! ابنتي ..! أهذا أنت ؟..

وتهاكت على المقعد لا تقوى على الحركة أو النهوض . أما "قالبنيه" فراح يجيل في الفتاة عينين شاربتين .

وقالت "نيلي روز" :

- ماذا جرى ؟.. ما معنى هذا !!

- هذا بسبب اختفائك !!

- بسبب اختفائي !! لقد كتبت إليكم رسالة واضحة جلية ..

ودخلت إلى الغرفة بأسمه منشركة الصدر وهي تعجب لما بدا من أمها وصاحبها .

وقالت مدام "ديتول" بعد أن نفضت عنها اضطرابها :

- ابنتي ..! يجب أن تكاشفيني بالحقيقة !! في هذه الأيام الثلاثة

الماضية لم تنق عيناى طعاما للنوم ..! أريد أن أعرف كل شيء ...!

حدثيني بما جرى بينك وبين هذا الوغد في تلك الليلة المشؤومة!!

اعترفي بالحقيقة ..!

وأخذت "نيلي روز" تضحك وقالت :

- وما الداعي إلى هذا التفجع يا أماه ..!

فصاحت مدام "ديتول" في انفعال :

- ما الداعي إلى هذا التفجع .. ؟ ماذا دهاك يا ابنتي ..! ما الذي غير أفكارك ونظرتك إلى الحياة بهذا الشكل ..؟ إنني لا أتفجع .. ولكني أم مسكينة قلقة ..! أم تحب ابنتها وتريد أن تصونها من الدمار تريد أن تصونها من الانزلاق إلى الهاوية .. كل الرجال أنزال سفلة مخادعون..! تكلمي ! أقرّي بالحقيقة ..!

فضحكت "نيلي روز" مرة أخرى وقالت :

- ما هذا الكلام العجيب ..؟! هاوية ، دمار ، أنزال ..! هذا كلام لا أفهم له معنى . ولكن مادمت تصرين يا أماه على أن تعرفي الحقيقة فاسمعي .. "جيرار" زراني عند منتصف الليل في مخدعي وبعاني إلى الخروج معه . فذهبنا إلى مرقص روسي ، ورقصنا ، وتناولنا الشراب، وحاول بعض السكارى من الروس التهجم علي ولكنه دافع عني في شجاعة وقهرهم وهو فرد وهم خمسة من العمالة ..!

- وبعد ذلك ؟

- وبعد ذلك حملني بين ذراعيه ومضى بي .

- إلى أين ؟

- إلى مخدعه !

فصاحت مدام "ديتول" :

- مخدعه ..! أه يا للنذل ..! إذن فقد كنت في المخدع في الوقت الذي

كنت فيه في الفناء ومسدسي في يدي ..!

- لست أعلم عن هذا شيئاً يا أماه .. ولكني أعلم أنني كنت في

مخدعه وأنت مخطئة إذا كنت قد فكرت في قتله .

- وكم لبثت في مخدعه . ؟

- أكثر من ساعتين ..!

- ساعتين ..! أه يا إلهي ..! وفي خلال هاتين الساعتين ؟ .

فابتسمت "نيلي روز" وقالت :

- في خلال هاتين الساعتين . ! كنت نائمة ؟

- نائمة .. ؟ ماذا تعنين بقولك نائمة ؟ كيف تكونين نائمة؟

- كما ينام الناس يا أماه ! أغمض عيني ولا أعود أشعر بشيء!

- وهو ..؟ ما الذي كان يفعله في خلال هاتين الساعتين ..!

- كان نائما مثلي !

- اتريدين ان تقولي إنه كان مستغرقا في النوم ؟

- نعم .. جلس على مقعد واسند مرقفه إلى المنضدة واعتمد رأسه على كفه ونام ! نعم .. هذا القاتل .. هذا اللص .. هذا النذل .. هذا الوغد . كما وصفته كان في سلوكه معي من اشرف الرجال واعظمهم شهامة .

- اصحيح هذا ؟ اتقسمين على انه لم يحدث بينكما اي شيء ؟

- انك تعرفين يا اماء اني لم اعتد ان اكذب .

- هذا غريب ! كيف يفعل هذا وهو نذل قاتل !

- قاتل ! انسيت يا اماء ان البوليس قبض على القاتل الحقيقي ؟ إن هذا الرجل هو اشرف الرجال . وما تشاحن مع "باراتوف" إلا لكي ينقذني منه .. أراد ان يمنعه من زيارتي .

- كيف يكون اشرف الرجال وقد انتحل شخصية سواه ؟

- هذه هي نقطة الضعف فيه . ولكن هذا لا يتنافى مع كونه شريفا

نبيلًا امينا !

- شريف او غير شريف . المهم انك لن تقابليه بعد الآن .

وستبرين بوعدك .

- اي وعد ؟

- وعدك إزاء "فالنیه" .. ألم تقولي في رسالتك إننا على أبواب الثراء . ومعنى هذا أنك ستتزوجين ..

- "فالنیه" ؟

- بالتأكيد .

فضحكت الفتاة وقالت :

- هناك طريقة أخرى للثراء غير الزواج من "فالنیه" !

- أية طريقة ؟

- العثور على ثروتنا القديمة !

وقصت عليها كيف عثر "جيران" على الوثائق ، وكيف عهد بها إلى "باراتوف" فأراد هذا ان يغتال هذه الثروة فدب النزاع بين الرجلين ، واستولى "جيران" على الأوراق واعطاها للقاضي .

- وقد زرت الآن القاضي فاعاد إلي الوثائق .
واخرجتها من حقيبتها وقدمتها إلى أمها فقالت هذه :
- يا إلهي ! "جيرار" هو الذي فعل هذا ؟!
وحملت الأوراق ومضت إلى مخدعها لتقرأها .
وقالت "نيلي روز" :

- مسكينة أمي ! الآن يمكن أن تعيش سعيدة .
وتحولت إلى "فالنيه" قائلة :

- إذن فقد كان خطابي غامضا مبهما ؟ هل اعتقدت يا "فالنيه" أنني ..
فقاطعتها في صوت حزين قائلاً :

- وداعا ! وداعا يا "نيلي روز" ..

- وداعا .. هل تنوي أن تسافر .. ؟

- ما الداعي إلى بقائي مادمت لا تحبينني .. اتذكرين أنك قلت لي
يوما إنك لست في حاجة إلى ثروتي ، وإن رجلا لا تعرفينه .. رجلا
روائيا .. قد يحضر إليك يوما ومعه وثائق ينافيخ البترول !! ولقد
تحققت المعجزة وجاءك بطلك الروائي ! فما دمت تحبينه ..
فقاطعته بقولها :

- أنا أحب "جيرار" ؟ كلا . إنني لا أحبه ! كيف أحب رجلا لم أره إلا
مرة واحدة !

- ولكنك قابلته في ظروف لا تنسى ! ستخلف هذه المقابلة في نفسك
ذكرى لا تنسى ! سيظل هذا الرجل دائما بطل أحلامك وخيالاتك ، فلا
داعي لبقائي بعد هذا ! وداعا يا "نيلي روز" ! لقد أحببتك كثيراً .

- وداعا يا "فالنيه" .. ولكننا سنظل أصدقاء دائما !

- سأحاول يا "نيلي روز" .. وداعا !

* * *

ولما خلت "نيلي روز" إلى نفسها قالت : أحبه ! أنا أحب "جيرار" ..
يا للسخافة ! كيف أحب رجلا سلك معي هذا السلوك الشائن وحاول
أن يغويني ويوقعني في شباكه !

وبعد أيام عادت تقول لنفسها : ولكنه احترمني .. نعم .. احترمني

- ولم يتعرض لي بسوء .. يجب أن اكتب إليه شاكرة !
- ومضت إلى البنسيون الروسي وقابلت صاحبه وقالت :
- إنك تذكرني بالتأكيد ؟.. لقد كنت مع مسيو "جيرار" ليلة المرقص !
- نعم .. هذا صحيح .
- ما عنوان مسيو "جيرار" ؟
- لقد سافر إلى "نورماندي" ليزور امه .
- في اية بلدة ؟
- "رانفيل" .
- شكراً لك .
- ولم تكتب "نيلي روز" الخطاب الذي كانت تفكر فيه .
- ومر اسبوع .. ثم اسبوعان :
- وفي صبيحة أحد الايام استقلت "نيلي روز" القطار وسافرت إلى بلدة "رانفيل" في "نورماندي" .
- وقصدت إلى الكنيسة وقابلت القس وسالته :
- أين يقيم يا ابتاه شخص يدعى "جيرار" من اهل هذه البلدة .
- "جيرار رانفيل" ؟
- نعم ..
- إنه يقيم مع امه في قصرهما في شرق المدينة ، فوق الربوة ! لقد حضر منذ أيام .. فقد كان طيلة حياته محباً للرحلات .
- وما العمل الذي يزاوله ؟
- إنه غني واسع الثراء ، ولكنه أثر أن يشتغل في الحقول كاصغر فلاح .. هل تعرفينه ؟
- نعم .. إنه صديق لي .
- وأمه ؟
- فهزت "نيلي روز" رأسها نفياً فقال القس :
- إن امه قديسة .. إنها أشرف النساء .
- وسارت "نيلي روز" إلى القصر .
- ورات الباب مفتوحاً فدخلت . وفي صدر البهو رأت صورة معلقة صورتها وهي في العاشرة من عمرها .

وخفق قلبها .
وحانت منها لفظة إلى الحقل المجاور للقصر ورات "جيرار" ! كان
منهمكا في العمل شأن الفلاحين .
وغادرت "نيلي روز" القصر وسارت إلى الحقل . واقتربت من "لويين"
وهو لا يراها .
وسمع وقع خطواتها فالتفت وراها . وبسط إليها يديه وأخذ بكفيها
وهو يقول :
- كنت انتظر قدومك يا "نيلي روز" ! كنت اعرف انك ستأتين .. ما
أسعدني !
وضغط يدها . وضغطت يده ولم يكونا في حاجة إلى الكلمات .
وقال "لويين" :
- تعالي أقدمك إلى أمي .. ها هي ..
ورات "نيلي روز" امرأة تخرج من مخزن للتبن .. وكانت عجوزا يغمر
الشيب رأسها .. وكانت بوجهها هالة من النور .
وقال "لويين" :
- هذه يا أماه "نيلي روز" ! "نيلي روز" التي حدثتك عنها .
- اهذه أنت يا ابنتي ما أجملك !
وانحنى "نيلي روز" فوق يد الأم فقبلتها في خشوع .
وقال "لويين" :
- أوشكت الشمس على المغيب فهيا بنا نتناول العشاء .. في الأرياف
ياكل الفلاحون عند مغيب الشمس !
وأخذ بيد أمه وبهد الفتاة ومضوا إلى قاعة الطعام .
ورات "نيلي روز" ثلاثة مقاعد حول المائدة .. وثلاث صحاف للطعام ..
وفي الصحيفة الثالثة رأت بطاقة .. وعلى البطاقة اسمها :
"نيلي روز" !
يالله إذن فقد كان "جيرار" يترقب عوبتها ! كان يعرف انها
ستحضر .. كان يعرف انها ستتنسى إساعته إليها !
وثارت كبرياؤها .. لا .. إنها لن تبقى .. ستعود .. ستعود .. ولكنها
كانت ثورة ميتة .. تالقت عيناها ونظرت إلى "لويين" ..

وكانت الشمس قد انحدرت إلى المغرب .. وبدأ الأفق كأنه قطعة
متوهجة من اللهب .

وانهمرت الدموع من عينيها .. في سكون .. ودعة .
ومدت يدها من تحت المائدة وأخذت بيد "لويين" وغمغمت تقول في
صوت خافت .

- سابقى :

وفي ذلك الوقت كانت الأم ذات الشعور البيضاء الجميلة تلقي
صلاتها قبل البدء في الطعام كأنما تبارك بهذه الصلاة تلك الرابطة
المقدسة التي جمعت بين ابنها والفتاة التي يحب .

تمت بحمد الله

هذه فرصتك .. أرسل طلبك اليوم .. !

الروايات الكاملة .. والمعربة
للروايات البوليسية العالمية

أرسين لوبين

إدفع ثمن (٥) روايات واحصل على ٦

أخي القارئ العربي :

تحية وبعد،

هل سبق لك وسمعت عن روايات أرسين لوبين

نعم ..

إنها أشهر الروايات البوليسية ..

هذه فرصتك اليوم .. وليس غداً، إن دار ميوزيك تتيح لك هذه

الفرصة النادرة، لإقتناء جميع روايات أرسين لوبين.

نعم جميعها ومعربة !

ثمن النسخة الواحدة (٢) دولاران أمريكيان، وثمان (٦) ست روايات

(١٠) عشرة دولارات أميركية، وذلك تدفع ثمن (٥) خمس روايات

وتحصل على رواية إضافية مجانية.

ترسل الطلبات بموجب شيك مصرفي مسحوب على أي مصرف

في لبنان وبالدولار الأمريكي، ودار ميوزيك لا تتحمل مسؤولية

إرسال أي مبالغ نقدية داخل الرسائل !

اقطع الكوبون، وضع علامة ☒ على رقم الرواية التي تريدها،
وأرسله مع الشيك بالبريد المسجل (المضمون) على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص ب ٣٧٤ - جونية - لبنان

ملاحظة : جميع الشيكات : بإسم

دار ميوزيك

وأن يكتب على الشيك عبارة " يصرف للمستفيد الأول فقط "

| | | | | | | | | | |
|----|----|----|----|----|----|----|----|----|----|
| ١٠ | ٩ | ٨ | ٧ | ٦ | ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ١ |
| ٢٠ | ١٩ | ١٨ | ١٧ | ١٦ | ١٥ | ١٤ | ١٣ | ١٢ | ١١ |
| ٣٠ | ٢٩ | ٢٨ | ٢٧ | ٢٦ | ٢٥ | ٢٤ | ٢٣ | ٢٢ | ٢١ |
| ٤٠ | ٣٩ | ٣٨ | ٣٧ | ٣٦ | ٣٥ | ٣٤ | ٣٣ | ٣٢ | ٣١ |
| ٥٠ | ٤٩ | ٤٨ | ٤٧ | ٤٦ | ٤٥ | ٤٤ | ٤٣ | ٤٢ | ٤١ |
| | | | | ٥٦ | ٥٥ | ٥٤ | ٥٣ | ٥٢ | ٥١ |
| | | | | | | | | | |

الإسم : _____

العنوان : _____

ص.ب. _____ المدينة : _____ الرمز البريدي :

الدولة : _____

برجاء تحرير شيكات مصرفية مسحوبة على أي مصرف في لبنان

**هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها
سارع في إرسال طلبك !**

| | | | |
|----|--------------------------|----|-------------------|
| ١ | أرسين لوبين بوليس آداب | ١٧ | الباب الأحمر |
| ٢ | أرسين لوبين بوليس سري | ١٨ | لبرفس أرسين لوبين |
| ٣ | الماسة الزرقاء | ١٩ | التاج المفقود |
| ٤ | أرسين لوبين رقم ٢ | ٢٠ | الثعلب |
| ٥ | أرسين لوبين في السجن | ٢١ | الجائزة الأولى |
| ٦ | المعركة الأخيرة | ٢٢ | الجائزة الكبرى |
| ٧ | أرسين لوبين في موسكو | ٢٣ | الجاسوس الاعمى |
| ٨ | أرسين لوبين في قاع البحر | ٢٤ | الجنة المفقودة |
| ٩ | أرسين لوبين في نيويورك | ٢٥ | الجرائم الثلاثة |
| ١٠ | اسنان النمر | ٢٦ | الجريمة المستحيلة |
| ١١ | الميراث المشؤوم | ٢٧ | الجزاء |
| ١٢ | اصبع أرسين لوبين | ٢٨ | الجلاد |
| ١٣ | لصوص نيويورك | ٢٩ | الخدعة الكبرى |
| ١٤ | اعترافات أرسين لوبين | ٣٠ | الخطر الأصفر |
| ١٥ | الإبرة المجوفة | ٣١ | الخطر الهائل |
| ١٦ | الإنذار | ٣٢ | الدائرة السوداء |

| | | | |
|----------------|----|------------------|----|
| الغلاف الأزرق | ٥١ | الرصاصة الطائشة | ٣٣ |
| الفخ الرهيب | ٥٢ | الرهان | ٣٤ |
| الفيل الأبيض | ٥٣ | الزمردة | ٣٥ |
| القرم | ٥٤ | الساحر العظيم | ٣٦ |
| القفاز الأسود | ٥٥ | السر الرهيب | ٣٧ |
| القفاز المسموم | ٥٦ | السر في العين | ٣٨ |
| | | السر في القبعة | ٣٩ |
| | | السهم القاتل | ٤٠ |
| | | السوق السوداء | ٤١ |
| | | الشريف | ٤٢ |
| | | الصحفي المفقود | ٤٣ |
| | | الصوت الغامض | ٤٤ |
| | | الطائرة المحترقة | ٤٥ |
| | | العقد المفقود | ٤٦ |
| | | الغرفة الصفراء | ٤٧ |
| | | الغرفة ٣٤ | ٤٨ |
| | | الغريقة | ٤٩ |
| | | الغريمان | ٥٠ |